فقه الدعوة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م

الطبعة الأولى



العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس

ص.ب :٩٢٧٥١١: عمّان ١١١٩٠ الأردن

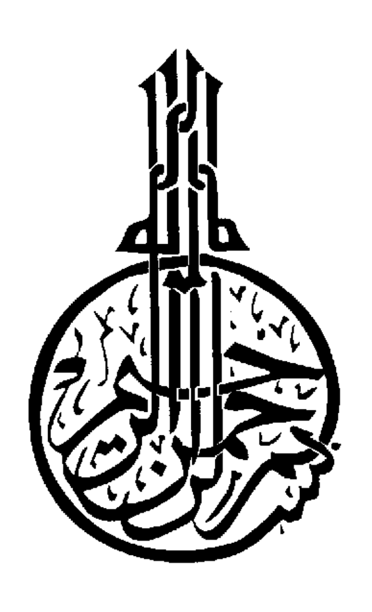
هاتف: ٥٦٩٣٩٤٠ ، فاكس : ٥٦٩٣٩٤١

بريد الكتروني: ALNAFAES@HOTMAIL.COM



الدكتور بسام العموش





المقـدمـة

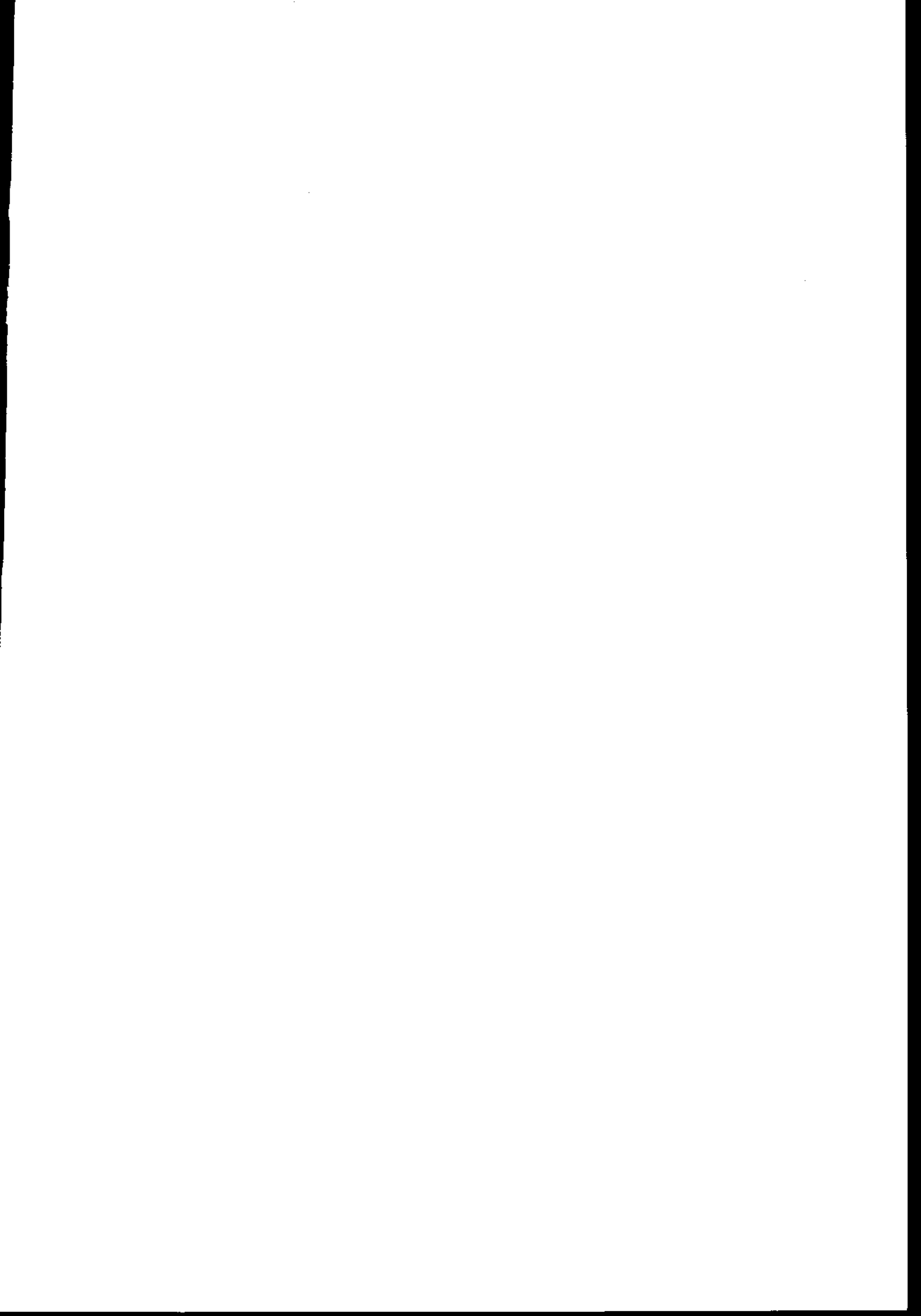
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الداعين إلى الله بإذنه، الذين جاهدوا في الله فهداهم سبلهم وبعد، فقد عشت في دعوة الإخوان المسلمين منذ نعومة أظفاري فكان لهم فضل كبير مكنني من التعرف على أحوال الدعوة والغوص في فقهها.

ومنذ أكثر من عشرين سنة وأنا أدرس مواد الدعوة بأسمائها المختلفة في جامعة الملك سعود والجامعة الأردنية وجامعة الزرقاء الأهلية كل ذلك دفعني لتأليف هذا الكتاب لجمع شتات الموضوعات المتناثرة لدى أقطاب وكُتاب (الفقه الحركي الدعوي) في مؤلف واحد يسهل على الطلبة تناول مسائله ودراستها بصياغة جديدة فرّغت فيها تجربتي وعلمي المتواضع.

إنني أظن أن هذا الكتاب سيقدم خدمة لطلبة الجامعات والمعاهد وبخاصة طلبة الدراسات الإسلامية، كما أنه سيكون مفيداً بإذن الله تعالى للآلاف المؤلفة من الوعاظ والمرشدين في مشارق الأرض ومغاربها.

وهو كتاب قد يكون له دور في استنهاض همم الجماعات الإسلامية لتجديد نفسها من أجل عطاء أفضل بعيداً عن كل ما يشوه الإسلام ويسيء إليه شاكراً كل من يقدم النصيحة والله من وراء القصد.

بسام العموش



الوحدة الأولى

مدخل إلى دراسة الدعوة الإسلامية

أولا: معنى الدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة من دعا يدعو دعوة ودعاء، ودعا الرجلُ الرجلَ إذا ناداه، ودعوت فلاناً، أي: استدعيته، وتداعى القوم إذا دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا. والدعاة قوم يدعون إلى هدى أو ضلال، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] وقد ورد في الحديث (من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه..)[١] وفي الحديث أيضاً (..دعاة على أبواب جهنم..)[٢].

ونعني بها في المصطلح: الدعوة إلى الله، أي: إلى دينه وهو الإسلام الذي هو الاستسلام والخضوع والانقياد لله رب العالمين من خلال الاعتقاد بأركان الإيمان الستة وتطبيق أركان الإسلام. فالدعوة لله تعالى لا تعني الدعوة الفئوية أو الحزبية أو المذهبية؛ لأن هذه الدعوات ضيقة لا تتناسب مع سعة الإسلام وجلال رب العالمين.

ثانياً: فضل الدعوة وأهميتها:

يبرز ذلك من خلال وجوه عدة:

---

(١) انظر مسلم بشرح النووي ١٦/٢٢٧، ورواه الترمذي٥/٤٣ رقم ٢٦٧٤وقال: حسن صحيح.

(٢) انظر البخاري ٦/٦١٥ رقم ٣٦٠٦.

١- فهي الوسيلة التي تقرب الناس إلى ربهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿. . لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

٢- وهي أسلوب لكسب الأجر والحسنات، قال عليه السلام: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم)[١].

وقال: (من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله)[٢]، وقال: (من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده)[٣].

٣- وهي طريق لحفظ أبناء المسلمين وأجيالهم القادمة بغرس الانتماء لدينهم وأمتهم قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ. .﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤- وهي رابعاً اقتداء بالأنبياء عليهم السلام الذين كانوا دعاة إلى الله تعالى، قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] فالدعوة أشرف عمل يقوم به إنسان.

٥- وهي أسلوب لمواجهة الفكر المنحرف والعقائد الزائفة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فالدعوة أسلوب لهدم الجاهلية المتغطرسة.

٦- وهي تعبير عن احترام إنسانية الإنسان، فالدعوة تؤمن بكرامة الإنسان

---

(١) انظر مسلم ١٥/١٧٨، وفي رواية البخاري ٦/١١١ رقم٢٩٤٢ (لأن يُهدى بك رجلٌ. .)، وعند أحمد ٥/٢٣٨ (على يديك).

(٢) انظر مسلم ١٣/٣٨، وأبو داود٤/٣٣٤ رقم ٥١٢٩، والترمذي٥/٤٣ رقم٢٦٧١، وقال: حسن صحيح وهو عند أحمد ٤/١٢٠.

(٣) انظر مسلم ١٦/٢٢٦.

الذي لا ينبغي له أن يعبد وثناً، أو يعيش هائماً على وجهه لا يدري لماذا خُلق وإلى أين يسير؟.

٧ - وهي أسلوب في التعامل مع النصر، فهداية شخص على يديك يمثل صورة من صور النصر وتحقيق الهدف وبخاصة في هذا الزمن الذي يستضعف فيه المسلمون في الأرض كلها.

٨ - وهي تعامل روحي مع الله تعالى؛ لأن الداعية يطالب الناس أن يقتربوا من ربهم وبالتالي يشعر بمعيته وقربه، وأنه لحبه لله يحبب الناس بربهم.

٩ - وهي صورة من صور الجهاد، لأن الجهاد هو بذل الجهد، والدعوة فيها جهد جسدي وفكري.

١٠ - وهي عيش في ظلال مدارج العلو والاستقامة والشعور بالمنزلة العليا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] وبخاصة إذا استشعر الإنسان الداعية بروحانية إعجاب المخلوقات الأخرى به، كما ورد في الحديث (إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)[1].

وأخيراً فإن الدعوة إلى الله هي تنفيذ للواجب الديني، فالمسلم يستغل وقته في الخير، ويقتدي بالأنبياء سادة الدعاة عبر التاريخ، كما أن الدعوة هي شهادة على الناس كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

---

(١) انظر سنن الترمذي٥/ ٥٠ رقم٢٦٨٥ وقال: حديث غريب، ومسند أحمد٥/ ١٩٦، وابن ماجه ١/ ٨٠ رقم٢٢٣.

ثالثاً: أهداف الدعوة:

١ - نصرة دين الإسلام وانتشاره بين الناس.

٢ - تحكيم الشريعة الإسلامية.

٣ - نشر الوعي الإسلامي في صفوف المسلمين ومحاربة الجهل بينهم.

٤ - تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦ - نشر الأخلاق الفاضلة بين الناس.

٧ - المحافظة على هوية الأمة وأجيالها القادمة.

٨- الحصول على الأجر العظيم المترتب على القيام بالدعوة إلى الله تعالى.

رابعاً: مشروعيتها وحكمها:

إن الدعوة إلى الله مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع:

ففي الكتاب قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل:١] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر:١-٢] وقوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [الشورى:١٥] وقوله: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى:١٣] وقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨] وقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] وقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨] وقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وفي السنة قوله عليه السلام: (بلغوا عني ولو آية)[١]، وقوله: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم)[٢]، وقوله: (نضّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)[٣]، وقوله: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه)[٤]، وقوله: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[٥].

ومن السنة الفعلية دعوته عليه السلام لخديجة وأبي بكر وعلي وغيرهم، وإنذاره عشيرته الأقربين، ودعوته للمنافقين وأهل الكتاب، وإرساله الرسل إلى الأقطار والأمصار، حيث أرسل معاذاً إلى اليمن، وعلياً إلى خيبر، وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم.

ومن ذلك الأحاديث غير المباشرة التي تتحدث عن فعل الخير واقتداء

(١) رواه البخاري ٦/ ٤٩٦ رقم ٣٤٦١، ورواه الترمذي ٥/ ٤٠ رقم٢٦٦٩.
(٢) سبق هامش١ صفحة ٨.
(٣) رواه الترمذي ٥/ ٣٤ رقم ٢٦٥٦، وقال: حسن، ورواه أبوداود ٣/ ٣٢٢ رقم ٣٦٦٠.
(٤) رواه مسلم ١٦/ ٢٢٧، ورواه أبو داود ٤/ ٢٠١ رقم٤٦٠٩.
(٥) رواه مسلم٢/ ٢٢، ورواه الترمذي ٤/ ٤٦٩ رقم٢١٧٢.

الناس بذلك الفعل كقوله عليه السلام: (من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فعُمِل بها بعدَه، كُتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء)[1].

وقد أجمع المسلمون على أن الدعوة إلى الإسلام عمل مشروع، كما أن العلماء أفردوا في كتبهم فصولاً وأبواباً في هذا المجال.

وإن العقل البشري يؤكد على مشروعية الدعوة، فالإسلام خير ولا بد من تعميمه، ولا يجوز أن يكون المسلم أنانياً، كما إن الإسلام هداية فلا بد من إرشاد الضالين، وإن المذاهب والتيارات والعقائد تدعو إلى نفسها، فهل يليق بدعوة الإسلام أن يسكت أبناؤها عن التبليغ؟ وإن الظلم الذي تُلحقه القوانين الوضعية بالحياة البشرية يؤكد على ضرورة بيان قوانين السماء العادلة وضرورة تحكيمها، وإن ما تطرحه المذاهب الهدامة من دمار للعقل والسلوك البشري يدعونا إلى تحذير الناس من هذه المذاهب، وضرورة بيان عيوبها وهزالها وكشف ألاعيبها.

هذا بالنسبة إلى المشروعية، أما حكمها الشرعي فقد اختلف العلماء في ذلك وكانت لهم آراء عديدة:

الرأي الأول: أنها فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ .. ﴾ [آل عمران: ١٠٤] فمن للتبعيض، أي: ليقم بعضكم بواجب الدعوة إلى الله. كما أنهم استدلوا بمفهوم الاستطاعة إذْ لا يستطيع - حسب رأيهم - حمل أعباء الدعوة كل الناس؛ لأن قدراتهم متفاوتة، كما أن فرض الأمر على جميع المسلمين هو

---

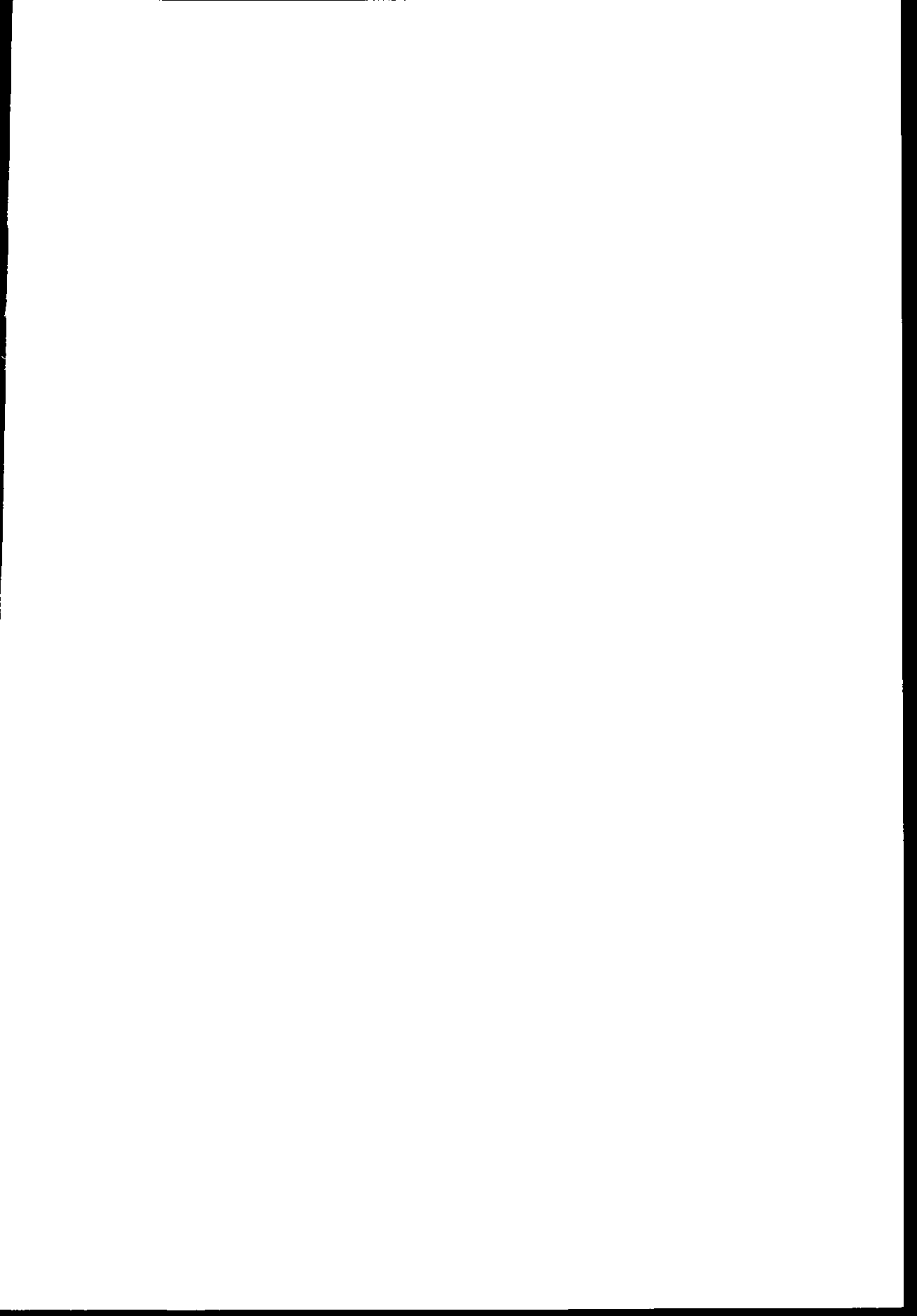
(١) رواه مسلم١٦/ ٢٢٦.

تكليف فوق الطاقة، بل إن بعضهم لا يحمل العلم الذي يمكنهم من الدعوة إلى الله.

الرأي الثاني: أنها فرض عين مطلوب من جميع المسلمين، كُلٌّ قدر استطاعته، وبالتالي فإن الدعوة لا تعني تكليف الناس فوق طاقتهم، كما أن قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ لا يفهم منه التبعيض لأن (من) هنا للبيان كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] إذ لا يجوز أن يجتنب المسلم بعض الأوثان، بل لا بد أن يجتنبها كلها، وكذلك الدعوة يقوم بها الجميع حسب الاستطاعة والعلم، ولا يوجد مسلم لا يعلم شيئاً من الإسلام، فليبذل ما يستطيع، كما قال الرسول عليه السلام: (بلغوا عني ولو آية)[١] كما أننا في ظروف تقتضي هبَّة الجميع وتحركهم؛ لأن مساحة الجهل كبيرة، وحجم الهجوم على الإسلام كبير، إذ تداعت علينا الأمم، وهاجمتنا فكرياً وعسكرياً بشتى اللافتات والأسماء من شيوعية واشتراكية وبراجماتية ووجودية وفرويدية وداروينية وإقليمية وشعوبية وعلمانية، وانتشرت العقائد الزائفة مثل عبدة الشيطان، وكذلك الهجوم الإعلامي المضلل، والمطبوعات الهائلة المناوئة للإسلام، وكذلك استخدام التقنيات ووسائل الاتصال المختلفة ومنها الإنترنت. هذه الأمور وغيرها تقتضي تحرك الجميع، وأن يبذل كل مسلم ما يستطيع من جهد حتى ينال الأجر والثواب.

---

(١) سبق هامش١ صفحة ١١.



الوحدة الثانية

خصائص الدعوة الإسلامية (من المنظور الدعوي)

أولاً: الربانية:

ونعني بها أن هذه الدعوة هي دعوة الله تعالى، فهو ناصرها، ومعين جنده الربانيين، وأنه لن يتركهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وبهذا يصير الداعية مطمئناً إلى وعد الله، وأن الله لن يخلف وعده، وإذا تأخر النصر فإنما يكون ذلك لخلل في الدعاة أنفسهم، سواء كان الخلل في إخلاصهم، أو في علاقاتهم، أو في خططهم وأدواتهم.

والربانية تعني أيضاً أن الداعية يطلب أجره من الله تعالى، وأنه لا يطلب من الناس مالاً ولا مدحاً، قال تعالى: ﴿.. لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩]، وأن الدعوة ليست لجلب المصالح الدنيوية الشخصية، وأنه أيضاً يعمل لنيل رضا الرب تبارك وتعالى، وليس لصالح فئة أو جماعة أو حزب، فهذه مجرد أدوات ووسائل تعين على الطاعة والوصول إلى الربانية، التي هي مرتبة عليا تأتي بعد النبوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ...﴾ [المائدة: ٤٤].

ولعلنا ندرك من هذه الآية أن الدعوة الإسلامية مطالبة بالوصول برجالها إلى مرتبة الربانية، حيث يصبح الداعية رجلاً ربانياً يعكس بسلوكه وكلامه

أوامر الرب تبارك وتعالى، ويخلص في حبه لله عز وجل، فيسعى بكل طاقته لتقريب الناس إلى ربهم وتحبيبهم فيه، وهذا يتطلب منه عمق المعرفة بالله ليستطيع تعريف المدعوين بالله وصفاته، وأنه ربهم ويرعاهم ويقدم لهم النعم التي لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وهنا ندقق فيما ورد في القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام وهو يصف ربه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ* وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ* وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ* وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢]. ولا يكون الداعية ربانياً ما لم يستشعر رعاية الله له، وأنه قيوم السماوات والأرض، وأنه هادي قلوب الناس، ولهذا يتوجه إلى الناس بالشرح والبيان، وإلى الله تعالى يسأله أن يهدي الذين استمعوا لدعوته.

ثانياً: العقلية:

ونعني بها أن يدرك الدعاة أن دعوتهم تحترم العقل، وأنه وسيلة للحوار مع الآخر، وهو أداة لفهم النصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١]. إن استخدام العقل يجنب الدعوة مساوىء كثيرة، فالعقل يعْقل صاحبه عما لا يليق، فإذا كان هناك عمل سيجلب الضرر للمسلمين فعلى الداعية أن يتوقف عنه، وإذا كان مقتضى العقل أن يتريث الداعية على المدعو ولا يستعجل ثمرته، فعلى الداعية أن يدرك ذلك. وإذا كانت موازين العقل تؤكد أن صدام الدعاة مع سلطات

الحكم في قطر من الأقطار ستكون دماراً ووبالاً على الدعوة، فعلى الدعاة أن يدركوا ذلك، وبخاصة أن هذا قد جُرّب في أكثر من مكان، وكانت النتيجة دائماً الخسارة الدعوية.

إن افتعال الأزمة بين العقل والنقل أمر غير محمود، ولا ترد الأزمة إلا عند صغار العقول الذين لا يحسنون استخدام العقل، ولا يستطيعون فهم النص، ولهذا كتب ابن تيمية (درء تعارض العقل والنقل) وإن مقتضيات العقل أن يعيد الدعاة حساباتهم فيراجعونها؛ ليتلافوا الأخطاء، ويجددوا أنفسهم بثوب جديد؛ لتستمر الدعوة، ولتواجه التحديات.

وإن العقلية تتطلب من الداعية أن لا يجادل ما يقره العقل؛ لأن ذلك يعني أنه غير عاقل، ويجادل فيما يتفق عليه العقلاء.

ثالثاً: الروحية:

ونقصد بها أن يستشعر الداعي أنه صاحب دعوة روحية ترغب بإنقاذ أرواح الناس، وأنها تحب لهم الخير وبالتالي فإن الداعية يجب أن ينطلق في دعوته من القاعدة الروحانية، وأن يصطبغ سلوكه بذلك، لأننا نؤمن أن الإنسان إنسان بروحه لا بجسده، فالجسد يفنى والروح تبقى. وعلى الداعية أن يتذكر قول المصطفى ﷺ: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)[1] وبالتالي فإنه يسعى لالتقاء روحه مع روح المدعو، وإذا حصل ذلك فإن الهداية ستتحقق بإذن الله تعالى.

إنّ طرق باب الروح هو الأسلوب الأقصر لبلوغ الهدف، يقول عز

(١) رواه البخاري ٦/ ٣٦٩ رقم٣٣٣٦، ورواه مسلم ١٦/ ١٨٥.

وجل: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، أي: يبلغ شغاف قلوبهم، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان الخطاب (لأنفسهم) وليس لآذانهم، وإن الداعية لا يستطيع أن يصل إلى ذلك ما لم يكن كلامه نابعاً من روحه وقلبه، فما خرج من القلب استقر في القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

إن الاستشعار الروحي أثناء الدعوة هو طريق للإخلاص، حيث ينوي الداعية أن عمله لله تعالى، وأنه لا يبحث عن سمعة ولا مديح، بل هو خالص لله تعالى ليكون عمله ناجحاً مقبولاً مأجوراً. وإن العمل الإسلامي المنطلق من روحية المؤمن يجعله يعيش حالة من التحليق الروحي، لأنه بعمله هذا يقرب بين العبد الضائع وربه القيوم، وخير الخلق هم الذين يقربون الخلق إلى ربهم، وذلك بتحبيب الخلق للخالق وبيان فضله ورحمته ونعمه عليهم.

رابعاً: الواقعية والمثالية:

إن الدعوة الإسلامية دعوة تعيش على الأرض، وتقود الناس ليحلقوا في السماء، فنحن بشر، ولكننا نسعى إلى عالم الغيب، نحب ربنا ونذكره ونعبده. وإن الدعوة لا تتنكر للواقع إلا بالقدر الذي تنكره الشريعة، بل إن الدعاة مطالبون بتفهم أخطاء المدعوين، فيقدمون لهم النصيحة، ولا يعيرونهم ولا يعنفونهم، ولنا في هدي المصطفى أسوة حسنة، نذكر منها ما قاله للشاب الذي جاءه معلناً حبه لله ورسوله لكنه لا يستطيع ترك الزنا، فما كان من المصطفى عليه السلام إلا أن وضع يده على كتف الشاب مخاطباً إياه بكل لين ولطف وحنان قائلاً: «أترضاه لأمك؟ أترضاه لأختك؟ أترضاه

لعمتك؟ أترضاه لخالتك؟» فقال الشاب: لا، فقال عليه السلام: «والناس كذلك»[1].

ولنتأمل معاملته لذلك الرجل الذي جاء صارخاً: يا رسول الله: هلكتُ، قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟» قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» فقال: لا، قال: «فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟» قال: لا، فمكث النبي ﷺ فبينا نحن على ذلك أُتي النبيُّ ﷺ بعَرَق فيها تمر. قال: «أين السائل؟» فقال: أنا، قال: «خذ هذا فتصدق به»، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبيَ ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: «أطعمه أهلك»[2].

أيُّ لين هذا؟ وأية واقعية هذه؟ وأية تربية هذه التي تقدر ظروف الناس وتتعامل معها، وتصلح ما فسد منها قدر الإمكان. إن هذه الواقعية لا تعني الرضا بالواقع، بل علينا أن نسعى إلى المثال قدر الإمكان.

وعلى المسلم أن يتعهد نفسه، وأن يجدد إيمانه، وأن يستغفر ويذكر ويتصدق، عليه أن يتذكر الأنبياء والصديقين والصالحين ليقتدي بهم، فلا يرضى عن حاله مهما كان، بل عليه أن يشعر بالتقصير في جنب الله، فإذا كان يصلي الخمس فعليه أن يسعى للنوافل، وإذا كان يصلي نوافل النهار فعليه أن يبحث عن التهجد وصلاة الليل، وإذا كان يصوم رمضان فعليه أن يفكر بصيام التطوع بعد رمضان، وإذا كان يتصدق الصدقة الواجبة (الزكاة)

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٥٦.

(٢) رواه البخاري ٤/١٦٣ رقم ١٩٣٦، ورواه مسلم ٧/ ٢٢٤.

فليفكر في صدقات التطوع وليكثر منها، وإذا كان يذكر الله قليلاً فليذكره كثيراً، وهكذا لا يرضى عن نفسه في سلم الطاعات مهما فعل، بل يتهم نفسه بالتقصير ليصير إلى حال أفضل.

ومع ذلك فإن الإنسان لن يتحول إلى مَلَك؛ لأن الإنسان له طبيعة مختلفة فيها الصواب والخطأ (وخير الخطائين التوابون)[1]. وعلى الدعاة أن يراعوا ضعف الناس وأخطاءهم وكسلهم، فيقودونهم بالتدرج نحو الأفضل دون استعجال أو قسوة أو تعنيف، بل شعارهم: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ [الكهف: ١٩] وتوجيه الله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

خامساً: التطور والثبات:

إن الاستقرار مطلب إنساني، والثبات من عوامله، لأن التقلب والاضطراب يسببان القلق، لكن الثبات المطلق في كل شيء هو الجمود بعينه، ومن هنا كان لا بد من الجمع بين التطور والثبات، ففي المجال الدعوي: الأهداف الاستراتيجية ثابتة وهي تبليغ دعوة الله وإعلاء كلمته، لكن بعض الوسائل والأساليب متطورة ومتغيرة تراعي الزمان والمكان، وما بلي منها يصبح جزءاً من التاريخ الذي لا معنى له في الحاضر والواقع لأنه قد انتهى مفعوله.

ومن هنا فإن الدعاة إلى الله مدعوون لعدم تقديس الوسائل، فما

(١) رواه الترمذي ٤/٦٥٩ رقم ٢٤٩٩، ورواه ابن ماجه ٢/١٤٢٠ رقم ٤٢٥١، ورواه الدارمي ٢/٢١٣ رقم٢٧٣٠، ورواه أحمد ٣/١٩٨.

استخدمه أهل زمن على فضلهم ومكانتهم لا يعني أن نستمر عليه إذا كان قد فقد الجدوى، وما تعامل به كبار الدعاة في وقتهم وصار عديم الفائدة، فإننا نصنفه ضمن معادلة الزمان والمكان، ولكن ليس بالضرورة أن نحمله ونستخدمه؛ لأن صالحين قد استخدموه، فقد كان صالحاً في زمنهم وصار بالياً في زمننا.

ولعل الدعوات الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى الانتباه لهذا؛ لأن بعضها قد انقلب حارساً يدافع عن كل ما ورثه من دعاة سابقين، وبخاصة الذين أسسوا، مما جعل تلك الدعوات تعيش جموداً وتراجعاً سببه الخلط بين الثابت والمتطور.

سادساً: الشمول:

إن دعوة الإسلام موجهة لكل الناس، بل هي رحمة للعالمين، فقد دعا عليه السلام الإنس والجن، ودعوته للجن أمر خاص به، أما نحن فمطالبون أن نوجه جهودنا لنشر الإسلام بين شعوب الأرض بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وأماكن وجودهم، وقد بين عليه السلام أن دعوته قد امتازت على دعوات إخوانه الأنبياء بأنهم بعثوا لأقوامهم خاصة، وبعث عليه السلام للناس كافة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

ودعوة الإسلام لا تنسى الدعوة في صفوف المسلمين وتسميها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالكافر يحتاج إلى من يدخله في الإسلام، والمسلم بحاجة إلى من يذكره وينصحه، قال عليه السلام: (الدين

النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1].

هذا هو الشمول من حيث المخاطَبين والجهة الموجَهة إليها الدعوة، وهناك الشمول الموضوعي بمعنى أن دعوة الإسلام تتناول بالنقاش والحوار كل الموضوعات، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية أو نفسية أو فكرية، وهي بهذا تمس كافة فئات المجتمع كما سنبين في الوحدة الرابعة من حيث شمولها للكبار والصغار، والحكام والمحكومين، والرجال والنساء، والبالغين والأطفال وهكذا.

سابعاً: التوازن:

يقول عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فالأمور موزونة، والمؤمنون مطالبون بأن يزنوا بالقسطاس المستقيم قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] وقال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ولا تقف عملية الوزن عند حدود المكاييل والأثقال، بل تتعداها إلى المعاني والأفكار والأشخاص.

والتوازن يقتضي إعطاء كل شيء وزنه دون زيادة ولا نقصان، وهنا تفترق الوسطية عن التوازن، فالوسطية حالة بين شيئين، بينما التوازن يعني إعطاء كل ذي حق حقه حجماً ومكانة، زماناً ومكاناً، فعلى سبيل المثال لا ترقى السنن المطلقة إلى مستوى السنن الراتبة، ولا ترقى حَجَّة النافلة إلى مستوى

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٣٧، وانظر صحيح مسلم ٢/ ٣٧.

حَجَّة الإسلام (الفريضة)، ولا ترقى المسائل الفقهية إلى مستوى العقائد وقضايا الإيمان.

وإذا أردنا مزيداً من الإيضاح فلا ينبغي لمسلم أن يجعل رغبته في تطبيق سنة نبوية على حساب فريضة الأُخوة بأن يقاتل الناس، ويقاطعهم ويوجه إليهم التهم، فهل تستحق مسألة تحريك الأصبع في التشهد أن توقع المصلين في الشحناء والبغضاء، وتبادل التهم من التبديع والزندقة، وقد تصل عند بعضهم إلى التكفير.

إذن فمسألة التوازن في غاية الأهمية، ولا بد من فهمها وتطبيقها، لأن كثيراً من مشكلاتنا قد صدرت لعدم فهم التوازن المطلوب، ومعلوم أن من فقد التوازن فقدْ دخل في حالة غير طبيعية فرداً كان أو مجتمعاً.

ثامناً: الإنسانية:

جاء هذا الدين العظيم للناس كافة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] فهي دعوة موجهة إلى جميع الناس، ولهذا جاء الخطاب القرآني يناديهم: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ [الحج: ٥] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والإنسانية من ناحية دعوية نعني بها أن نراعي حب الدعاة للناس، والرغبة في إنقاذهم عبر الاحترام الواضح لهم، ومعاملتهم معاملة إنسانية بكل ما في الكلمة من معنى. ولعل إظهار المشاعر الإنسانية من الدعاة تجاه

المدعوين هو أعظم الأساليب التي توصل إلى قلوبهم، وكسبهم إلى صفوف الدعوة الإسلامية.

وعلى الدعاة أن يتذكروا أن غيرهم من دعاة المذاهب والديانات كالمبشرين مثلاً يستخدمون أساليب إنسانية في غاية الرقي، ودعاة الإسلام أولى بالخير والحق والحكمة، ولنتذكر أن الناس أسرى الإحسان، وأن النفوس قد جبلت على حب من أحسن إليها، قال تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

تاسعاً: دائمة:

فالعمل الدعوي لا ينقطع ولا يتوقف؛ لأن الشر موجود إلى قيام الساعة، وهو في صراع مستمر مع الخير، ولهذا لا بد أن ينهض أهل الخير وهم الدعاة، فيضطلعون بواجبهم الدعوي دون توقف، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] والدعوة من أفضل العبادات والقربات قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت:٦٩] ومجاهدة النفس والآخرين تدخل في ذلك، وفي هذه الآية إشارة دعوية إلى أن الله تعالى سيفتح الآفاق والسبل أمام المجاهدين في سبيله فلا يحاصرون أبداً، بل كلما أغلقوا باباً فتح لدعاته أبواباً.

والمراقب في أحوال الناس عبر التاريخ وإلى اليوم يجد حاجتهم الماسة للدعوة، فالملتزمون بالإسلام بحاجة إلى من يوضح لهم الأحكام، ويحضهم على الانتقال من صفوف المتفرجين إلى صفوف الدعاة المجاهدين.

والذين ليس لهم صلة بالإسلام سوى الانتماء الوراثي بحاجة إلى من يستثير فيهم الهمة؛ لينقلبوا إلى ملتزمين مطبقين للإسلام كله بشعائره وأحكامه.

والأمم التي تقع خارج إطار الإسلام بحاجة إلى من يدعوها ويبين لها محاسن الإسلام، ويفند لهم الشبهات، ويكفي أن نبين أن ثلاثة أرباع أو يزيد من سكان الأرض غير مسلمين، وفي هذا أكبر دليل على وجوب الدعوة واستمرارها وديمومتها.

وللديمومة معنى آخر، وهو أن هذه الدعوة لن تنقطع، ولن يقضي عليها أعداؤها مهما نالوا وقتلوا وشردوا من دعاة الإسلام، لأنها دعوة الحق، وسيذهب المعاندون لدعوة الإسلام إلى مزابل التاريخ، وسيبقى ذكر دعاة الإسلام الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله أبداً على مر الأجيال، ويكفي أن ذكر إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام قد بقي، وذهب أعداؤهم إلى الجحيم، لقد ذهب ابن سلول وابن أبي معيط وأمية وأبو جهل، ولا يذكرون إلا بالسوء الذي فعلوه، وبقي ذكر بلال وصهيب وعمار وسمية لا يذكرون إلا بالخير، وهكذا عبر توالي الزمان وإلى يومنا هذا.

عاشراً: الوسطية:

يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فقد جاءت الوسطية لأمر دعوي، ألا وهو الشهادة على الناس، أي: دعوتهم وتبليغهم والشهادة بأنهم قد بلغتهم الدعوة، وعرفوا الحق بغض النظر عن استجابتهم من عدمها، بل المهم أنهم قد بُلغوا.

لقد كنا ولا زلنا أمة وسطاً بين الأمم، فنحن وسط في عيسى عليه السلام، فاليهود يقولون: هو ابن زنا، والنصارى يجعلونه إلهاً، ونحن نقول: هو عبد الله ورسوله، ونحن وسط بين الماديين الذين ينكرون الروح، والروحيين الذين ينكرون المادة، ونحن نقول: الإنسان مركب من جسد وروح، ونحن وسط بين الشيوعيين الذين يريدون القضاء على الملكية والرأسمالية التي تبيحها بإطلاق، ونحن نبيحها بقيود، لقد صارت الوسطية صفة من صفات هذه الأمة.

والدعوة الوسطية هي انسجام مع هذا التوجه واستجابة له، ولهذا فإن الدعاة مطالبون بامتثال خلق الوسطية في سلوكهم مع المدعوين فلا يتطرفون برأي، ولا يتشددون في غير موضع التشدد، لأن هذا من الأمانة التي اؤتمنوا عليها، فعليهم أن يعرضوا الإسلام ديناً متسامحاً محباً للخير لكافة بني البشر، شعارهم الترغيب والاستقطاب، وأن يقولوا للناس حسناً، وأن يعاملوهم بالحسنى، ويدعوهم بالحكمة، حتى ينطبع في أذهانهم كلما رأوا هذا الداعية الوسطي أن الإسلام دين يسر ودين عدل ودين رفق، فيحبون الإسلام، وينجذبون إليه بفضل الله أولاً، ثم بجهد هؤلاء الدعاة الذين كانوا مرآة صافية عكست الخير في نفوس الناس. ولنتذكر أن الرسول عليه السلام ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، ولا شك أن الوسطية هي اليسر بعينه.

حادي عشر: الوضوح:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾

[آل عمران: ١٨٧] وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة.

إن دعوة الإسلام دعوة واضحة، فعقيدتها بسيطة وسهلة، وأدلتها في متناول الجميع، يجدها الفيلسوف كما يجدها الأعرابي البسيط الذي استدل ببعرة البعير.

وقد كان عليه السلام (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثاً ليتحقق الإيضاح، وعند ذلك يقول: (اللهم هل بلغت اللهم فاشهد)[1] كما أن أحكامه واضحة حيث تقوم على قاعدة: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فالخمر والزنا والكذب والخيانة ونحو ذلك كله مما يتفق العقلاء على أنه شر وسوء، وفي المقابل فإن الصدق والأمانة ونظافة السلوك الأخلاقي واحتفاظ الإنسان بعقله، ونحو ذلك من الفضائل والمكارم، كلها يقر العقل البشري بسموها ومكانتها.

والدعوة الإسلامية يجب أن تكون واضحة الأهداف، واضحة مع الأتباع، واضحة مع المدعوين، ولنتدبر قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقوله: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩] لنجد الوضوح في غايته، فدعاة الإسلام لا يطمعون بما في أيدي المدعوين من مال، بل إن الإسلام نفسه قد جعل سهماً من أسهم الزكاة بعنوان (المؤلفة قلوبهم) يعطي لبعض المدعوين استقطاباً لهم حتى لو كانوا أغنياء، فدعوة الإسلام تعطي ولا تأخذ.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/ ٢٧٦.

إن الوضوح مع الأتباع ضروري، وها هو عليه السلام يقولها صريحة لأبي ذر الذي طلب الولاية: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة)[1]. ويرد على طلب بعض القبائل التي أرادت أن يكون لها الأمر بعد وفاة الرسول عليه السلام فقال: (الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء)[2]، أي: أنه رفض طلبهم.

ولم يجامل عليه السلام أبا ذر الذي قال لبلال: (يا ابن السوداء) فقال عليه السلام غاضباً: (إنك امرؤ فيك جاهلية)[3].

وحين يكون الوضوح تكون النتيجة أسلم وأحكم، فدعوة الإسلام مثلاً في بلاد الغرب لا تهدف إلى السيطرة على مقاليد الأمور؛ لأن الغالبية الساحقة ليست مسلمة، وبالتالي فإن هدفاً كهذا لا مكان له، ولهذا يكون الوضوح لدى الدعاة أن هدفنا هو التبليغ والقدوة الحسنة.

أما في ديار الإسلام فيجب أن يكون الهدف إعادة الأمة حكاماً ومحكومين إلى الإسلام ليتمتع الجميع بخيره وفضله وذلك عبر الإصلاح قال تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [هود:٨٨]، فهو النهج ولا نهج سواه، فليس هدف الدعاة أن يجلسوا على كراسي الحكم، بل يريدون للحكم أن يكون إسلامياً حتى لو جلس فيه عبد حبشي، وبهذا الوضوح يجنب الدعاة مركبهم من الغرق، ويكونون صادقين مع ربهم وأنفسهم وحكامهم.

---

(١) رواه مسلم ١٢/ ٢٠٩.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣.

(٣) رواه البخاري ١/ ٨٤ رقم ٣٠

ثاني عشر: العالمية:

إن دعوة الإسلام دعوة لجميع البشر قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] وها هو الرسول عليه السلام يؤكد ذلك بقوله: (أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى كل أحمر وأسود..)[1] وهذا شيء طبيعي فالرسالات السابقة كانت خاصة لقوم معينين، أما حينما يكون الرسول هو آخر الرسل فلن تكون رسالته لقوم محددين، بل هي رسالة لجميع الناس، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [الفتح:١-٢]، وقد رأينا تاريخنا الإسلامي وهو يحدثنا عن إسلام أبي بكر (العربي)، وسلمان (الفارسي)، وصهيب (الرومي)، وبلال (الحبشي).

والدعوة الإسلامية اليوم قد دخلت كل القارات وكافة الأقطار، ولم يعد هناك قطر يخلو من المسلمين، ولو زاد الدعاة نشاطهم وتوفرت الإمكانات لهم؛ لزاد عدد الداخلين في الإسلام.

وللعالمية بالمعنى الحركي معنى مهم لا تلغيه حقائق القطرية الماثلة، فالمسلمون كالجسد الواحد، يهتم بعضهم بشأن بعض، وأقل ما يقدمونه الشعور بشعور إخوانهم فيدعون لهم، وإذا استطاعوا قدموا ما توفر لهم من مال ودم وإغاثة، كلّ يجود بما استطاع، وقد أثبتت هذه الأمة ذلك في هذا العصر، حيث لا يزال الدعاء يعلو منابر الجمعة فتتم الدعوة لفلسطين

---

(١) رواه مسلم ٣/٥.

والشيشان وأفغانستان والعراق والبوسنة وكشمير، وكافة أراضي المسلمين التي فيها حروب وهجوم على الإسلام وأهله.

ولن يكون للدعوة الإسلامية شأن إذا لم تجمع بين الاهتمام المحلي والعالمي، وبخاصة في هذا العصر الذي تحول فيه العالم إلى قرية، وصار بإمكان المسلمين مخاطبة كل سكان الأرض عبر وسائل الإعلام والاتصال.

ثالث عشر: شورية:

لعل أبرز أساس من أسس الحكم الإسلامي هو الشورى التي أمر الله تعالى بها بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] ووصف حال المؤمنين فيما بينهم بأنه يقوم عليها، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، وإذا كان الأمر الرباني موجهاً للرسول المعصوم المتصل بالوحي بأن يشاور، فكيف بغيره ممن لا يملكون عصمة ولا صلة لهم بوحي إلا ما نزل من كتاب وسنة؟

إن الدعاة إلى الله مدعوون لنشر مبدأ الشورى فيما بينهم، يطبقونه ويرضون بنتائجه. ولا ينبغي لقائد مسلم مهما علت مرتبته، وتميزت صفاته أن يستبد برأيه، ويُعرض عن شورى أصحابه. فالرسول عليه السلام كان ينزل على رأي أصحابه فيما لا نص فيه، حتى لو كان رأيه مخالفاً لرأيهم، كما فعل في بدر وأحد والخندق وغيرها.

إن انتشار الشورى بين الدعاة واصطباغ حياتهم بها هو الكفيل بنبذ الدكتاتورية، حتى لو كان فاعلها مسلماً؛ لأننا (كما يقول الشهيد سيد قطب): نؤمن بأن الطاغوت كله طاغوت، سواءً كان عربياً أو فارسياً،

وأقول: إننا نرفض الدكتاتور سواءً كان علمانياً أو إسلامياً؛ لأنه في الحقيقة قد تخلى عن صفة أساسية من صفات المؤمنين وهي الشورى.

رابع عشر: جهادية:

سبق أن ذكرنا قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩] فالدعوة جهاد، والجهاد دعوة، ولم يكن الجهاد إعْمالاً للسيف في دماء الناس هكذا لشهوة القتل والاستبداد.

إن الدعوة الإسلامية دعوة جهادية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات، فلا يوجد في قاموسها (طاقات معطلة)، ولا يخطر ببالها أن فرداً مهما كان وأياً كان لا يستطيع أن يقدم شيئاً، فكل إنسان قد يكون له دور، وقد يتقن شيئاً لا يتقنه غيره.

إنها دعوة تجاهد نفسها لتحافظ على أفرادها وتنميتهم، وتضم عناصر جديدة إليها، إنها دعوة لا تفرط بأي شخص مهما كان وحتى لو وقع في خطأ؛ لأنها تعيش على طريق النبي عليه السلام الذي لم يسمح له القرآن أن يلفت نظره عن المؤمنين ويطردهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [هود:٢٩] وقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام:٥٢] وأمره أن يصبر نفسه معهم: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف:٢٨]، وأن يستغفر لهم ويسامحهم: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ [المائدة:١٣] وقد امتثل لذلك النبي ﷺ فقال عن حاطب الذي أفشى الأسرار: (لعل الله اطلع على أهل

بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة)[1].

وهي دعوة تجاهد لتبليغ دين الله الذي يحتاجه الناس وهم في ضلال، كما قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. وهي دعوة تجاهد لتفنيد شبهات المناوئين من الكافرين والمشركين والمنافقين والفاسقين والزنادقة سيراً على نهج القرآن الكريم في الرد عليهم، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فجوانب الجهادية لا تتوقف، بل هي متعددة متحركة عبر الزمان والمكان، تجاهد للتجديد ولمواجهة مكر أعداء الله، تخطط وتدعو الله تعالى أن يوفقها لما فيه خير البلاد والعباد.

خامس عشر: إيجابية:

إن دعوة الإسلام دعوة للخير، تنمي الإيجابيات وتحارب السلبيات، ولهذا أثنى عليه السلام على حلف الفضول الذي عُقد في الجاهلية، وقال عنه: (شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حُمْر النعم، وإني أنكثه)[2] إن المسلم يعتقد أن الخير موجود عند جميع الناس، حتى الكافر منهم فيه بقايا من خير، وفيه فطرة يغطيها ويعاندها، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ولهذا فإن دور الدعاة يبدأ من استثارة نوازع الخير في الإنسان.

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٣٠٤ رقم ٣٩٨٣، وفي رواية مسلم ١٦/ ٥٦ (فقد غفرت لكم).
(٢) رواه أحمد ١/ ١٩٠.

ولعل التركيز على الخير في الإنسان (الفرد والمجتمع) هو المنهج الإيجابي الذي لا ينظر بعيون السواد دائماً، بل لا بد من النظر إلى الخير لتنميته، وينظر إلى الشر فيحاربه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد: ٨].

إن الإيجابية هي طريق للنجاح وطريق للأمن وطريق للقبول عند الناس، أما السلبية فإنها طريق اليأس، وهو أسلوب لتشريح المجتمع والفرد، ومعلوم أن النفوس قد جُبلت على حب من أحسن إليها، أما من كان فظاً غليظاً فلا نجاح له، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

سادس عشر: أخلاقية:

يقول عز وجل في مدح رسوله عليه السلام: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وحدثنا عليه السلام عن مهمته بقوله: (بعثت لأتمم حسن الأخلاق)[1] فالدعوة الإسلامية دعوة للأخلاق، ولا يمكن أن تكون كذلك إلا أن تكون أخلاقية تتحلى بالصدق والأمانة، وتبتعد عن كل خلق سلبي مثل (الغاية تبرر الوسيلة) الذي أصبح شعاراً وسلوكاً لدى الكثيرين.

إن المدعوين يراقبون الدعاة والدعوة، فإذا لاحظوا ما لا يتناسب مع أخلاقية الإسلام ابتعدوا ورفضوا، بل شنعوا على الدعاة والدعوة، وصاروا مناوئين لها. ولعل هذا هو السبب الذي يدفعنا إلى فهم قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالرسول هو القدوة

(١) رواه مالك في الموطأ صفحة ٦٥١ رقم ١٦٣٤.

العظمى والمطلقة، وعلينا أن نتأسى به، ولنحذر قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

إن أخلاقية الدعوة هي التي دفعت المسلمين لإعادة الجزية لأهل حمص يوم طُلب إليهم الالتحاق بالعراق، وبالتالي فإنهم لا يستطيعون تقديم الحماية لأهل الكتاب، كما أنها هي التي دعت المسلمين للامتناع عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والأسرى والرهبان، وعدم قطع الأشجار، وعدم إتلاف مخطوطات الحضارة اليونانية كما فعل التتار مع حضارة الإسلام وثقافتها.

إن الدعاة مدعوون لمراعاة هذه الأخلاق وهم يدعون إلى الإسلام، وبغير ذلك لن يُقبل الناس على دعوتهم.

الوحدة الثالثة

الداعية

الداعية هو كل مسلم بالغ عاقل، ويشمل ذلك الرجل والمرأة؛ لأن خطاب التكليف هنا عام، ولأن الدواعي واحدة، والثمار ممكنة من الطرفين على قاعدة الاستطاعة.

ونفهم من هذا التعريف أنه لا كهنوت في الإسلام، وأن مصطلح (رجال الدين) إنما كان عند أهل الكتاب، أما نحن المسلمين فلدينا مصطلح (العلماء)، وكما قدمنا فإن كل مسلم لديه حظ من العلم يدعو به، ويبقى العلماء المتخصصون هم المرجعية الأصلية، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

هل يؤثر الفرد في المجتمع؟؟

لاشك في ذلك، فكما أن المجتمع يؤثر في الفرد، فإن الفرد له تأثيره على المجتمع، والدليل على ذلك:

١- أن الله تعالى قد أرسل أنبياءه أفراداً فأثروا في مجتمعاتهم وحوّلوها نحو الخير.

إن التاريخ الإسلامي يؤكد أن عدداً من الصحابة كان لهم أثرهم الواضح: فمصعب بن عمير أدخل الإسلام إلى كل منزل في المدينة المنورة (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)، وكان لأبي ذر الغفاري دور بارز في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أبواب الخلفاء، وإنّ تحول الدعوة من

سرية إلى جهرية إنما كان بعد التحاق العناصر القوية كحمزة وعمر بن الخطاب.

كما أننا نذكر بالدور الكبير الذي قام به الصديق أبو بكر في شراء العبيد وتحريرهم، ولهذا سُمي بالعتيق.

٢- وإذا نظرنا في التاريخ الإسلامي بعد الصحابة لوجدنا كيف أَثَّر أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في أتباعهم، حتى صارت مذاهبهم أهم المدارس إلى يومنا هذا.

وعلى الصعيد الفردي نذكر تأثير أبي حنيفة على جاره السكير، وكيف تاب على يديه. ونذكر صمود جبل السنة الإمام أحمد بن حنبل ووقوفه في وجه المعتزلة والمأمون، وكيف حافظ هذا الإمام على عقيدة أهل السنة بخصوص القرآن الكريم ورفض القول بخلقه.

كما أننا رأينا صمود ابن تيمية رغم سجنه، وكيف كان له الأثر الكبير في المعارك، وكيف كان يفتي ويعلم ويقاتل. وإذا انتقلنا إلى الأندلس لوجدنا شخصاً مثل ابن حزم، وكيف أثر في التاريخ الإسلامي، وترك لنا المصنفات المختلفة، وكيف تحدى مخالفيه بقوله:

إن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري.

وفي العصر الحديث نذكر أعلام الدعوة الإسلامية كمحمد بن عبد الوهاب والأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا والمودودي والبنا وقطب والقسام وأحمد ياسين وأحمد ديدات والغزالي والألباني وابن باز وغيرهم كثير[١].

(١) ثناؤنا على هذه الأسماء لا يعني تطابقنا مع أقوال أصحابها في كل شيء، كما أن اختلافنا معها لا يعني إنكار ما قدمته.

وإذا كان أفراد في المجال السلبي قد أثَّروا في المجتمع مثل فرعون وأبي جهل وهتلر ونوبل وغيرهم فهل يليق بنا أن نشكك بتأثير أهل الخير في المجتمع؟؟.

شبهات حول التكليف بالدعوة

الشبهة الأولى:

وهذه الشبهة تقوم على قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤] حيث قال قوم: إنها دليل على أن القيام بالدعوة ليس مطلوباً من الجميع بل من بعضهم. وقد بيّنا سابقاً أن (من) للبيان وليست للتبعيض.

الشبهة الثانية:

تقوم على قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] حيث فهمها قوم بأن الله يطلب من المسلم أن يتنبه لنفسه، وأن يترك الناس وشأنهم. إن هذا فهم مغلوط؛ لأن سبب نزول الآية يبين لنا أن المقصود غير ما فهمه هؤلاء، فقد بيّن ابن الجوزي[1] في سبب نزولها قولين:

١- استهزاء المنافقين من المسلمين؛ لأن الرسول عليه السلام قد قبل الجزية من قبيلة «هَجَر» فشق ذلك على المسلمين.

٢- أن أقارب المؤمن كانوا يخاطبونه بقولهم: (سفَّهت آباءك وضلَّلْتهم) فنزلت الآية لتؤكد أن الله ألزم المؤمن بأمر نفسه، وأنه لا يؤاخذه بذنوب

(١) انظر زاد المسير ٢/ ٤٤١.

غيره. فليس في أسباب النزول ما ذكروا.

كما أن الاهتداء الوارد في الآية لا يتحقق إلا بإنكار المنكر، وعندها إذا قام بذلك فإنه لا يضره ضلال الضالين.

الشبهة الثالثة:

تقول: إن الباطل قد انتشر ولا يمكن إصلاح الأمور، ونرد عليهم بما قاله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]، فالدعاة يقومون بعملهم تنفيذاً لأمر الله، وحتى تقوم الحجة على المدعوين بغض النظر عن النتائج هل تتحقق أم لا؟. وإن كان واقع الحال يؤكد أننا نقطف ثماراً طيبة في ممارسة الدعوة، حيث الاستجابة لا بأس بها، سواء كان بدخول جدد إلى الإسلام أو بعودة المسلمين إلى دينهم.

الشبهة الرابعة:

استناداً إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] فالدعوة تُتعب الناس ولا طاقة لهم بها، ونرد عليهم بما يلي:

١- إن تعب الناس للدنيا والحصول على ثمارها أضعاف ما هو مقدم للدعوة.

٢- إن تعب الدعوة حلو يشعر به الداعي، وهو يقتدي بالأنبياء الذين تعبوا لأجل الدين.

٣- وإن التعب أمر عادي، والذين يدعون لغير الإسلام يتعبون قال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤] وتعبهم وهم على ضلال لم يدفعهم لترك دعوتهم الباطلة، فهل يليق بأهل الحق أن يقعدوا؟؟.

صفات الداعية

أولاً: الصدق:

لقد أمر الله بالصدق حيث جعله وصفاً لأنبيائه وأوليائه فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١]، وقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤]، وقال: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] بل قبل ذلك وصف كلامه بأنه الصدق فقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

ورغم أن الدعاة من جملة المؤمنين الداخلين تحت قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلا أن وصفهم بالدعاة يدعوهم إلى زيادة الصدق في أقوالهم وأعمالهم انسجاماً مع المكانة التي وضعوا أنفسهم فيها، وإن الصدق هو سير على طريق الأنبياء الذين غمرهم الصدق، كما أن اتصاف الدعاة بالصدق فيه تحقيق لمكاسب الدعوة، فالكاذب يكتشفه المدعوون ولا يستجيبون لدعوته.

ولعلنا مدعوون لتدبر وصف المشركين في مكة للرسول عليه السلام قبل وبعد الرسالة بأنه (الصادق الأمين). لقد انتزع هذا الوصف منهم بالسلوك لا

الكلام، بالواقع وليس الادِّعاء.

وإن الداعية مطالب بأن يتذكر أنه يتعامل مع الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى، فإذا ترك الصدق فإن الله تعالى لن يقبل عمله، ولن يستجيب الناس له، وبهذا يتحقق له الفشل دنيا وأخرى.

ثانياً: الصبر والحلم:

إنّ هذه الصفة صفة أساسية للداعية؛ لأنه يتعامل مع أصناف من المدعوين فيهم الجاهل والسفيه والصفيق، وقد يجهل الناس عليه، وقد يتطاولون، بل قد توجه له الإذاية، وبالتالي فإنه مدعو للصبر، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

إن الصبر مراتب ودرجات، منها الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على المدعوين، والصبر على الفقر، والصبر على البلاء.

وقد مدح الله تعالى أنبياءه لصبرهم فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤] ومدح إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]. وعلى الداعية أن يستعرض سِيَر الأنبياء والصالحين ليتذكر صبرهم مستعرضاً صبر محمد عليه السلام على أهل الطائف ومشركي مكة، وصبره على فقد الولد ومشاكل الأسرة، ولنتذكر صبر موسى عليه السلام على بني إسرائيل وجحودهم ومكرهم وخبثهم وتقلبهم وتطاولهم، وكذلك صبر عيسى عليه السلام على أذى قومه، وصبر أيوب على مرضه،

وصبر إسماعيل على رؤيا أبيه إبراهيم والقاضية بذبحه، وصبر يوسف على إخوته، وكيد نسوة المدينة، وامرأة العزيز، وظلم العزيز، وكذلك نماذج الصبر بعد الأنبياء من خلفاء الرشد كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، وكذلك صبر علماء القدوة كسعيد بن جبير وأحمد بن حنبل وابن تيمية وغيرهم من علماء عصرنا هذا.

ثالثاً: الرحمة والشفقة:

لقد أثنى الله تعالى على محمد ﷺ وبين لنا أنه: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وأنه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وأنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة:١٢٨] وبين لنا عليه السلام أنه مع أمته كرجل يدفع الفَراشَ أنْ تقع في النار، وهي تصر على ذلك[1].

إن المؤمن وبخاصة الداعية مطالب أن ينظر للناس بعين الرحمة وبشعور الشفقة، ولهذا فإنه يتودد إليهم ويتقرب منهم، ويخاطبهم بالتي هي أحسن؛ لأنه حريص على إيمانهم والتزامهم، وهذا ما نراه في القرآن الكريم حيث كان كل نبي يخاطب قومه بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ [البقرة:٥٤] فأنا منكم وأنتم مني، وأنا أريد لكم الخير.

وها هو لقمان ينادي ابنه بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [لقمان:١٣]، وها هو إبراهيم عليه السلام يخاطب والده الكافر بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [مريم:٤٤] وكان سيدنا محمد ﷺ يدعو لقومه بالهداية فيقول: (اللهم اهد دوساً)[2]، وقال: (اللهم

(١) رواه البخاري ٦/ ٤٥٨ رقم ٣٤٢٦، ورواه مسلم ١٥/ ٤٩.

(٢) رواه البخاري ٨/ ١٠١رقم ٤٣٩٢، ورواه مسلم ١٦/ ٧٧، وأحمد ٢/ ٢٤٣.

اهد ثقيفا)[1]، وقد مدح النبي عليه السلام نفسه بقوله: (أنا محمد.. ونبي الرحمة)[2].

والشفقة والرحمة ليست ادعاءً يدعيه الداعي بل هي ممارسة، وإشعار للمدعو بأنه يحب له الهداية، حريص عليه، يتمنى له الخير، وبهذا يتجنب الداعي التشهير والتعيير والتنديد، بل يذكر المحاسن ويتمنى أن تزيد، ويذكر الخطأ ويتمنى زواله، وأن هذا المدعو يستحق كل خير.

رابعاً: المخالطة والعزلة:

لقد سُمي الإنسان إنساناً لأنه يأنس بالآخرين، فلا يستطيع الحياة إذا كان وحده مهما أحاطت به من ملذات وخيرات، ولعل هذا هو السر في أن الله تعالى خلق لآدم زوجةً منه، فهي قريبة منه، والعيش في الجنة رغم طيبها لا يستساغ إلا بوجود إنسان آخر يأنس به، ويتحدث إليه. ولما أغرق الله تعالى الكافرين بدعاء نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] أمره أن يحمل معه في السفينة من كلٍّ زوجين اثنين، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]. فالمؤمن يخالط الناس سيراً على درب الأنبياء، لأنه لا دعوة بدون مخالطة. إن هذه المخالطة لا تتعارض مع العزلة الجزئية حيث يحتاج الإنسان إلى فترات يخلو فيها لنفسه لمراجعة الحساب ونقد الذات، ولكنها ليست العزلة الدائمة، لأن العزلة الدائمة تعني ترك الناس للشياطين ولدعاة

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ٧٢٩ رقم ٣٩٤٢، وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد ٣/ ٣٤٣.

(٢) رواه مسلم ١٥/ ١٠٥.

الفساد والمنكر، ولا يمكن أن يتم الإصلاح باعتزال الناس.

وفي واقعنا نرى ثماراً طيبة لوجود الدعاة بين الناس، حيث يهتدي الناس على أيديهم، ويعود الشاردون إلى الإسلام، بل نرى إقبالاً هائلاً؛ لأن الخير دفين في الناس، ويحتاج إلى من يحركه، وهذا هو دور الدعاة والمصلحين. إن ديننا لا يقبل الرهبنة ولا الاعتزال المطلق، بل إن المؤمن يحب الخير لنفسه وللآخرين، فيصبر على أذى الناس لمصلحة أكبر وهي الإصلاح، قال عليه السلام: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم)[1].

خامساً: الفهم:

لا يستطيع الداعية إلى الله أن يبلغ دعوته ما لم يكن فاهماً لها، فبدون الفهم يقع التخبط، وعوضاً عن نشر العلم فإنه ينشر الجهل، ولهذا فإن الداعية مطالب بالعلم والتعلم والتعمق ليصل إلى الفهم الصحيح قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ ﴾ [الأنبياء:٧٩]، وللوصول إلى الفهم لا بد من الجلوس إلى العلماء الحقيقيين الذين فهموا الدين حق الفهم، وامتلكوا القدرة على نقل علمهم ليغرسوه في الأجيال؛ ليبقى هذا العلم متوارثاً عن الأنبياء ثم العلماء إلى قيام الساعة.

وقد بين لنا عليه السلام أن الأنبياء لا يورّثون الدرهم والدينار، وإنما يورثون هذا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر[2]. وهذا بالطبع لا يعني

---

(١) رواه ابن ماجة ٢/١٣٣٨، وأحمد ٢/٤٣، والترمذي ٤/٦٦٣ بلفظ (المسلم).

(٢) رواه الترمذي ٥/٤٨ رقم ٢٦٨٢، ورواه أبو داود ٣/١٤٢ رقم ٢٩٦٨، ورواه النسائي ٧/١٣٦.

أن الدعاة لا يكونون إلا من أهل الاختصاص الشرعي، بل كل مسلم مطالب بأن يدعو وفق طاقته وعلمه، وإنْ كان أهل الاختصاص هم القدوة والطليعة في هذا المجال.

إن الفهم المطلوب هو العلم اللازم للدعوة من حيث التعرف على القواعد الكلية في الإيمان والاعتقاد ودلائل صنع الله تعالى للكون، ودلائل النبوة، وإعجاز القرآن، وغير ذلك مما يحول دون جهل الداعية ونشره للقصص والروايات التي لا أساس لها. وهنا نستحضر قولاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذْ يقول: (تفقهوا قبل أن تُسوَّدُوا)[1].

سادساً: الغيرة:

لقد أثنى الرسول عليه السلام على الغيرة التي تكون لله إذْ قال: (إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه)[2]، وفي الحديث: (من الغيرة ما يحب الله عز وجل، ومنها ما يبغض الله عز وجل)[3] فبعض الغيرة ممدوح وهو ما كان لله، وبعضها الآخر مذموم، ألا ترى الغيرة الاجتماعية قد توصل إلى خراب البيوت ما لم تكن في مجالها، حيث تُدخل بعضَ الأزواج في الشك الذي يقود إلى المشكلات. ولكن بنفس الوقت فإن من لايغار على عرضه فإنه قد فقد معاني الرجولة والإباء والحمية.

---

(١) رواه البخاري ١/ ١٦٥، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، قبل الحديث (٧٣).

(٢) رواه البخاري ٩/ ٣١٩ رقم ٥٢٢٣، ورواه مسلم ١٧/ ٧٨.

(٣) انظر سنن أبي داود ٣/ ٥٠ رقم ٢٦٥٩، وسنن النسائي ٥/ ٧٨، وسنن ابن ماجه ١/ ٦٤٣ رقم ١٩٩٦، وسنن الدارمي ٢/ ٧٣ رقم ٢٢٣٢، وأحمد ٥/ ٤٤٥.

وفي مجال الدعوة لا بد أن تكون الغيرة في مكانها، فقد كان عليه السلام لا ينتقم[1] إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله. أما في حقه الشخصي فقد كان متسامحاً، وهنا نستذكر غضبه عليه السلام حين تَشَفَّع أسامة بن زيد في حد من حدود الله[2]. وعليه فإن الدعاة مطالبون بالغيرة لدين الله ولمحارمه ولكل تجاوز على الإسلام ومبادئه، أما حقوقهم الشخصية فإنهم مدعوون للتسامح، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ * وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧]. ولا بد أن يكون رد فعل الدعاة (حين وقوع الغيرة) منضبطاً بالشرع، فلا يتجاوزون في القول أو الفعل، لأنهم ليسوا كبقية الناس، بل هم قدوة يراقبهم الناس في الرضا والغضب، وعلينا نحن الدعاة أن نستذكر أن المنافقين هم الذين إذا خاصموا فجروا[3]، أما المؤمنون فخلقهم التسامح والعفو.

سابعاً: الروحية:

يؤمن المسلمون أن الله تعالى خلق الإنسان من طين ونفخ فيه الروح، وما صار إنساناً إلا بوجود النفخة ودخول الروح، فبالروح صار إنساناً لكنه قبل ذلك كان طيناً تدوسه الأقدام. بالروح حلّق في الأعالي، وأخذ يناجي، وصار في مرتبة أهّلته كي تسجد له الملائكة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وعلى الجهة المقابلة فإن خروج الروح هو دلالة الموت، وعندها تهون جثة الإنسان على أقاربه، فيضعونه تحت التراب

(١) رواه البخاري ٦/٥٦٦ رقم ٣٥٦٠.

(٢) رواه البخاري ٦/٥١٣ رقم ٣٤٧٥، ورواه مسلم ١١/١٨٦.

(٣) رواه البخاري ١/٨٩ رقم ٣٤، ورواه مسلم ٢/٤٦ رقم (٥٨).

في ظلمات الأرض ووحشة القبر، ومع الديدان؛ لكل ذلك كانت الروح موضع عناية، فكانت الصلاة والتهجد والذكر والمناجاة كي يزداد ارتفاع المؤمن عند الله، ومن كان هذا حاله فإنه أقدر على الدعوة؛ لأنه يتكلم مع الناس من أشواقه الروحية، يدعوهم لمشاركته إياها، وللتنعم في ظلالها، وبالروحية يتحمل المشاق، ويصبر على البلاء، ويدرك أن كل سلبيات الحياة ما هي إلا ابتلاء، فيصرُّ على النجاح معلناً إيمانه المطلق بأنه يُؤْجَرُ على صبره، حتى الشوكة يشاكها كما ورد في الحديث الشريف(١). ولعل تميز الدعاة بالروحانية يجعلهم في مرتبة (في نظر المدعوين) عالية؛ لأنهم يخالطون الآخرين فيجدونهم متعلقين بالدنيا وزينتها، يجدونهم أنانيين طماعين، فإذا شاهدوا روحانية الداعي تعلقوا به، واستجابوا لدعوته.

ثامناً: العقيدة لا الحزب:

حينما نقول: إننا دعاة إلى الله أو إلى الإسلام أو إلى الدين، فهذا يعني أننا لا ننطلق في دعوتنا من حزبية ضيقة أو انتماء لفئة، فهذه الانتماءات إنما هي من باب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ولكنها لن تنقلب إلى صنم نعمل من أجله أو نتوجه له.

إن الإسلام يحارب الفئوية، ويبغض هذا النوع من العقول، لأنه يؤدي إلى النزاع والشقاق وتفرق المسلمين وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ولعل هذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]. حتى الذين جاؤوا يهاجمون المدينة المنورة إنما كانوا (أحزاباً)، ولم يكونوا على

---

(١) رواه البخاري ١٠/١٠٣ رقم ٥٦٤٠، ورواه مسلم ١٦/١٢٨.

قلب رجل واحد، فهم قبائل ومشركون ومنافقون ونفعيون.

إن الداعية إلى الله يرجو رحمة الله والأجر منه ودخول جنته، إنه ينطلق في دعوته باحثاً عن الأجر العظيم (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم)[1].

إن هذا النهج يجعل الداعية يعيش في فضاء أرحب من فضاء الحزب أو الجماعة، بل هو فضاء السماء، وإن هذا النهج يريح الداعية من الحوار حول سلوكيات أفراد حزبه وممارساتهم؛ لأنه إنما يدعو إلى الإسلام، وإن القدوة التي لا غبار عليها إنما هي رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

تاسعاً: العقلية:

ليس عبثاً أن يُذَكِّرنا الله تعالى بالعقل ومكانته إذْ قال: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقال: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[الأنعام: ٥٠]، وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزكر: ٢١]، وقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٥٤]، فالعقل مناط التكليف، أي: لا تكليف بدون العقل، ولهذا فلا صلاة ولا صوم ولا حج ولا زكاة ولا غير ذلك من التكاليف الشرعية على من فقد عقله؛ لأنه قد رُفع عنه القلم.

والعقل يمنع الإنسان عن الوقوع فيما لا يليق، ولهذا حرّم الإسلام شرب الخمر وتداولها وصناعتها، لأنها تغطي العقل، وكذلك حرّم ما كان في حكمها مثل المخدرات، لأن الإسلام يريد المسلم يقظاً واعياً مفتوح العينين.

---

(١) سبق تخريجه هامش ١ صفحة ٨.

إن تحلي الداعية بالعقل يجعله قادراً على الوصول إلى عقول الآخرين وقلوبهم، وبعقله يطَّلع على كل ما يفيده في دعوته، وبعقله يفهم الاختراعات والاكتشافات العلمية، ويمكِّنه من التسلح بأدوات مهمة في رحلة الدعوة إلى الله، وبخاصة في زمننا هذا الذي فُتحت فيه أبواب كل شيء.

عاشراً: التواضع:

إن المتتبع لسيرة سادة الدعاة (الأنبياء) وعلى رأسهم محمد ﷺ يجد تواضعهم بارزاً، فالعبد كلما اقترب من ربه تواضع لخلقه، ولهذا قال عليه السلام: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[1].

إنّ دعاة الإسلام في أمس الحاجة للتحلي بهذه الصفة؛ لأنها ذات مردود إيجابي أكيد على دعوتهم، فالمدعو إنسان يتأثر بأسلوب الداعية وتعامله، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر.

إن النفوس المتكبرة لا يحبها أحد؛ لأن أصحابها غلاظ، يعيشون في أبراج عاجية من الوهم في الذات، يرون أنفسهم فوق الخلق، بينما خلق كثير أفضل منهم. وقد نبّه الله تعالى رسولَه محمداً ﷺ إلى ضرورة المعاملة الحسنة مع المدعوين والأتباع فقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالداعية يريد استقطاب الناس، ولا يكون ذلك بغير التواضع والخلق الحسن. ويجب أن يتذكر الدعاة أنّ الله تعالى قد خسف الأرض بقارون؛ لأنه تكبر وأُعجب بنفسه وأنكر نعمة الله، قال

(١) رواه مسلم ١٦/ ١٤١، والترمذي ٤/ ٣٧٦ وقال: حسن صحيح.

عز وجل: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١]. وليتذكر الدعاة تواضع الرسول عليه السلام الذي كان يضع عباءته ليجلس معه الجليس، ويقف في الشارع لتتحدث معه امرأة عن شيء يخصها، ولا يتردد أن يتحدث مع طفل فقد عصفوره فيرفع معنوياته ويجفف دمعته.

إنّ التواضع طريق الوصول إلى قلوب المدعوين، وبغيره لن يفلح الدعاة في دعوتهم، ولن يصلوا إلى غايتهم.

حادي عشر: تقبل النقد:

إنّ الداعية إنسان يصيب ويخطىء، فهو ليس بمعصوم، وما دام الأمر كذلك فإنه بحاجة إلى من ينبهه إلى عيوبه وأخطائه، فهو لا يملك كل الحقيقة، وقد يخطىء في إيصال المعلومة إلى المدعو، وقد يخرج عن التعامل الأمثل، وقد يقول كلمة تثير المدعوين، وقد يقول كلاماً خطأً. كل ذلك يعني أنه قد يجابهه الآخرون ويبينون له خطأه، فإن كان داعية حقيقياً فإنه يتقبل النقد، ويرجع إلى الحق، لأنه من دعاته، أما رفض النصيحة فهذا يعني التكبر.

إنّ تقبل الداعية للنقد والنصيحة هو درس عملي للمدعو كي يعتاد الرجوع إلى الحق. وعلى الدعاة أن يتذكروا أن اسم (الحق) هو اسم من أسماء الله الحسنى، وأن المسلم (عبد) الحق وعليه أن يستجيب له، وعليه أن يكون قدوة في الانقياد إليه، وليتذكر الدعاة حديث النبي ﷺ: (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[1].

---

(١) سبق صفحة ٢٠ هامش ١.

لقد فتح الله تعالى لعباده التوبة، فالخطأ قد يقع، ولكن ذلك يقتضي التوبة والرجوع، لقد قال الحكماء: إنّ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، فليكن الدعاة رجّاعين إلى الحق، ضاربين المثل بالتمسك به والامتثال إليه.

ثاني عشر: الحكمة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة:٢٦٩]، والحكمة هي وضع الشيء في مكانه، والحكماء هم المتحلون بالحكمة والممارسون لها والملتزمون بها. والداعية باحث عن الحق، وهو شديد الرغبة في استجابة المدعوين لدعوته.

وإذا كان حريصاً على ذلك فعليه أن يكون حكيماً في التعامل معهم، حكيماً في أسلوب حديثه وموضوعاته ومدخله إلى نفوس الناس، عليه أن يتحين الفرصة المناسبة لعرض دعوته، يصارحهم ولا يقارعهم، يجذبهم ولا ينفرهم، يحببهم ولا يكرِههم.

لقد قالوا قديماً: (أرسل حكيماً ولا توصه) لأنه يحمل الحكمة، وهي التي رأيناها في جعفر بن أبي طالب يوم هاجروا إلى الحبشة، فلحقهم مشركو مكة يؤلبون عليهم النجاشي، فما كان من جعفر إلا أن قرأ عليه سورة مريم التي توضح إيمان المسلمين بعيسى ابن مريم، وأنه كلمة الله، وأن أمه مريم عفيفة شريفة طاهرة.

ثالث عشر: العدل في الخصومة والمحبة:

لقد أمر الله تعالى بالعدل بين الناس قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨]، فالعدل صفة من صفات الحكم الإسلامي، والله تعالى هو الحكم العدل بين الناس يوم القيامة قال تعالى: ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٧]، والعدل مطلوب في التعامل الاجتماعي والاقتصادي، فلا بد من العدل بين الأولاد والأزواج، ولا يجوز تطفيف الميزان، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١-٣].

وعدل الداعية مع المدعوين أمر ضروري، وهو أسلوب لجذبهم، فالداعية لا يخاصم خصومة فجور، بل يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ولا يحب حب العشاق، بل يعتدل في خصومته ومحبته، لا يسرف في هذا أو ذاك، بل يتوسط في ذلك، قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وسبب الوسطية هو ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فلا يمكن أن يكون شاهداً من لم يكن وسطاً، أي: عادلاً.

وتظهر وسطية وعدل الداعي من خلال تعامله مع المدعوين الذين هم جماعات شتى من الناس. أصناف وأطباع وعادات وتقاليد، وكل هؤلاء لا يمكن إحسان العلاقة معهم إلا بالتحلي بالعدل حباً وخصومة، لأن الهدف هو رضا الله، وتمثيل دعوة الإسلام، ومحاولة استقطاب المدعوين.

رابع عشر: القدوة:

يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو القدوة المطلقة التي لا عيب فيها ولا نقص ولا تتعرض لانتقاد، بل يشهد له أعداؤه، حتى قالوا عنه رغم أنوفهم: (إنه الصادق الأمين). أما غيره من المسلمين، ومهما علت مرتبتهم، فإنهم القدوة النسبية، تعرف منهم وتنكر، نعم على الداعية أن يبذل كل جهده ليكون قدوة في نظر المدعوين، فإذا أمرهم بالصلاة كان أولهم، وإذا أمرهم بالصدقة كان أكرمهم، وإذا دعاهم للجهاد كان قائدهم.

أما إذا لم يلتفت الداعية إلى ذلك، فإنه سيكون قدوة سلبية، ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢]، وإذا صار الداعية في هذا المستوى لم يستجب له الناس، لأنهم سيعتقدون أنه لو كان صادقاً لاستجاب لها، فكيف يدعو إلى شيء ويتركه؟ وكيف يطالبنا أن نلتزم وهو لا يلتزم؟.

إنّ الداعية الذي لا يراعي القدوة في دعوته يساهم في ابتعاد الناس، وبهذا يكون داعية للسوء والشر، وهذا لا يقبله الداعية الصادق مع ربه والمحب لرسوله.

خامس عشر: الثقافة:

لابد أن يتحلى الداعية بثقافة عالية في مجالات شتى، لأن كل وعاء ينضح بما فيه، ففي العقيدة لابد أن يعلم الداعية أساسيات العقيدة: وهي أركان الإيمان وأدلتها، وكيف يرد على شبهات الملحدين والمنافقين

والزنادقة، دون أن يخلط ثقافته بخزعبلات الفلسفة السوفسطائية التي لاجدوى من ورائها، وهي فلسفة الجدل الفارغ الذي لا ينبني عليه عمل.

وفي القرآن وعلومه، لا بد أن يحفظ من القرآن ما استطاع ليستدل به أثناء دعوته، كما أنه مطالب بالاطلاع على بعض كتب التفسير حتى يكون استدلاله بالآيات في موضعه، ولا بد أن يتعرف على إعجاز القرآن وجواهره وأسراره وروعة خطابه، وفضائل السور والآيات مع إدراك لعبر قصصه وأمثاله.

وفي السنة وعلومها، عليه أن يتعرف على السنة وأقسامها ومكانتها، وعليه أن يعرف ما نسب إلى الرسول عليه السلام حتى يدافع عن السنة ناهيك أن يساهم هو في نشر ما هو مكذوب ومدسوس على النبي ﷺ، ولا بد أن يقرأ السيرة قراءة واعية فاحصة.

وفي الفقه يحتاج إلى علم ينشره بين الناس، ليخلصهم من المخالفات العديدة التي يقعون فيها، وبخاصة في هذه الأيام، حيث تنتشر المحرمات كالربا والزنا والخمور والمخدرات.

وعليه أن يتابع كل جديد، ليسأل من هو أعلم منه فيما يَجِدّ من مسائل كأطفال الأنابيب، والتلقيح الصناعي، والاستنساخ، والصلاة في الفضاء، وجمع وقصر الصلاة في السفر، وكذا الصيام في القطبين. وليحذر الداعية من إغراق الناس في الخلافات الفقهية بل عليه أن يبتعد عن الآراء المتشددة والغريبة.

وفي القواعد الشرعية والأصول، عليه أن يتعلم ما يلزمه في دعوته كقاعدة (أخف الضررين)، وقاعدة (درء المفاسد أولى من جلب المنافع)، وقاعدة (الضرر يزال)، وقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)،

وقاعدة (الأمر للوجوب ما لم تصرفه قرينة) وهكذا.

وفي التاريخ، عليه أن يلم بالتاريخ بصفة عامة من عهد الرسول إلى الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والعثمانيين، عليه أن يتوقف في قصة السيرة وتاريخ العهدين المكي والمدني، كما لابد أن يتوقف عند المحطات السلبية ليعرفها؛ لأنه سيسأل عنها مثل الخلافات التي وقعت بين الصحابة.

وفي اللغة والأدب والشعر لابد أن يتسلح بما يساعده في دعوته، ولطالما استدل الدعاة بأبيات من الشعر وعبارات من الأدب، ولعل الوقوف على جماليات فقه اللغة وأسرارها، كل ذلك يساعده لاستقطاب المستمعين.

وفي الثقافة الإنسانية فائدة كبرى، حيث يشعر المدعوون أن هذا الداعية غير مغلق على نفسه، بل إنّه يقرأ في شتى العلوم والفنون، يشاركهم حديثهم وتخصصاتهم، يطلع على علم الاجتماع وعلم النفس وعلم القانون وعلم السياسة وتاريخ البشر وحضاراتهم.

وفي الثقافة العلمية استدلال كبير أثناء الدعوة حيث يتابع الداعية مجريات العلوم والاكتشافات، وارتياد الفضاء، وكشف العناصر والقوانين العلمية في الطب والكيمياء والهندسة والأدوية، كل ذلك يفيده في نشر دعوته بين عموم الناس.

وفي الثقافة الواقعية نطلب من الداعية أن يتعرف على واقعه بدقة حتى يعرف أين ومتى يضع قدمه، وما هي الكلمات الأنسب للواقع مكاناً وزماناً، وما هي الأساليب الأنسب لكل حالة. إنّ الرسول عليه السلام قد نصح

أصحابه أن يتوجهوا إلى الحبشة يوم شكوا له ظلم المشركين فقال: (إنّ بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد)[1]، وإذا كان الرسول يُوحى إليه، فإننا مدعوون لمعرفة الواقع والأحوال لنستفيد منها، ونوظفها لمصلحة الدعوة الإسلامية.

لا بد للدعاة من الكتاب والإحصاء والتعرف على العادات والتقاليد واللغات والطباع، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]. إنّ مسلمي هذا الزمان وبخاصة الدعاة مطالبون بمعرفة واقع العالم وقواه وأحلافه، وسياسات دول العالم والخلافات بين الأمم.

إنّ الدعاة مطالبون بمعرفة أحوال المسلمين في العالم وحاجاتهم ومشكلاتهم وكيفية مساندتهم، إنهم مدعوون لمعرفة فن التجارة العالمية والإعلام العالمي، إنهم مدعوون لمعرفة المخططات الرهيبة الدولية وكيفية مواجهتها.

إنّ تحلي الداعية بهذه المعرفة تجعله يخطو خطواته بالاتجاه الصحيح مكاناً وزماناً وتوقيتاً، وتجعله يختار كلماته الشفوية والمكتوبة، وتدعوه لتوظيف أموال المسلمين في الموضع الأنسب.

إنّ معرفة الدعاة بنهب خيرات المسلمين من قبل أعدائهم تدعوه إلى التحذير من ذلك، وتدفعه للمناداة بعودة الأموال والعقول المهاجرة إلى بلاد المسلمين كي لا يستفيد منها عدوُّنا فيحولها إلى سلاح ضدنا. لقد كان عليه السلام يبحث عن مخرج لأصحابه الذين وقع عليهم البلاء في مكة، كما أنه

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ٧ / ١٨٨ نقلاً عن ابن إسحاق.

كان يبحث عن أرض تكون قاعدة لدعوة الإسلام، فاجتمع بالقبائل التي كانت تَرِدُ مكة للتجارة أو الحج، فيعرض عليها الدعوة وكانت في النهاية يثرب (المدينة المنورة) هي المأوى والملجأ والقاعدة.

إنّ التعرف على واقع الناس والدول والأشخاص والأسواق والإعلام والتعليم وغيره، كل ذلك يساعد الدعوة والدعاة علىالسير في الاتجاه الصحيح.

وإنّ الوصول إلى هذه الثقافة الواقعية إنما يتم بالمتابعة والمطالعة، متابعة الإعلام والمطبوعات والصحافة واستخدام الأدوات الجديدة كالإنترنت.

كما إنّ قيام الدعاة بزيارات الأقطار والاجتماع بأهلها في عقر دارهم، أو الالتقاء بمسلمي العالم في موسم الحج، كل ذلك يساعد على الوصول إلى حقيقة الواقع الذي يعيشه الناس، وهذا يساعد على تقديم الحلول واستخدام الأساليب المثلى.

الوحدة الرابعة

المدعو

أولاً: تعريف المدعو:

هو الإنسان، أيّ إنسان كان، فهو يشمل الرجل والمرأة، والصغير والكبير، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والأسود والأبيض، والعالم والجاهل. . . . إلخ.

وهو تعريف نتحرز به عن (الجن) فنحن غير مكلفين بدعوتهم؛ لأن ذلك فوق طاقتنا، كما أنه أمر خاص بالرسول ﷺ، ولا اقتداء لنا به في هذا.

والسبب في تعميمنا الإنسان بأن الرسالة الإسلامية عامة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ ﴾ [النساء:٧٩]، وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨].

ثانياً: حقوق المدعو:

للمدعو حقوق ينبغي على الدعاة معرفتها من أجل أدائها وهي:

١ - **أن يُؤتى ويُدعى**: فلا ينبغي للداعية أن ينتظر حضور المدعوين إليه، لأن وظيفة الداعية كوظيفة الرسول وهي البلاغ، وهذا أمر لا يتحقق من جالس منتظر. كما أن معنى صفة الشفقة والرحمة عند الداعية تقتضي منه أن يسعى للمدعو ويأتيه، كما أن الداعية مدعو لإدراك أن المدعو كالمريض

المحتاج إلى العلاج، ولا ينبغي لمن يملك الدواء أن ينتظر مجيء المريض، بل يسرع إليه مع الانتباه إلى أن المرض هنا مرض نفسي، وهو أخطر من المرض الجسدي الذي يشعر به المريض بخلاف الآخر (المرض النفسي) حيث يظن بعض المدعوين أنهم على صواب ولا يعانون من أي شيء آخر.

٢ - **أن لا يستهان به**: فلا ينبغي أن نسخر منه، وربما كان شخص في نظر الناس ليس بشيء، ولكنه عند الله شيء كبير، وله وزن عظيم، ومستقبل مشرق في الدعوة الإسلامية، وهنا أذكّر بأن بعض الناس قد ضحكوا من دقة ساقي ابن مسعود، فنبههم النبي ﷺ إلى أنهما أثقل في الميزان من جبل أحد.[(١)].

ولنذكر أن موازيننا قد لا تتفق مع موازين الله، ولنذكر أن رائحة فم الصائم عندنا كريهة، ولكنها عند الله أطيب من ريح المسك، لأن تغير رائحة الفم هنا قد نتج عن طاعة الصيام، بخلاف الرائحة الكريهة الناتجة عن السكر أو ترك السواك ونحوه. علينا أن نعيش في ظلال حديث المصطفى عليه السلام حينما قال: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه)[(٢)].

وإنّ الإسلام يرفض السخرية ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [الحجرات: ١١] وبما أن هذا المدعو إنسان فمن حقه أن يُدعى، ثم إننا لا نعلم من سيستجيب، فقد دعا عليه السلام كبراء مكة كأبي جهل فلم يسلم، ودعا فقراء كبلال فأسلم. ونحن لا ندري على يد من سيقع الخير في المستقبل فرغم ضعف أبي ذر لكنه كان إماماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ضعفه كان في الجانب الإداري، ولهذا لم يعطه عليه السلام الولاية.

---

(١) رواه أحمد ١/ ٤٢١.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين (٢٦٢٢) (١٣٨).

ثالثاً: واجبات المدعو:

ولأن الحق يقابله واجب، فعلى المدعو أن يقدم واجبه بعد أن حصل على حقوقه، وأهم واجبين مطلوبين من المدعو هما:

١- أن يستجيب للحق ولنا في التاريخ عبر كثيرة ونماذج واضحة، فها هو الصديق رضي الله عنه يستجيب فوراً ولم يتلكأ، وها هم السحرة يعلنون إيمانهم بالله رب موسى، وكانت استجابتهم سريعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ﴾ [طه: ٧٣]، ولم ينتظروا إذناً من فرعون الذي استغرب هذا التمرد قائلاً: ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وهناك بعض المدعوين يستجيب ببطء كاستجابة طلقاء مكة وعلى رأسهم أبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة، وهناك من لايستجيب أبداً كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما.

٢- أن يقوم بالتطبيق، بعد سماع الحق والقناعة به، عليه أن يطبق ما هو مطلوب منه؛ لأن الإيمان يتبعه العمل قال تعالى: ﴿... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...) [العصر: ٣].

رابعاً: أصناف المدعويين:

يمكن تصنيف المدعويين إلى عدة تصنيفات حسب القاعدة التي ننطلق منها في التصنيف، فمثلاً إذا انطلقنا من الموقع والمسؤولية فإننا نقسمهم إلى: ملأ وجمهور.

وإذا انطلقنا من الجنس، فإننا نقسمهم إلى ذكر وأنثى.

وإذا انطلقنا من السن فإننا نقسمهم إلى شيوخ وكهول وشباب وأطفال.

وإذا انطلقنا من الديانة فإننا نقسهم إلى مسلم وكافر ومنافق. وإذا توقفنا عند الوضع المادي فإننا نقسمهم إلى أغنياء وفقراء، وهكذا سنجد أنفسنا أمام تقسيمات عديدة تحتاج كلها إلى حديث مسهب لبيان الأسلوب الأمثل في التعامل الدعوي مع هؤلاء.

فالتصنيف حسب المسؤولية يجعلنا نقف أمام الجمهور والملأ.

وسنتناول من أصناف المدعوين على اختلاف هذه التقسيمات ما يأتي: ١- الملأ. ٢- الجهورة. ٣- الفاسقون. ٤- المنافقون. ٥- الأطفال. ٦- النساء. ٧- الأغنياء. ٨- الفقراء.

١ - الملأ:

والملأ هم أشراف القوم وسادتهم، والبارزون في المجتمع، وأصحاب النفوذ، والممارسون للقيادة فيه.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٠]، وقال: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ٤-٧]. وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٥].

ونلاحظ في هذه الآيات غطرستهم واستكبارهم وعداوتهم للدعوة.

أسباب عداوة الملأ للدعوة:

إن لعداوة الملأ للدعوة أسباباً كثيرة منها:

١- الكبر: قال تعالى عن فرعون: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وقال عن قوم عاد: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦] وقال عن قوم نوح: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ [هود: ٢٧] فهم مُعْتَدّون بآرائهم يسخرون من أتباع نوح عليه السلام.

وها هو أحد الطغاة من الملأ ألا وهو فرعون يقول: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، ويقول: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] وجاء في القرآن على لسان أبي جهل: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] فهم يعتقدون أن النبوة يجب أن تكون لأصحاب الجاه والسلطان؛ لأنهم يعيشون كبراً على الكبر والمتكبرين، فقد قال تعالى عن قارون: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١] وقد بيّن عليه السلام في الحديث أن رداء الكبر لله تعالى[1]، وقال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[2]، وعلامَ يتكبر الإنسان وقد خلق من ماء مهين، ويحمل في بطنه العذرة (الوسخ)، وإذا مات صار جيفة لها رائحة كريهة يواريها الناس تحت الأرض حتى لا تفسد الحياة؟! وليذكر هؤلاء المتكبرون أنهم حين يموتون يتركون مناصبهم

---

(١) رواه البخاري ١٣/ ٤٢٣ رقم٧٤٤٤.

(٢) رواه مسلم ١/ ٨٩ (٩١) (١٤٧)، ورواه أحمد ١/ ٣٩٩.

وأموالهم ولا يدخل معهم إلى قبورهم إلا العمل.

٢- **حب الرئاسة والجاه:** ولهذا يحاربون الإسلام؛ لأنه يسلبهم جاههم، ويجعل الحكم لله لا لهم، بل هم كغيرهم ينتظرون حكم الله، وقد ظنوا أن محمداً مثلهم، أو هكذا تصنعوا ليبرروا حبهم للمناصب، فاتهموه بحبها، ولكنهم فوجئوا أنهم حينما عرضوا عليه الجاه والمنصب رفض، وقال كلمته: (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)[1] وهي تهمة جاهزة من كل ملأ عبر العصور، سجلها القرآن عليهم بقوله تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

٣- **الجهالة:** فهم يصفون المؤمنين بالجهل والضلال وخفة العقل، وأن الدعاة مفسدون وسحرة، قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧]، وقال: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

أسباب ضلال الملأ:

لضلال الملأ أسباب عديدة منها:

أ - اعتقادهم بالطبقية: فهم يعتقدون أنهم طبقة عليا وأن الناس دونهم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

ب - الاعتراض على بشرية الرسول: وهو نوع من التحايل، قال تعالى:

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢١٣.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ ﴾[التغابن: ٦].

ج- تقليد الآباء: قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

د - الاعتقاد أن الأنبياء مفسدون: قال تعالى على لسان فرعون: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

٢- الجمهور:

وهم معظم الناس وأكثرهم، وهم المرؤوسون التابعون، وعلى العموم هم الفقراء والضعفاء، ويمتازون بسرعة الاستجابة، وهي سلاح ذو حدين، ولهذا لانغتر بوقوفهم مع الحق في لحظة؛ لأنهم قد يغيرون موقفهم في لحظة أخرى، وإن من يستجيب لي سيستجيب لغيري.

ويعود سبب سرعتهم في الاستجابة إلى أنهم ليس لديهم ما يعيقهم من الدنيويات، كما أنهم غير متكبرين في الجملة.

- هل يتأثر الجمهور بالملأ؟؟

بالطبع يمكن أن يقع ذلك لأسباب عديدة منها:

١- أنهم سريعو التأثر بما يسمعون وللملأ آلة إعلامية هائلة.

٢- أنهم فقراء، والملأ يملكون المغريات التي تستقطب هؤلاء الفقراء.

٣- أنهم يخافون، والملأ يملكون وسائل الإرهاب والتخويف.

٤- أنهم لايملكون القدرة على تفنيد الشبهات التي يلقيها عليهم الملأ عن الدعوة والدعاة.

والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقوله: ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].

وقوله ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦].

والجمهور قد يكونون صالحين، وقد يكونون عصاة أو منافقين، وسنتناول هذين النوعين بشيء من التفصيل.

٣- العصاة:

العاصي: هو صنف عنده أصل الإيمان، ولكنه لا يقوم بحقوق هذا الأصل، وهم درجات قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

والعصيان وإن كان مرفوضاً شرعاً لكنه يرافق الإنسان منذ بداية وجوده، فقد أكل آدم من الشجرة، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقتل ابن آدم الأول أخاه، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، وفي الحديث الشريف: (كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[1] وفيه أيضاً: (لو أنكم لم تكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم)[2] ويؤكد الإسلام لنا أن

(١) سبق ص ٢٠ هامش ١.

(٢) رواه مسلم ١٧/ ٦٥

الإنسان غير معصوم باستثناء الأنبياء الذين عصمهم الله تعالى.

وللعصيان أسباب عديدة:

١- ضعف القلب وغلبة الشهوة، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦].

٢- الجهل، قال تعالى: ﴿... لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧].

٣- إغواء الشيطان، قال تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النحل: ٦٣].

٤- البيئة الفاسدة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال عليه السلام: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[١].

ولعلاج المعاصي لابد من توفير المناخ الملائم للعاصي ليعود إلى طريق الصواب، وكذلك التبشير برحمة الله، وأن الله يقبل التوبة مهما كان حجم المعاصي، ولعل هذا يعطي العاصي أملاً برحمة الله، فتنهض نفسه، وتشتد إرادته للخير.

وهنا نذكر بحديث[٢] الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً فلما أراد أن يتوب وبَّخه أحدهم ولعنه، فما كان منه إلا أن قتله، وصار في رقبته مائة نفس، ومع ذلك وجد عالماً ربانياً، فبين له أن باب التوبة مفتوح،

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٤٥ رقم ١٣٨٥ ورواه مسلم ١٦/ ٢٠٧.

(٢) رواه مسلم١٧/ ٨٢.

٣- كما أنه قد يفاجيء المسلمين بأفعال لم يحسبوا حسابها.

٤- وتكمن خطورته أن ظاهره يخدع البسطاء.

وحتى يتعرف المؤمنون على المنافقين فقد كشفهم القرآن الكريم وبين صفاتهم على النحو التالي:

أ - أنهم أصحاب قلوب مريضة، قال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ب - أنهم مفسدون في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١].

ج- أنهم يتهمون المؤمنين بالسفه، قال تعالى: ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣].

د- أنهم أصحاب لدد في الخصومة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

هـ- أنهم موالون للكافرين متربصون بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

و- أنهم مخادعون مراؤون متكاسلون عن العبادة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢].

ز- أنهم يتحاكمون إلى الطاغوت، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠].

ح- أنهم يفسدون بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة: ٤٧].

ط - أنهم كاذبون وخائفون ويكرهون المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٦]، وقال عليه السلام: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب...)[1].

ي - أنهم يعيبون على أهل الحق، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقال: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ٧٩].

ك - أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧].

ل - أنهم غادرون غير أوفياء بالعهد، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

م - أنهم يتواصون بترك الجهاد، قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٨١]، وقال: ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ [التوبة: ٨١].

ص - أنهم يلحقون الضرر بالمؤمنين ويتسترون خلف العمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٧.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٧].

ع - أنهم يتعللون بالحجج الواهية، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: ٤٩].

وبعد هذه الجولة في أصناف المدعوين حسب موقعهم الاجتماعي والإيماني، يحسن بنا أن نتعرض لبعض الأصناف على وجه الخصوص لأهمية ذلك، ومن هذه الأصناف:

أ- الأطفال

ب- النساء

٥- الأطفال:

وهم الذكور والإناث دون سن البلوغ، وفوق سن التمييز. وهم صنف في غاية الأهمية، لأنهم جيل المستقبل، والعناية بهم عناية بمستقبل المجتمع. وقد اهتمت الشريعة الغراء بهم، حيث ذكرهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ [النور: ٥٩]، وتحدث لنا عن طفولة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام قال الله عز وجل: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢]، وقال: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص: ١٣]، وقال: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٧-٣٠]، وقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

وفي السنة النبوية مساحات واسعة عن الأطفال وتربيتهم وملاطفتهم نعرض إليها بعد قليل.

إن الدعاة مدعوون لتفهم نفسية الطفل كي يحسنوا التعامل معه في المنزل والمدرسة والمسجد والشارع والإعلام، ومن المناسب أن ننبه إلى بعض محطات الطفولة منها:

١- أنهم الجيل القادم.

٢- أنهم حساسون شفافون يتأثرون بأبسط الأمور.

٣- أن تعليمهم في الصغر هام جداً حيث تنطبع المعلومات في ذاكرتهم.

٤- أنهم ماديون ولابد من مخاطبتهم وفق ذلك.

٥- أن أسئلتهم كثيرة، وهم فضوليون، ولابد من الاستماع إليهم (انظر كتابنا الأسئلة العقائدية للأطفال والإجابة عليها).

٦- أنه لايجوز تركهم وإهمالهم

٧- أنهم بحاجة إلى التشجيع لمزيد من الإيجابيات في أعمالهم.

٨- أنهم بحاجة إلى شيء من (التدليل) والتكريم.

٩- أنهم يحتاجون إلى أدلة مادية لخلق القناعات الراسخة. (يقال: إن هتلر قد أمر بصناعة جنود ألمان من حديد، وجنود من الحلفاء من مواد هشة، وأمر الناس بشرائها لأطفالهم، كي يغرس في نفوسهم قوة الجندي الألماني)

١٠- أنهم يحتاجون إلى من يقتدون به لأن طبائعهم فيها التقليد.

١١- أنهم محبون للحوار والقصص.

١٢- أنهم يتلقون العلم بالمناسبات والفرص أكثر من التلقين المطول.

١٣- أنهم يتقبلون غرس الأشياء البسيطة في سلوكهم كالأكل والشرب والسلام.

هذه بعض الخصائص التي تحتاج إلى انتباه من الدعاة والمربين وهم يتعاملون مع الأطفال، كي يصلوا إلى أهدافهم التربوية عند الأطفال.

وإذا تدبرنا الهدي النبوي لوجدنا أن الرسول ﷺ كان شديد الاهتمام بالأطفال، فها هو يرى طفلاً يبكي لطيران عصفور من يده فخاطبه قائلاً: يا أبا عمير مافعل النغير. وإذ بالطفل يفرح لحديث الرسول ﷺ معه، وينسى العصفور، ليتنبه للتسمية الجديدة التي سمعها من الرسول ﷺ حين كناه بأبي عمير، وكأنه يقول له بأنك كبير، ولا يصلح منك البكاء، وهذا قمة علم النفس النبوي.

وفي محطة أخرى نجد المسلمين قد علقوا التمور في المسجد ليأتي الأطفال إليها بهدف الأكل، وبهذا تتعود أقدامهم السير نحو المسجد والصلاة فيه.

ونجد حرص الرسول عليه السلام على صيانة الأطفال وإبعادهم عن المخاطر، فحينما خرج للجهاد وإذ بطفل يرغب في الخروج معه ويلحقه آخر، وفي بداية الأمر لم يرغب عليه السلام أن يرافقاه، لكن إصرارهما دفعه لأخذ الأكبر جسماً منهما، وهنا تثور رغبة الصغير فيقول: إني أصرعه، وعندها طلب إليهما أن يتصارعا، فتغلب الصغير، فأخذهما معاً[١]، وبالطبع فهي عملية تشجيع على البطولة والشجاعة، لكن ذلك لايعني أن يتقدما صفوف المقاتلين.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٠.

٦- النساء:

اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤]، وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول: إن أول مخلوق آمن بمحمد عليه السلام هو امرأة (خديجة)، وإن أول من قدم ماله هو امرأة (خديجة)، وإن أول من استشهد هو امرأة (سمية)، وإن أسماء كانت صاحبة النطاقين، وإن المرأة هي أم الشهداء (الخنساء)، وإن أم عمارة وخولة قد جاهدتا بالسيف في سبيل الله تعالى.

وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً، فهي وإن كانت غير رجل، إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجال، إنها مربية الرجال. وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يوجه الدعاة جهداً كافياً تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها.

إن الدعاة مدعوون للتوقف عند بعض الصفات التي تتصف بها المرأة كي يقوموا بواجبهم تجاهها خير قيام، ومن تلك الصفات:

١- أنها كائن تغلب عليه العاطفة والرقة.

٢- أنها كائن يحب المداراة والمدح.

٣- أنها كائن صاحب عطاء إذا تم استيعابه.

٤- أنها كائن كالرجل قادر على الإيذاء والمكر إذا وقف تجاهها موقفاً سلبياً.

ونحن إذْ نتحدث عن المرأة ودورها الهام في المجتمع، فإننا نسعى إلى وجود داعيات عالمات قادرات على النشاط الدعوي في صفوف النساء والأطفال والمحارم والمجتمع كله.

ولابد من تكثيف النشاط لهداية النساء؛ لأن المرأة اليوم لا تزال في نظر عُباد المال والشهوات وسيلة لتدمير الأخلاق وتجارة الرقيق الأبيض. وإن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها، ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضاً حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه.

٧- الأغنياء:

خلق الله تعالى الإنسان وجبله على حب المال ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، ورغم أن المال نعمة من نعم الله، إلا أنه قد يميل بصاحبه ويحجبه عن التزام الطريق السوي، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧] وهذا ما نراه في واقع أغلب الأغنياء، وقليل منهم من التحق بركب الإيمان، واستخدم ماله في طاعة الله. من هنا وجب على الدعاة أن يتوجهوا بدعوتهم لهذه الفئة، شريطة إشعارهم وبوضوح أن لامطمع ولا مطمح للداعية في أموالهم، قال تعالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩]، وقال: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]، فالداعية يريد أن يعطي العلم الشرعي لهذا الغني، فإذا مد يده صار صاحب اليد السفلى، وهنا يسقط من عين الغني.

يجب إشعار الغني بأنه هو المحتاج، وأن ماله لم يقدم له العلم الشرعي، وأنه مدعو لشكر الله، وعليه أن يدّخر عند الله تعالى ما يبقى من أعمال

صالحة، لأن هذا المال لا ينفع إلا إذا أُنفق كما أراد الله، وأنه قد يكون حجة عليه يوم القيامة.

٨- الفقراء:

هم الفئة الأكبر في المجتمع، وهم غالب أتباع الأنبياء والمصلحين، فليس أمامهم ما يدفعهم إلى الاستكبار والغطرسة، فلا مال عندهم، ولا يجلسون في منصب، وهم عاشقون لجنة الله التي تعوضهم عما فقدوه في الدنيا. ومع ذلك فإن بعض الفقراء لم يتحملوا فقرهم، فغضبوا على القدر، وصاروا في مصيبتين: مصيبة الفقر ومصيبة الكفر والعصيان، وبالتالي وجب على الدعاة أن يراعوا وهم يدعون إلى الله تعالى هذه الفئة، وكيفية علاج الأزمة الروحية والنفسية التي يمرون بها.

وأول العناوين التي يجب إيضاحها أن الفقر لا يقلل من قيمة الإنسان عند ربه، وأن الفقير يحتاج إلى مزاحمة وعمل كي يحسِّن وضعه، كما أنه لا بد من التنبيه إلى أن الفقر لا يعني عدم حب الله للإنسان، فكم من غني يعيش على المعاصي، وبالتالي لا يحبه الله، فكان المال وبالاً عليه، وكم من فقير كان فقره خيراً له، حيث كان في صف المؤمنين. ولعل أصعب الصور أن يجمع الإنسان بين الفقر والاستكبار، وهذا ما ورد في الحديث الشريف الذي عدد نماذج من الذين لا يكلمهم الله، وذكر منهم: (...عائل مستكبر...)[١]، وأنه في الآخرة من أهل النار. ويجب تذكير هؤلاء أن سيد الخلق محمد ﷺ كان فقيراً لايملك من حطام الدنيا شيئاً، فقد مات ودرعه مرهونة، ومع ذلك فهو حبيب الله.

---

(١) رواه مسلم ١/ ١١٥، ورواه أحمد ٢/ ٤٨٠.

ولابد من تذكير هؤلاء بأن أموال قارون كانت عليه وبالاً، حيث خسف الله به وبداره الأرض، كما أن صاحب الجنتين (في سورة الكهف) قد وصل إلى الكفر حين اغتر ببستانيه.

كما إننا نبين لهؤلاء أن العمل الإسلامي، وطاعة الله، لا تتوقف على المال، لأن الإسلام يبني أحكامه على الاستطاعة، فقد كان أبو بكر وعمر وعثمان أغنياء، ودفعوا مالهم في سبيل الله، لكن علياً كان فقيراً ولم تقل مرتبته عنهم بحال من الأحوال، بل كان مجاهداً كبيراً، وشهيداً باراً، وقد صحب سيفه ذا الفقار دفاعاً عن الإسلام. وإذا كان أبو حنيفة غنياً، فإن أحمد بن حنبل لم يمنعه فقره من أن يكون إماماً، وجبلاً للسنة، وبطلاً في وجه المحنة التي حلت به.

خامساً: مشاكل المدعوين:

للمدعوين مشكلات لا بد من مراعاتها، ونحن نمارس الدعوة معهم، ومن هذه المشكلات:

١- المشاكل النفسية: فقد يكون بعضهم يتيماً أو عنده مشكلة نفسية أو ما أشبه ذلك.

٢- المشاكل الاقتصادية: كأن يكون فقيراً أو يعاني من البطالة، ولا بد هنا من الحذر من المخادعين الذين يدّعون الفقر بينما هم مالكون لمال كثير.

٣- المشاكل الاجتماعية: مثل أولئك الذين يعانون من التفكك الأسري والطلاق والأم الفاسدة أو الأب المقامر أو المدمن.

٤- المشاكل السياسية: فقد يكون المدعو مطلوباً لنظام حكم معين، وقد يكون ممنوعاً من السفر أو العمل وما أشبه ذلك.

الوحدة الخامسة

أساليب الدعوة ووسائلها

أساليب الدعوة: تتعدد أساليب الدعوة وتتنوع حسب الزمان والمكان، وكلها تسعى لتحقيق أهداف الدعوة، ومن هذه الأساليب:

أولاً: الدعوة الفردية والجماعية:

١- الدعوة الفردية:

أ- تعرف الدعوة الفردية:

وهي ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى شخص واحد.

وقد برز هذا الأسلوب في بداية الدعوة في العصر المكي حيث بدأ عليه السلام دعوته بين الأفراد فرداً فرداً، فمن خديجة إلى أبي بكر فعلي وهكذا، واتبع هؤلاء نفس الأسلوب في الاتصال بأقاربهم وأصدقائهم لكسب عناصر جديدة للدين الحق.

وهذا الأسلوب لا يتوقف عبر الزمان والمكان، وقد يكون عبر زيارة للشخص أو دعوته لزيارة الداعية في منزله أو مكتبه أو أي مكان، وقد يلتقيان في الطريق أو العمل أو في مناسبة اجتماعية سارة أو محزنة، أو قد تكون الدعوة زيارة مريض، وهكذا مما لا حصر له.

ب- خصائص الدعوة الفردية:

١- كثيرة الوقوع، فقد يمارس الداعية هذا الأسلوب عشرات المرات في اليوم الواحد.

٢- أنها عابرة، فلا يلزمها استعداد أو جهد أو وقت خاص.

٣- أنها يسيرة، فلا يصحبها توتر ولا جدال بل نقاش وبيان هادئ.

٤- أنها سهلة، فقد يمارسها أمي أو فرد بسيط من الناس، وهي بهذا حقل تدريب.

٥- أنها خفية، وبهذا تساعد الداعية على تنمية الإخلاص لديه.

٦- أنها فرصة ليفرغ الإنسان ما لديه، حيث يبدي وجهة نظره بكل حرية.

٧- أن حديثها حر، فيبدأ الداعية من حيث أراد، لأن مداخلها كثيرة ومتنوعة.

٨- أنها مستمرة، فلا تتوقف عبر الزمان والمكان، ولا تعيقها الظروف أياً كانت.

٩- أنها بداية دعوة الأنبياء، فمنها بدؤوا، فكما تقدم حيث دعا عليه السلام خديجة وأبا بكر وعلياً، ودعا إبراهيم أباه، ودعا نوح زوجته وابنه.

١٠- أنها طريق لتصفية المدعوين، حيث يتعرف عليهم الداعية عن قرب، ويفهمهم جيداً، ويصنفهم إلى مخلص ونفعي ومدسوس.

١١- أنها تضع كل مسلم أمام مسؤلياته، وبهذا تقضي على البطالة الدعوية.

١٢- أن خطأها مسترد، فإذا أخطأ الداعية فإنه يقدر على التصحيح؛ لأن المخاطب واحد.

١٣- أنها ذات طابع عمودي، حيث تعميق المفاهيم والغوص في نفوس الناس، فهي وإنْ كانت قليلة الإنتاج لكنها عميقة التركيز، وبهذا قد تكون هي الطريق الأسرع حقيقة.

١٤- أنها تنتج رواحل الدعوة، أي: الذين يحملون همها، فيكون الواحد

منهم أفضل من العشرات، وهذا ما يفسر حمل الجيل الأول للإسلام وتحملهم في سبيل الله.

١٥- أنها أسلم عاقبة، فالحديث فيها مأمون ولا يخشى على الداعية منه حتى لو زل لسانه.

ج- آداب الدعوة الفردية:

١- الأناة والتلطف: فلا يليق بالداعية إذا أراد الأجر والثواب والنجاح أن يكون فظاً غليظاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- احترام المدعو: وذلك بإظهار المودة له ومحبته وتقدير عقله ورأيه.

٣- دراسة المحيط: حيث لابد من التعرف على ظروف المدعو، أي: وضعه العائلي والنفسي والاقتصادي حتى يقع الكلام في مكانه.

٤- الانشغال بالمهم: فلا ينبغي للداعية أن يشغل نفسه والمدعو بصغائر الأمور، كأن يبدأ الحديث معه عن الأغاني والتصوير وما أشبه قبل أن يستقر الإيمان في قلبه.

٥- الاعتراف بالحق: فقد يقول المدعو شيئاً فيه حق، وعندها لابد من الاعتراف به، وفي هذا قدوة عملية أن الإنسان مدعو للإقرار بالحق، وبهذا يرتفع الداعية في عين المدعو.

٦- احترام الاختلاف: فإذا طرح المدعو رأياً من المسائل التي يصح فيها الخلاف فلا بأس في ذلك، بل هو دليل صحة أن هذا المدعو يفكر ويتفحص الأشياء ولا يسير عَمِيّاً، ولا ينبغي للداعية أن يفرض رأيه بحال.

٧- ترك الحرص على الانتصار للنتائج: فالداعية يقول ما عنده، أما نتيجة الحوار والدعوة فليس مسؤولاً عنها، بل عليه أن يقول كلمته التي قد يستجاب لها أو قد يعرض المدعو عنها، وإذا حصل ذلك فلا ضير؛ لأن الأنبياء قد استجاب لهم أناس، وأعرض عنهم كثيرون.

د- مراحل الدعوة الفردية:

١- **التعارف**: ولا نعني به مجرد معرفة الاسم الأول، بل الاسم كاملاً والعائلة والأسرة ومكان السكن والعمل، وإذا كان طالباً ففي أية مرحلة، وما الهوايات والاهتمامات وبخاصة المطالعة.

٢- **إيقاظ الإيمان**: فالإيمان موجود في نفس كل إنسان، قال عليه السلام: (كل مولود يولد على الفطرة)[١]

فقد يكون الإيمان نائماً فلا بد من إيقاظه وتحريكه في نفس المدعو وذلك بأسلوب لا يشعره بأنه غير مؤمن أو صاحب إيمان ضعيف، وذلك بأن تكون صيغة الكلام فيها التعميم (علينا، نحن، إيماننا) ونحو ذلك.

ويتم إيقاظ الإيمان بالتذكير بنعم الله وعظمته وضرورة الاستعداد للقائه، وبيان مدى تقصير الإنسان، وضرورة تلافي ذلك وعلاجه.

٣- **معاونته على أداء الطاعة**: فقد يكون المدعو تاركاً للصلاة، فيمكن اصطحابه إلى المسجد، أو الصلاة معه، والوضوء أمامه، ومن الممكن تقديم كتيب يشرح كيفية الوضوء والصلاة.

٤- **شرح مفهوم العبادة**: وأنها تستغرق حياة الإنسان، فكل عمل يقوم به الإنسان يمكن أن يكون عبادة، وذلك بأمرين:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

الأول: إخلاص النية لله تعالى.

الثاني: أن يكون العمل موافقاً للشرع الحنيف.

وفي هذا المجال ننصح بكتاب العبادة في الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي.

٥- **إيضاح الروح الجماعية لهذا الدين**: وأن الإسلام يطلب منا أن نصلي معاً، قال تعالى: ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، وأن نحج معاً، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، وأن نصوم معاً، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٣]، وقال: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٤].

وإن الإسلام ينبذ الأنانية ويدعو إلى أن ينفع الإنسان غيره، وأن المؤمن قوي بأخيه، ضعيف بنفسه، وهذه كلها لمنع المدعو من الانزلاق مرة أخرى.

٦- **المتابعة**: فلا ينبغي دعوة الشخص ثم تركه، بل لابد من تعهده ورعايته إلى أن يصل إلى مرحلة يصعب معها الرجوع السلبي. ولعل أفضل مرحلة هي أن ينقلب المدعو إلى داعية، وبهذا تثبت أقدامه بإذن الله تعالى.

٢ - الدعوة الجماعية (العامة):

أ- تعريف الدعوة الجماعية:

وهي ما كان الخطاب فيها موجهاً إلى أكثر من شخص أو إلى مجموعة من الناس. وقد برز هذا الأسلوب في المرحلة المكية، بعد أن كثر أتباع النبي ﷺ، حيث كان يخاطب حجاج بيت الله الحرام، وكما حصل حينما

جمع أقاربه وأنذرهم انصياعاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ب- خصائص الدعوة الجماعية:

١- أنها تشمل عدداً أكبر من الناس.

٢- أنها تعتمد على إثارة العاطفة (والعاطفة لها دور في بعض الأحيان).

٣- أنها تحقق نتائج سريعة.

٤- أنها تساعد على انتشار الدعوة بين الناس.

٥- أن طابعها أفقي انتشاري، فلا مجال للتركيز على فرد بعينه.

٦- أن الخطأ فيها غير مسترد، إذْ لا يتمكن الداعي من إصلاح خطئه لتفرق المخاطبين، ولهذا يجب أن ينبري لها المتمكنون من الدعاة.

٧- أنها تختصر الوقت بخلاف الدعوة الفردية.

٨- أنها تحتاج إلى جهد قليل من زاوية أن استعداد الداعية يوزع على عدد من المستمعين، بخلاف الدعوة الفردية التي تحتاج الاستعداد لكل شخص بعينه.

ج- آداب الدعوة الجماعية:

١- **اختيار الموضوع المناسب**: فلا يليق الارتجال إلا إذا كان لقاءً عابراً أما ما كان له ترتيب فلا بد من التحضير كخطبة الجمعة أو العيدين.

٢- **اختيار الألفاظ المناسبة**: فرب كلمة تفسد خطبة كاملة، ورب مصطلح

يسيء فهمه الناس، وشعارنا فيما نقول أمام الجمع (وليتلطف)، لطافة في الموضوع، ولطافة في التناول، ولطافة في العرض والنقد، ولطافة في العلاج.

٣- **الالتفات إلى مجموع الحاضرين**: فلا ينبغي أن يركز نظره على أناس دون غيرهم؛ لأن للعيون والتقائها لغة خاصة تساهم في ايقاع الكلمات في القلوب.

ولعل توزيع النظر يساهم في منع السهو والشتات الذي يصيب بعض الحاضرين.

٤- **معرفة نوعية المخاطبين**: فقد تكون لقاءات متخصصة مع الشباب أو الأطفال أو النساء ونحو ذلك، وبهذا يكون لكل نوع، كلام يناسبه وموضوع يشده، ولعل أصعب المهام حينما يكون جمهور الحاضرين مختلطاً من كل الأعمار والثقافات، وهنا لا يجد الإنسان الداعي طريقاً إلا أن يخاطبهم فيما يشتركون فيه.

٥- **البعد عن تجريح الأشخاص والهيئات**: فالمؤمن ليس بلعان ولا طعّان ولا فاحش ولا بذيء، وهدينا هو هدي الرسول ﷺ الذي كان يعمم فيقول: ما بال أقوام[1]، ولأن الداعي يريد الإصلاح فليس عليه أن يُجرّح، لأن التجريح يسبب النفور، ولأن التجريح لا يعود بخير، بل قد يزيد السيىء سوءاً.

٦- **الانفعال والحماس**: فالعاطفة لها دورها الاصلاحي والتأثيري،

---

(١) ورد اللفظ في أحاديث كثيرة، منها ما أورده البخاري في صحيحه، الحديث رقم (٤٥٦)، و(٧٥٠) و(٦١٠١).

والخطيب أو الواعظ أو المتحدث لا يستطيع أن يؤثر وعاطفته باردة، فإذا كان هو غير متفاعل مع ما يقول، فكيف سيتأثر الآخرون؟ لكننا ننبه إلى ضرورة الحماس العاقل المبني على علم، وليس على خرافة أو أساطير.

٧- **مراعاة الوقت المناسب**: فلا يطيل على المدعوين، بل يتخوّلهم بالموعظة، ويعلمهم كلمات كما كان عليه السلام يفعل. فكثرة الكلام تنسي بعضه بعضاً، وتوقع في الملل. وربما يفقدون الرغبة في الاستماع لهذا الداعي مرة أخرى، لأنهم لمسوا ثقل ظله حيث لم يراع ضعفهم ووقتهم ومريضهم وذوي الاحتياجات منهم.

ثانياً: السرية والعلنية:

بدأ عليه السلام دعوته سرية خوفاً من الإجهاز عليها في مهدها، واستمر في عمله سراً (دون الجهر والإنذار المعلن) ثلاث سنوات، حتى استطاع أن يجمع حوله عدداً لا بأس به من الأشخاص ليكونوا أساس الدعوة وحملتها.

وبعد ذلك انطلق إلى الجهرية والعلنية تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فناداهم وجمعهم، وصعد على صخرة ودعاهم للإيمان معلناً عن الدين الجديد، وأنه نبي هذه الأمة، ومنذ تلك اللحظة دخل المسلمون مرحلة الفتنة والابتلاء والعذاب.

إن مرحلة السرية لم تكن تعني أن الناس لم يكونوا يتحدثون بشأن النبي، بل كان ذلك موجوداً لأن من آمن معه انتقل خبره إلى أقاربه، وبدأت الأخبار تتسرب شيئاً فشيئاً. فربما ظنت قريش أنها أحاديث جانبية فردية،

ولهذا لم تتحرك ضدها بشكل واضح إلا بعد الجهر بالدعوة.

لقد كان للسرية فوائد منها: التجميع والتركيز والبعد عن المواجهة المبكرة، لكن المؤكد أن هذه السرية لا تستطيع العيش طويلاً؛ لأن الناس يتناقلون الأخبار، ولأن الدعوة الإسلامية لا بد أن تنتقل إلى مرحلة جديدة تؤدي إلى قيام المجتمع الإسلامي.

ورغم أن الجهر قد جلب للمسلمين العذاب، إلا أنه ضرورة من ضرورات الوصول إلى الهدف، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

واليوم وبعد مئات السنين نتساءل: أين تقع السرية في رحلة العمل الدعوي؟

إن السرية لا مجال لها في ساحة العمل الإسلامي، إلا إذا أُجبر المسلمون عليها، كأن يعيشوا في ظل حكم يطارد الأنفاس، ويمنع الكلمة، ويقمع الحرية، ويصادر المنبر، ويحول دون القلم.

أما في ظل نقيض ذلك كله، فإن حبس الدعاة لأنفسهم في السرية هو قتل للدعوة التي تدعونا إلى نشرها. إن التقنيات الحديثة التي وصل إليها العقل البشري قد أسقطت السرية كلياً، فالأقمار الصناعية التجسسية تحيط بكل متر مربع على هذه البسيطة وبخاصة بلاد المسلمين، ولقد أصبح في مقدور الجواسيس أن يتنصتوا على حديث الرجل مع زوجته، فهل بعد ذلك يمكن أن نتحدث عن سرية؟؟.

نعم نُعْمي أخبارنا ما استطعنا عن أعدائنا المحاربين لنا وأولهم اليهود الصهاينة، ولكن علينا أن لا نفاجأ إذا رأينا أخبارنا على قارعة الطريق في

صحف صفراء أو سوداء.

وعلى العاملين للإسلام أن لا يضيعوا أوقاتهم في التفكير في طرائق السرية؛ لأنه ليس لدينا ما نخفيه، فكلامنا القرآن والسنة، وندعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ونتمنى الهداية لجميع الناس، ونبذر الحب ونتوكل على الرب، ولا نؤمن باستعجال الشيء قبل أوانه.

أما العمل التنظيمي فعلينا أن نعمل فوق الأرض عملاً جماعياً مشروعاً وقانونياً، حتى لا ندخل تحت طائلة المساءلة، فقد عاش الإسلاميون ولا يزالون ردحاً من الزمن الماضي والحاضر في السجون دون أن تؤدي وسائل المواجهة إلى شيء إيجابي، بل رجع العمل الإسلامي إلى الوراء سنين وسنين.

ثالثاً: الترغيب والترهيب:

إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عليه السلام: (سبعة يظلهم الله في ظله...)[1]، وقال: (..وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم..)[2]. والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب، لأنه فعل إيجابي، ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين، قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٩٣ رقم ١٤٢٣.

(٢) رواه البخاري ١١/ ٣٠٨ ورواه مسلم ١٨/ ١١٧ وفيه (يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب).

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] فقدم التبشير على الإنذار.

وللترغيب أدوات كثيرة منها بيان فضل قول: لا إله إلا الله، وبيان فضل ذكر الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار المندوبة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقوله: ﴿ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، كما إننا مدعوون لبيان فضل المحافظة على الصلاة في وقتها وجماعاتها، وبيان فضل المشي إلى المساجد، وبيان فضل الخشوع، وبيان فضل صلاة الضحى وبقية النوافل، وصلاة الليل وصلاة الحاجة والاستخارة واتباع الجنائز والصلاة عليها، والإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم والجيران وغير ذلك كثير.

كما إن للترهيب أدواته منها التخويف بالله ومن الله وحسابه وعقابه وناره وملائكته وعذاب القبر وسؤاله. وننصح في هذا المجال بكتاب الترغيب والترهيب للمنذري، وكتاب إثبات عذاب القبر للبيهقي، وكتاب حادي الأرواح لابن قيم الجوزية.

رابعاً: القصص والأمثال:

القصص والأمثال أسلوبان تعامل معهما القرآن الكريم، واستخدمهما لأخذ العبرة، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] فالقصة والمثل ليسا هدفاً بحد ذاتهما، ولكن العبرة والفائدة هي الهدف، فمن قصة آدم عليه السلام نأخذ عبرة الأخوة

الإنسانية بين البشر، وفي هذا فائدة كبيرة للدعوة والرغبة في الإحسان إلى الخلق؛ لأننا وإياهم أبناء لآدم وحواء، كما أننا نأخذ عبرة في ضرورة صم الآذان لنصائح الشيطان؛ لأنه هو الذي وسوس وكذب على والدينا فكانت النتيجة خروجهما من الجنة، فإذا أردنا العودة إليها فلا بد من معصية الشيطان.

ومن قصة إبراهيم عليه السلام نأخذ عبرة التضحية في سبيل الله، والثقة بأوامره، حتى لو كانت تقضي أن نضحي بأولادنا، قال تعالى: ﴿... إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢]. ونأخذ ذكاء الداعية الذي يلزم محاوريه أن يعترفوا بالحق ﴿... قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وفي قصة موسى عليه السلام نرى الداعية ينقذ شعباً، ويواجه طاغية، ويتحقق له نصر الله بصبره وثباته. وفي قصة يوسف عليه السلام نستفيد عبرة النجاة من الفتنة ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣] ولكنه ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ [يوسف: ٢٣]. ونرى الداعية وهو يشغل المنصب يحقق العدالة ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. وإذا انتقلنا إلى عالم الأمثال أجدني متوقفاً عند مثال مهم في مجال المُحَاجّة، يقول عز وجل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ [الزمر: ٢٩].

وهو مثل يقارن بين العابد لله الواحد وبين عُباد الآلهة المتعددة، فالأول مستريح مطمئن بخلاف الآخر.

وفي مجال ثبات الداعية والتحذير من الانحراف قوله تعالى:

وهي خطاب كثير الشيوع في الجماهير، وهي أنواع كثيرة:

أ- **الخطبة السياسية**: وهي التي يلقيها السلاطين والحكام لبيان منهجهم في الحكم أو توضيح لأمر طارىء أو مناسبة معينة.

ب- **الخطبة العسكرية**: وهي التي يطلقها قادة الجيوش بين يدي المعركة أو أثنائها تشجيعاً على القتال.

ج- **الخطبة الاجتماعية**: وهي التي يلقيها الدعاة والمصلحون لمعالجة قضايا تهم المجتمع أو لمناسبة معينة.

د- **خطب المناسبات**: وهي التي تُلقى في الأفراح أو العزاء وفيها المدح أو الهجاء.

هـ- **خطبة الجمعة والعيدين وعرفة**: وهي التي يلقيها السلطان أو من ينيبه في المسجد الجامع أو المصلى لموعظة الناس وتنبيههم إلى ما يهمهم.

٢- نشأة الخطابة:

نشأت الخطابة منذ قديم الزمان، بل منذ بدء الخليقة، ووجدت الخطابة عند شتى الأمم ومنهم العرب، وكانت أسواق الشعر مليئة بالخطباء الذين ينافحون عن قبائلهم ومجدها ومكانتها. كما كانت الخطبة مجالاً للتفاخر بالبلاغة والفصاحة.

وكانت الخطابة عند اليونان موقع اهتمام الساسة والنبلاء، وكان لها معلمون مختصون، ومن أشهر خطبائهم (شيشرون)، وكانوا يركزون على تعليم الساسة كي يتقنوا الخطب السياسية.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]. فلا ينبغي لمن جاءه العلم وتمسك بالدعوة أن يتراجع؛ لأنه إنْ فعل ذلك فهو كالكلب يلهث باستمرار، وهو يلهث وراء الدنيا ولن يتوقف لهاثه أبداً، بينما كان بعلمه وإيمانه مطمئن القلب ثابت الجنان، أهدافه عليا بعيدة عن الأرض وطلابها الكلاب.

إنّ استخدام الدعاة للأمثلة والقصص أمر في غاية الأهمية، لأنه بالمثال يتضح المقال، وهنا ننصح الدعاة بالاطلاع على كتاب (تعريف عام بدين الإسلام) للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، فهو كتاب مليء بالأمثلة، وكذلك أشير إلى كتاب (الأمثال في القرآن) لابن قيم الجوزية.

وسائل الدعوة الإسلامية

حينما نقول: إن (الترغيب) أسلوب فإنه قد يتم بواسطة وسيلة الخُطبة أو وسيلة الدرس أو الحوار وهكذا.

والوسائل كثيرة ومتعددة لا حصر لها، ويمكن الابتكار فيها ومن ذلك:

أولاً: الخطبة:

١- أنواع الخطبة:

وهي حديث منبعث من العقل والقلب، يصاحبه الحماس والانفعال،

ولهذا نكرر كثيراً أن قليلاً دائماً خير من كثير منقطع، وأن خطيبنا المحترم مدعو إلى أن لا يخطب خطبة الوداع، فيرث المنبرَ آخرون ربما لا علم لهم ولا فهم ولا دراية.

٦- **التدرج من المعلوم إلى المجهول**: فلا يبدأ من قضايا مجهولة؛ لأن ذلك لا يساعد على المتابعة، بل العكس هو الصحيح إذْ يشعر المستمع أنه مشارك في الكلام، وبهذا يستمر ليعرف أين ستوصل هذه المقدمات التي يعرفها ويؤمن بها.

٧- **رفع الصوت وخفضه حسب الحاجة**: إن الخطيب الذي يبقي صوته على وتيرة واحدة لا يعد خطيباً ناجحاً، والصواب أن ينسجم الصوت مع الكلمة، فإذا كان الموضوع حماسياً رفع صوته، وإذا كان روحياً خفض صوته، وإذا كان قرآناً رتله ترتيلاً، وإذا كان محزناً انكسر صوته وصار ادعى للبكاء وهكذا.

٨- **الثقة وقوة الشخصية**: إن الخطيب المهزوز لن يؤدي الغرض المطلوب، فالثقة بالنفس ضرورية، وقوة الشخصية عنصر فعال، فعليه أن يشعر أنه يبلغ عن الله ورسوله، وأنه حامل رسالة وبهذا لا يهاب، وبنفس الوقت يخاطب الناس من قلبه، ويشعر أنه يقرع قلوبهم.

٩- **الاستدلال بالنصوص الشرعية**: يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] فالقرآن له أثر خاص في نفوس المستمعين، كيف لا وهو كلام الله الذي تخشع له الجبال وتتصدع، فما بالك بقلوب من لحم ودم، وكذا سنة الرسول ﷺ.

٣- آداب الخطبة:

للخطبة (ونركز هنا على خطبة الجمعة) آداب كثيرة منها:

١- **وحدة الموضوع**: حيث لا بد من التركيز على موضوع واحد، ولطالما ضيّع الخطباء الفائدة المرجوة بأحاديثهم المتشعبة والمختلطة.

٢- **حسن اختيار الموضوع**: ولا مانع من مشاورة بعض المقربين من الخطيب كي يحسن اختيار الموضوع، فلا ينبغي أن يتناول فرعيات وتفاصيل دقيقة، بينما كبار المسائل يتركها تشغل بال الناس.

٣- **حسن اختيار اللفظ والعبارة والكلمة**: لأن الكلمة وسيلة النجاح أو الفشل، فليَعُفَّ الخطيب عما لا يليق من الألفاظ السوقية، وألفاظ الشتائم، والألفاظ حمّالة الأوجه، والتي قد يفهمها المستمعون خطأ، وليتذكر الخطيب قول الرسول عليه السلام: (الكلمة الطيبة صدقة)، و(رب كلمة يقولها الإنسان لا يلقي لها بالاً فيهوي بها سبعين خريفا).

وما دمنا في مجال الألفاظ فليتذكر الخطيب أنه مدعو لعدم تكرار الألفاظ.

٤- **مراعاة الوقت**: لأن الإطالة توقع في الملل والسآمة، وقد ينقلب الإعجاب إلى تذمر، وكل خطبة زادت عن عشرين دقيقة غالباً ما تثقل على المصلين، وخير الكلام ما قلّ ودلّ، ولهذا كان عليه السلام يتخول الناس بالموعظة ويقول: يا غلام إني أعلمك كلمات.

٥- **تفادي الاصطدام**: فبعض الخطباء يشن هجوماً كاسحاً على السلطات الحاكمة، فيوقع نفسه فيما لا يحمد عقباه، ويحرم الناس من علمه،

ثانياً: الدرس:

١- تعريف الدرس:

هو وسيلة من وسائل الدعوة الجماعية، وهو شرح لموضوع معين يقدمه المدرس لمستمعيه محاولة منه لإقناعهم بفكرته.

٢- مزايا الدرس:

- **وحدة الموضوع**: فلا بد أن يكون الدرس في موضوع رئيس واحد.
- **الموضوع المناسب**: للزمان والمكان وطبيعة المخاطبين.
- **الهدوء والبعد عن العاطفة**: حيث يغوص المدرس في الأدلة ويمارس الإقناع العقلي، وإن كان ذلك لا يمنع من استخدام العاطفة بقدر محدود.
- **التفاصيل**: حيث إن الدرس مجال للتفاصيل بخلاف الخطبة.
- **إمكان التجزئة إلى حلقات**: وبخاصة إذا كانت قصة طويلة كقصة يوسف أو موسى عليهما السلام ونحو ذلك.

٣- أنواع الدرس:

ينقسم الدرس إلى نوعين:

١- درس تخصصي في علم معين، كأن يكون درس تفسير أو حديث أو توحيد أو فقه...

٢- درس عام يطغى عليه الوعظ والنصح والإرشاد، وقد يكون لفئة محددة (أطفال، عمال..).

١٠- **الوقار وحسن السمت:** فالمنبر شيء مقدس، فهو منبر رسول الله ﷺ، ومنه تنطلق آيات القرآن والسنة المطهرة، فليتذكر الخطيب ذلك، ولينسجم شكله وسمته وهيبته مع هذا الكلام المقدس الذي سيقدمه للناس.

١١- **التشويق وحسن المدخل:** إن اقتحام النفوس أمر يحتاج إلى تصميم ورغبة، ويحتاج أيضاً إلى استخدام كل وسيلة توصل إلى ذلك، ولعل التشويق من الأساليب الفائقة التي توصلنا إلى قلوب الناس، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] ويكون التشويق بطرح السؤال والتوقف للحظات، وتقسيط المعلومات ومعرفة رد الفعل في وجوه الناس.

١٢- **الالتفات إلى جميع الحاضرين:** إن توزيع النظر على الحاضرين عامل مهم في استقطابهم، إذْ يشعر كل واحد أن الخطيب يحدثه ويوجه كلامه إليه،أما إذا التفت إلى جهة واحدة فهذا يعني عدم احترام للآخرين.

١٣- **الموعظة والدعاء:** ولأن خطبة الجمعة عبادة بحتة، فقد منع فيها الكلام واللغو والهمس، وطلب الاستماع والإنصات، وينبغي أن يخرج الناس بشيء من الأملِ للأمة ولأنفسهم عن طريق دعاء روحاني، وكلام يقرع القلوب.

١٤- **معرفة مخططات الأعداء:** على الخطيب أن يفهم ما يدور حوله، وأن يعرف كيف يتعامل مع ذلك حتى لا ينساق وراء عاطفة تؤذي ولا تنفع.

٤- آداب الدرس:

١- اختيار الموضوع المناسب.

٢- مراعاة نوعية الحاضرين.

٣- الاستدلال بالأدلة الشرعية.

٤- تشويق الحاضرين.

ثالثاً: المحاضرة:

١ - تعريف المحاضرة:

وسيلة من وسائل الدعوة الجماعية، وهي شرح لموضوع معين بطريقة علمية بحتة بعيدة عن العاطفة وتتضمن الأدلة العقلية.

٢- مزاياها:

١ - وحدة الموضوع.

٢- الأدلة العقلية لا العاطفية.

٣- الهدوء والتركيز.

٤- البعد عن التكرار.

٣- صورها:

١ - المحاضرة الدينية: وغالباً ما تتم في المسجد.

٢- المحاضرة الاجتماعية: وتتم في الجمعيات والمنتديات.

٣- المحاضرة السياسية: وتلقى في المراكز الثقافية والحزبية والجامعات.

٤- المحاضرة العلمية: وتتناول موضوعاً علمياً في الفضاء أو العلوم البحتة أو العلوم الطبية، وقد يستخدم فيها المحاضر الصور والأفلام.

رابعاً: المناظرة:

هي وسيلة من وسائل الدعوة الجماعية، وهي نقاش وحوار علمي مبرمج حول موضوع محدد الأجزاء بروح علمية بعيدة عن التعصب.

ولفهم المناظرة يمكن النظر في المناظرات التالية:

١- مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه. (سورتا الأنبياء ومريم).

٢- مناظرة موسى عليه السلام لفرعون. (سورتا طه والقصص).

٣- مناظرة الغلام مع الملك. (سورة البروج).

٤- مناظرة الإمام أحمد مع المعتزلة.

٥- مناظرة عبد العزيز المكي لبشر المريسي. (انظر كتاب الحيدة، لعبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي).

٦- مناظرة الشيخ رحمة الله الهندي مع القس النصراني الدكتور فندر.

٧- مناظرة الشيخ أحمد ديدات مع القس النصراني جيمي سواجارت.

خامساً: الندوة:

هي لقاء ثقافي يشارك فيه عدد من الأشخاص لبحث موضوع معين بحيث

يأخذ كل واحد جانباً منه.

ولا شك أن مشاركة الدعاة في الندوات أمر مهم حتى لا يغيب الصوت الإسلامي، فبغياب الدعاة ينفرد أصحاب الفكر الآخر بالجمهور المستمع، وبهذا يقع التضليل للناس بغياب أهل الحق.

سادساً: المهرجان:

هو تجمع منظم لهدف معين، تكون فيه كلمات خطابية، وربما وجدت فقرات أخرى مرافقة، لكن الشيء الرئيس فيه هو الخطابة. ويكون الجمهور فيه كبيراً وقد يكون في العراء أو في قاعة كبيرة، وله عريف حفل يديره ويقدم الخطباء بترتيب معين.

وأهم ما يميز المهرجان هو استخدام الأسلوب الخطابي المثير للعاطفة، وكذلك الإعلان الدعوي عن موقف سياسي معين أو غيره.

وغالباً ما يكون في المناسبات الكبرى الدينية أو الوطنية كما أنه يكون في المواسم السياسية كالانتخابات النيابية والبلدية.

سابعاً: الحوار:

هو مناقشة بين طرفين، قد يكونا فردين، وعندها نسميه دعوة فردية إذا كان غير معلن، وقد يكون معلناً مع أنه بين اثنين لكن جمهوراً يحضره ويستمع إلى وجهتي النظر. وقد يكون حواراً جماعياً (شخص مع مجموعة، أو مجموعة مع مجموعة).

والحوار وسيلة دعوية مهمة حضّ عليها القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥]، ونهى عن الإخلال بأدب الحوار فقال: ﴿ ۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وبين لنا القرآن صوراً عديدة من الحوار، فمن ذلك الحوار بين ابني آدم، وحاور إبراهيم عليه السلام أباه، وحاور يوسف عليه السلام المساجين في السجن، وحاور الأنبياء جميعاً أقوامهم.

ثامناً: الاحتفال:

هو تجمع بشري كبير ولمناسبة معينة، قد تكون إيجابية كالزواج أو الخطبة أو النجاح الدراسي أو النجاح السياسي، وقد تكون سلبية كأحفال التأبين.

وهو فرصة جيدة ليبلغ الداعي دعوته، فيخاطب الحاضرين بما يتناسب من الكلام، وبالأسلوب الجميل، بحيث يوصل ما يريد إليهم. وينبغي للدعاة أن لا يغيبوا عن هذه المناسبات إلا إذا كانت المنكرات تغطيها من الرأس إلى القدمين، وعندها لا مجال للحضور، بل مقاطعتها هي الدرس الأبلغ، حيث سيفتقد الحضور الداعية، ويسألون عن تغيبه، وسيدركون أن السبب هو المنكر الموجود، كتقديم الخمر أو الاختلاط الفاحش.

تاسعاً: التأليف والكتابة والنشر:

التأليف والتصنيف صناعة مارسها سلفنا الصالح بهدف شرح الدين عقيدة وتفسيراً وفقهاً ولغة وشتى العلوم الشرعية. والمكتبة الإسلامية زاخرة، ناهيك عن المخطوطات التي تحتفظ بها المكتبات العربية والإسلامية بالإضافة إلى المخطوطات النادرة التي تمت سرقتها من بلاد الإسلام

وصارت في مكتبات أوروبا وأمريكا وروسيا.

وقد كان سلفنا الصالح يستحضر النية في التأليف، فيبدأ واحدهم كتابه بحديث (إنما الأعمال بالنيات)[1] ليكون هدفه من المُصنَّف نشر العلم وبيان الحق للناس، وذلك لأن التصنيف في نظرهم هو وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وقد استمر وسيستمر التصنيف إلى قيام الساعة مع ضرورة الحذر أنه ليس كل ما كتب عليه اسم الإسلام يعبر حقيقة عن الإسلام، لأن أناساً جهلاء دخلوا هذا المضمار ونشروا جهلاً وضلالاً.

ولأننا أمة القلم فإن الكتابة والنشر تتعدى موضوع الكتب والتصنيف وبخاصة اليوم، حيث الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية والفصلية والسنوية، كما أننا أمام مجلات علمية محكمة وغير محكمة، وأمام صحف ومجلات متخصصة، كأن تكون للأطفال أو النساء أو صنف معين من الناس كأصحاب الاحتياجات الخاصة، أو المجلات العسكرية، أو الحزبية والسياسية.

إن الدعاة مدعوون لاستخدام أقلامهم ليوقعوا عن رب العالمين بالحكمة والموعظة الحسنة.

عاشراً: التمثيل: (سينما، مسرح، تلفزيون):

لا يزال صنف من دعاة الإسلام يُعْرِض عما يسمى بالفن، ويعتبره لهواً أو رجساً من عمل الشيطان. وينسى هؤلاء أن هذا لون مهم من وسائل الدعوة، وأن تعدد الطرائق يتيح للدعاة المجال للاتصال بالناس، حيث إن الرسول

(١) رواه البخاري ١/ ٩ رقم ١، ورواه مسلم ١٣/ ٥٣.

عليه السلام لم تقتصر دعوته على وسيلة معينة ولا أسلوب واحد، بل كان ينوع، فمرة دعوة فردية، وأخرى جماعية، ومرة إكرام بالمال، ومرة استجابة لدعوة طعام، ومرة حديث في السفر، وأخرى حديث مع عجوز في قارعة الطريق، وأحياناً موعظة على القبر أو في المسجد.

ولعل هؤلاء مدعوون للتأمل في حديث جبريل (حديث عمر بن الخطاب): (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذْ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. . . .) ففي هذا الحديث مثّل جبريل دور مَن لا يَعرِف، وكان يسأل ليتعلم الناس المستمعون الحاضرون (إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[1].

فالتمثيل وَسيلة للتعليم والشرح والتفهيم. ولعل قصة موسى عليه السلام مع الخضر هي أسلوب عملي لتعليم موسى أن علم الله أوسع، وأن الله قادر على أن يجعل غير موسى أعلم من موسى، فكانت الرحلة الشاقة، وقتْل الغلام، وإقامة الجدار، وخرق السفينة، وسائل عملية للتعليم والتفهيم.

فإذا استخدمنا التمثيل السينمائي أو المسرحي أو التلفزيوني لهذا الغرض الدعوي فما الضير في ذلك؟؟. إنني أراها وسائل واجبة الاستخدام وبخاصة أننا في عصر اتصالات هائل، والفضائيات تغزو العالم، فليشمر المسلمون الدعاة عن سواعدهم ليقتحموا هذا المجال، ويكفينا شكوى من الفساد الموجود في هذه الوسائل.

---

(١) رواه مسلم ١/ ١٥٧.

حادي عشر: الإعلام: (التلفزيون، الفضائيات، التقنيات):

نحن أمام ماكينة إعلامية هائلة، تدعونا صباح مساء إلى اغتنام الفرصة وبث دعوة الله للعالم بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد عشنا ردحاً من الزمن نتحدث عن (حرمة التصوير) وأشغلنا أنفسنا وغيرنا بذلك بينما يتسلل الفاسدون إلى هذه الوسائل يبثون فسادهم بشتى الألوان والصور.

إن الإعلام اليوم يساهم في صناعة أفكار الناس بالتركيز على الخبر أو التعمية عنه، أو ببث مسلسلات أو أفلام، أو بإجراء ندوات وحوارات، بينما يريد بعض الدعاة أن نقبع في المسجد، ولنترك الساحات للعلمانيين والمبشرين والفاسدين!، ألا يعتبر ذلك حصاراً على الإسلام؟! أليس من يساهم فيه يكون مقصراً بحق دينه وأمته؟!.

إن المسلمين يملكون أموالاً طائلة، ويمكن توظيفها في هذا المجال، وكل ما هو مطلوب أن ينبري الدعاة أو قسم منهم لهذه الوسيلة الخطيرة والمهمة، والتي إذا لم نشغلها بالحق شغلتنا بالباطل.

لا بد من دفع دعاة لدراسة هذه الفنون الإعلامية والفنية، ولعل تعدد الفضائيات ودقة التقنيات تساعد الإسلاميين على اقتحامها، والعمل فيها إذا لم تتوفر لهم محطات خاصة. أمامنا جهد كبير يجب أن يبذل، ولعل أهمها السهر والتعب لتخريج حملة شهادات شرعية يفهمون الواقع، ويحسنون التعامل معه بعيداً عن التعصب والتكفير بل حكمة وموعظة حسنة.

إن وسائل الإعلام تصنع عقول الناس وأفكارهم، وربما نشرت إشاعات كاذبة مضللة كما يفعل الإعلام الغربي تجاه العرب والمسلمين. وقد حذر القرآن الكريم من نشر الإشاعات قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ

ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]. فالخبر قد تمت اذاعته واشاعته بين الناس، ويحتاج إلى مختصين وأهل دراية لفحصه وفهم مصدره وأهداف ذلك المصدر.

إن الفاسقين يشيعون أخباراً بين الناس تؤدي إلى الفساد والإفساد والوقيعة وتحبط وتثبط، ولهذا حذرنا الله منهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾ [الحجرات: ٦]، وقد اعتمد أغلب إعلامنا العربي والإسلامي على وكالات أنباء يملكها اليهود مثل وكالة رويتر وغيرها، وبعد إلحاح تأسست وكالات أنباء محلية في الأقطار الإسلامية وصار عندنا فضائيات ومراسلون صحفيون من أبناء جلدتنا. لقد أدرك القدماء أهمية الإعلام واستخدموه، فها هو فرعون ﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [الاعراف: ١١١-١١٢] ،وها هو إعلام بسيط زمن سيدنا يوسف ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠].

إن نداء الأذان للصلاة هو إعلام عن دخول وقت الصلاة، وهو تمجيد للرب الكبير الأكبر، وتعظيم للنبي الكريم، ولوتأملنا في الرسائل النبوية إلى الملوك والحكام في زمنه لتعرفنا أهمية الإعلام وبعث الرسائل، ولنتذكر قول الهدهد لسليمان: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢]

لنعرف أن الإعلام الإسلامي يقوم على الأخبار اليقينية واكتشاف مواقع الخلل من أجل إصلاحها، ولنتدبر قول الله تعالى: ﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

ثاني عشر: المؤسسات المتخصصة:

(دور القرآن، دور الحديث، الهيئات الخيرية، الجمعيات، الروابط العلمية والثقافية).

إن المؤسسات المتخصصة في القرآن الكريم، أو السنة النبوية وكذلك الهيئات التطوعية والخيرية والثقافية، كلها لافتات ومنابر دعوية تساهم في رحلة البناء الإسلامي. فدور القرآن حيث تعليم التلاوة وتحفيظ القرآن وتفسيره وكذلك العناية بالسنة ومساعدة الفقراء وإقامة الندوات والمحاضرات، كلها تساهم في نشر الوعي الإسلامي كما أنها طريقة ناجعة لربط الناس بالدعوة الإسلامية، ولو تخيلنا أن طالباً جامعياً قامت مؤسسة إسلامية بالإنفاق عليه فهل نتوقع منه إلا الخير؟!. وإذا أَحْسَنّا إلى أسرة فقيرة فمن المتوقع أن ترتبط كل الأسرة بالإسلام وحبه؛ لأن الدعاة هم الذين أولوا هذه الأسرة الرعاية والاهتمام.

إن هذه المؤسسات مدعوة للتكامل لا التنافر أو التناقض، فهذا العمل كله خير، وعلى الخيرين أن يتعاونوا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وعجيب هنا موقف حزب التحرير من مؤسسات العمل الخيري حيث إنه لا يؤيدها بل يعتبرها وسائل تمد في عمر الأنظمة؟!!. فهل يريد حزب التحرير أن يموت الناس جوعاً وهم ينتظرون الخليفة الذي طال انتظاره وامتدت غيبته إلا في بيانات على الورق لا تطعم فقيراً ولا تساند أرملة أو مسكيناً.

ثالث عشر: الأسئلة والمسابقات:

إن المتتبع لهدي النبي ﷺ يجد أنه كان متنوعاً في وسائل التعليم والتثقيف النبوي، فمرة يقول مباشرة: (إني أعلمك كلمات)[1]، ومرة يقول: (ما بال أقوام..)[2]، ومرة يقول: (هل رأى أحد منكم من رؤيا)[3]، ومرة يقول: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله، قال: هي النخلة)[4].

إن طرح الأسئلة الشفوية والمكتوبة كله عمل مشروع وطيب وذو أثر واضح. والمهم أن يقوم عليها علماء ومختصون حتى لا تكون هذه المسابقات وسيلة لنشر الجهل، إذْ لا بد من التحقق من المعلومات، ولا بد من التركيز على المفيد، كما أننا نحذر من صورة يتعامل بها بعض القائمين على المسابقات، حيث يقومون ببيع ورق المسابقة، ويقدمون جوائز من حصيلة ثمن هذه الأوراق، وبالتالي هي صورة من صور القمار، وعليهم أن يوزعوا هذه الأوراق مجاناً حتى لا يقعوا على الأقل في شبهة الحرام. كما أننا نلاحظ أن بعض هذه المسابقات تتضمن السؤال عن غرائب الأمور، أو قضايا مختلف فيها وعليها، ولهذا فإننا ننبه إلى ضرورة انتقاء المفيد من الأسئلة كتلك التي تعمق الإيمان بالله تعالى وحب رسوله ﷺ، والتنبيه إلى

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦، وقال: حسن صحيح.

(٢) سبق صفحة ٨٣، هامش (١).

(٣) رواه البخاري ١٢ / ٤٣٨ رقم ٧٠٤٧.

(٤) رواه البخاري ١ / ١٤٥ رقم ٦١.

المخالفات الشرعية التي يقع فيها الناس، وكذلك ما فيه معلومات تاريخية أو واقعية بالإشارة إلى أحوال المسلمين في العالم.

رابع عشر: القدوة الحسنة:

يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [المائدة: ٢١]، وبعد وفاة الرسول أصبحت سنته المكتوبة قدوتنا، والناس يحتاجون الى بشر مثلهم يرونه بينهم، ومن هنا فإن الدعاة مطالبون أن يكونوا قدوة تشرح وتبين خلق المصطفى ﷺ، وذلك بتمثل هذه الأخلاق وتطبيقها سلوكاً بين الناس. إن المدعوين يراقبون سلوك الداعي، فإذا رأوا فيه خللاً غير مقبول أو لاحظوا مفارقة بين قوله وفعله، فإنهم لن يصدقوا دعوته وسيتركونه، قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣]. إن محافظة الدعاة على أنفسهم في مجال القدوة، وبقاءهم نجوماً في أعين الناس هو خير من كلام جميل وخطب عصماء لا يرافقها سلوك تطبيقي، فالناس تقتنع بالقدوة أكثر من اقتناعها بالكلام المعسول، فليحذر الدعاة من غضب الله تعالى أولاً، ومن ثم من نقد المدعوين وعيونهم التي تراقب باحثة عن تطابق بين القول والفعل.

خامس عشر: الجهاد (معناه، حكمه، أهدافه، مجالاته):

إن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، فهو المظلة التي تحمي الإسلام كله، وهذا الجهاد هو القوة، فأركان الإسلام تصبح بغير قوة، ضعيفة بين الناس، وهذا ما نشاهده هذه الأيام. ويوم كان الجهاد القتالي موجوداً على مستوى

الأمة وبدعوة من إمام المسلمين، كان الناس ملتزمين متمسكين بأركان الإسلام. وإذا كان الجهاد القتالي قد توقف جزئياً فإنه ماض إلى يوم القيامة، وسيبقى المسلمون يقاتلون دفاعاً عن أعراضهم وأوطانهم وكرامتهم حتى لو غاب الخليفة المسلم. إن الجهاد مأخوذ من بذل الجهد، وبهذا المعنى فالجهاد عمل يومي لكل مسلم، حتى لو لم يكن في ساحة القتال. فهو يجاهد نفسه، ويجاهد لتصحيح أي انحراف يقع بين أبناء الصحوة الإسلامية، وبهذا المفهوم فإن كل مسلم مجاهد حسب الميدان الذي يشغله، والعلم الذي يحمله، ويبقى الحلم الأكبر لدى المسلم أن يجاهد بسنانه، قال ﷺ: (من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق)[1].

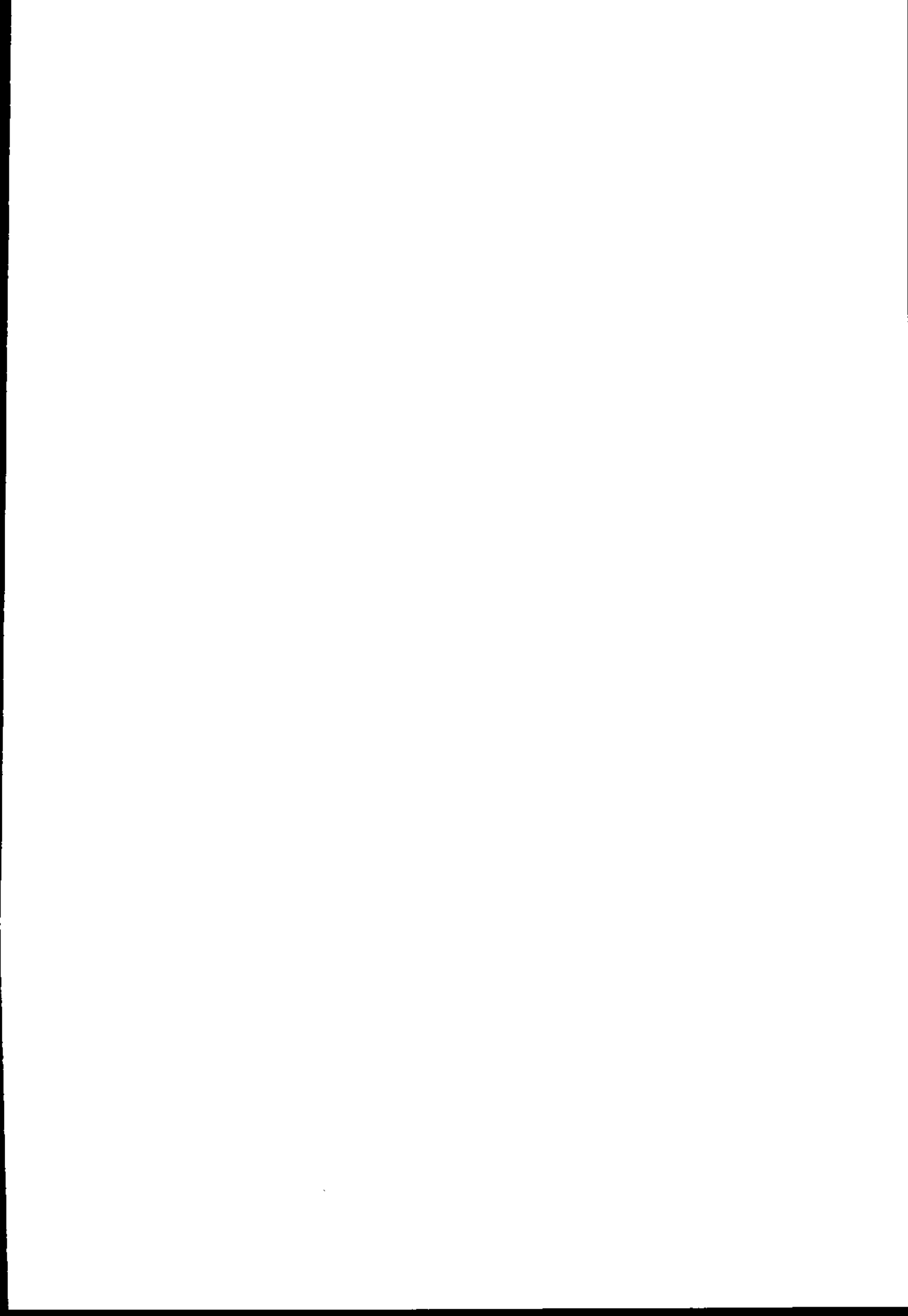
والغزو، أي: الجهاد لإحقاق الحق وحماية الدعوة الإسلامية، وهذا هو هدف الجهاد في الإسلام. إنه ليس طريقة للاعتداء على الآخرين، ولكنه وسيلة ناجعة في إيقاف الأعداء عند حدهم، ومنعهم من التجاوز على المسلمين وعلى الإنسانية جمعاء، إنه وسيلة لمنع الظلم ورفع راية الإسلام، إما إذا جنحوا للسلم فإن الإسلام يجنح لها.

لقد شوّه بعض الدعاة الجهلة اليوم الجهاد، واعتبروا اغتيال سائح أو شخص ذي منصب جهاداً في سبيل الله. إن ذلك أبعد ما يكون عن حقيقة الجهاد؛ لأن الإسلام ينيط أمر الجهاد بأمر الخليفة المسلم، ولطالما تحمّس بعض الصحابة في مكة يريد حمل السلاح، فلم يستجب لهم عليه السلام، وقال: (إنني أمرت بالعفو)[2]. حتى نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ

(١) رواه مسلم ١٣/٥٦.
(٢) انظر تفسير الطبري ٥/١٠٨ تفسير الآية ٧٧ من سورة النساء.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. وإذا كان الخليفة اليوم غير موجود، فإن العمل الحقيقي هو السعي لإيجاده بنصح الحكام (فالدين نصيحة قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[١]. ونحن نرى أن حكام المسلمين اليوم هم مسلمون مغلوبون على أمرهم نتيجة لتفرقهم، وتسلط الدول العظمى عليهم وعلى العالم، فاذا كان لنا من جهد فليكن في نصحهم، لعل الله يفتح قلوبهم فيستجيبوا لمرحلة إصلاح المجتمع وتقويته، ولو على مراحل، حتى تتحقق القوة لنا ولهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ويبقى الجهاد مستمراً في البلاد التي يهاجمها الأعداء كما هو الحال في فلسطين والعراق والشيشان وكشمير، وكما حصل في البوسنة وكسوفو وأفغانستان، ولو من قبل مجموعة من المؤمنين القادرين؛ لأن الدفاع عن الدين والشرف والكرامة والمقدسات من أوجب الواجبات، وقد بين علماء الفقه الإسلامي أنه إذا احتلت بلاد المسلمين فالجهاد فرض عين حتى إن المرأة تجاهد دون إذن زوجها، والولد دون إذن والده.

(١) أخرجه مسلم (٥٥) (٩٥) من حديث تميم الداري.



الوحدة السادسة

عقبات في طريق الدعوة والدعاة

عقبات الدعوة: تواجه الدعوة الإسلامية عقبات كثيرة وهي تشق طريقها لتحقيق أهدافها، تلكم العقبات التي يصنع بعضها الدعاة أنفسهم، أو يجدونها في المجتمع الذي يحاولون إصلاحه، ومن تلك العقبات:

١ - اختلاف الدعاة فيما بينهم:

وهنا نحب أن ننبه إلى أننا لا نستطيع إلغاء الاختلاف بين الناس ومنهم الدعاة؛ لأن الله تعالى خلقنا ألواناً وأشكالاً وطبائع ولغات وشعوباً وقبائل وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨-١١٩]. إن الذي نسعى إليه هو تقنين الاختلاف، ووضع قواعد تحكمه حين وقوعه، وهنا نشير إلى كتاب (أدب الاختلاف في الإسلام) للدكتور طه جابر العلواني ليرجع له الدعاة كي يحاصروا خلافاتهم، ويحولوا دون تفاقم لهيبها؛ لأنه إذا اشتد فإنه يأكل الأخضر واليابس، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

يجب أن نؤمن أننا لسنا نسخاً مكررة، بل متنوعون، ولكن ضمن الإطار الواحد الذي لا يجوز تجاوزه فهو خط أحمر، لأن تجاوزه يعني الوصول إلى (التنازع) الذي رأيناه عبر تاريخنا الإسلامي، حيث أدمى جراحنا، ولازلنا نعاني منها إلى اليوم، حيث تقشعر أبداننا حين نذكر معركة الجمل وموقعة صفين وقتال المسلم لأخيه المسلم. نبكي حسرة ونحن نقرأ الصراع

المسلح والخلاف الذي وصل إلى استخدام الأدوات المادية بدءاً من مأساة كربلاء، إلى تعليق ابن الزبير، إلى جلد الإمام أحمد بن حنبل، وسجن ابن تيمية، وإعدام سعيد بن جبير وغير ذلك مما يصعب حصره.

إن حالة الاختلاف الناشز الذي يصل إلى أقصى مداه، ويتحول إلى نزاع، مرده إلى الأهواء الشخصية، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ومنع الكلمة والتعبير عنها، وقهر الناس على رأي حاكم أو طائفة، كما حصل في أيام سطوة المعتزلة وتقربهم من المأمون. إن التعددية داخل الصف الإسلامي لا بد أن تنظم، وأن يعتبرها الجميع ظاهرة صحيحة ما دام الجميع مرتبطاً بمرجعية الكتاب والسنة، وما انبثق عنهما من المعلوم من الدين بالضرورة، وما أجمعت عليه الأمة.

أما المسائل التي تحتمل أوجهاً ومسارات، وغالباً ما تكون في دائرة المباح أو المتروك أو ما اختلف فيه من قبلنا وخرج عن دائرة الاجماع، فهذا فيه سعة، ولا بد أن تتاح الفرصة لكل صاحب رأي أن يقول رأيه، ويعبر عنه دون مصادرة ولا محاصرة ولا اتهام ولا اعتداء، بل نعتبر ذلك كله ضمن دائرة الاجتهاد في رحلة البحث عن الحقيقة والأصوب.

٢- الجهل والفقر والأمية والتخلف:

كلها عناوين تحتاج إلى جهود مضنية، وبرامج واقعية، وتصميم وإدارة، فالجهلاء لا يعتمد عليهم، بل قد يكونون أدوات في يد الخصوم، والأمية مع أنها لا ترادف الجهل إلا أنها داء خطير لا بد من محاربته، كما فعل عليه السلام حين سمح للأسرى المشركين أن يفتدي الواحد نفسه بتعليم عشرة من المسلمين، لأن أمة العلم تستطيع أن تواجه الأمم المتعلمة وبخاصة في

زمننا هذا، حيث نجد نسبة الأمية في بعض دول العالم صفراً بالمائة، بينما نجدها في بعض بلاد المسلمين أكثر من ٥٠٪.

ولعل الفقر والتخلف يرتبطان بالأمية بطريق أو بآخر، ففرص العمل أمام الأمي ضعيفة، إذ لم تعد الأشغال تعتمد على العضلات كما كانت في السابق، حيث حلت الآلات محل العضلات، وصار الناس بحاجة إلى المفكر والمخترع والمصمم، ناهيك عن الإيراد الضعيف لذلك الأمي إذا وجد عملاً، ولن يكون إلا شاقاً.

إن تخلف أي مجتمع يحول دون وصول شعبه إلى القمة التي تتنافس للوصول إليها أمم الأرض، ولا ينبغي لأمة الإسلام أن تقبل على نفسها التخلف؛ لأن الله تعالى وصفها بأنها ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] تلكم الخيرية خيرية مطلقة، فهي الخير في الاعتقاد، والخير في الاقتصاد، والخير في الأخلاق، والخير في السلوك والآداب، وهذا كله يتناقض مع التخلف.

٣- الانحرافات المنهجية عن طريق الدعوة:

لا شك أن الدعوة الإسلامية تقوم على منهج واضح لا يجوز تجاوزه بحال، ذلكم المنهج الذي تتمثل معالمه فيما يلي:

أ- أن طريق الدعوة شاق وفيه ابتلاء، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]، وقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وهنا ننبه إلى أن الابتلاء ليس هدفاً للدعاة، ولكنه يقع لهم من صنع غيرهم.

ب- أن نهاية طريق الدعوة هو النصر شريطة نصر الله، قال عز وجل: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[يوسف: ١١٠]، وعلى الدعاة أن يوقنوا بذلك، فإذا شكوا فلا نصر لهم.

ج- أن لا نصر لدعوة الله تعالى إذا كان أتباعها أفراداً متفرقين أو جماعات متناحرة، فالرسول عليه السلام جمّع أصحابه الذين آمنوا به، وانطلق بهم نحو نصر الله، وذلك انسجاماً مع الخطاب القرآني ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فهم متجمعون غير متفرقين، موحّدون يخافون التنازع، لأنه درب ذهاب الريح، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

د- أن الدعوة المنصورة هي التي تلتزم بأوامر الله تعالى في أفرادها ومجموعها، فلا يمكن أن تنتصر دعوة وأفرادها مخالفون، ومجموعها جاثم على المعصية مصر عليها. ونحن هنا لا نتحدث عن المخالفات الإنسانية التي يقع فيها جميع الناس، ولكن الذي ننبه إليه أن لا تكون الجماعة الدعوية راعية لمخالفات شرعية، بل عليها مطاردة معاصي الأفراد، فضلاً عن أن تكون لديها مخالفات مقيمة عليها، فلا يجوز أن تكون لدى الجماعة عقيدة مشوهة أو غير واضحة، كما لا ينبغي أن تكون راعية البدع والخرافات، ولا مسرحاً للتنطع والجدال بالباطل، حيث يتحول الدعاة إلى جدليين سوفسطائيين.

هـ- أن المنهج الدعوي الصحيح يقتضي من الدعاة أن يكونوا على ذكاء وفطنة ودهاء، بحيث لا يخدعهم أعداؤهم، فالدعوة المنصورة بإذن الله هي

الدعوة التي تدرك ما يجري حولها، فلا تكون ضحية جهلها، ولا فريسة تخطيط عدوها، بل عيونها مفتوحة تقدّر الأمر حق تقديره وفقاً لمعادلات القوة والضعف، ففي ظرف الضعف قال عليه السلام لأصحابه: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[1]، وفي ظرف القوة قال لمشرك مظلوم استجار به: (نُصرت يا عمرو بن سالم)[2].

إن حالات البلاء التي وقعت فيها الجماعات الإسلامية لا تصنف جميعها تحت عنوان (تخطيط الأعداء) بل جزء كبير منها نتيجة الطيش والاستعجال واستدعاء البلاء. وإذا كان الدعاة مدركين (التآمر العالمي) فلم لا يقدرون قوتهم تجاهه فيسيرون بالسير المعقول الذي لا يحقق الدمار والدماء والاستئصال؟

نعم إن طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود، ولكن ذلك يقتضي عيوناً مفتوحة لا تدوس على الأشواك، لأن رحلة الدعوة نحو النصر تتأخر، ويدخل الدعاة في مسلسل الترميم، وإعادة البناء ولأم الجراح، والبحث عن (الغوث) والمساعدة، ورعاية الأيتام، والمطالبة بالإفراج عن المساجين عوضاً عن البحث الأصلي وهو نصر الله وسيطرة شريعته.

عقبات الداعية:

نفصل بين الدعوة والداعية لأغراض دراسية، ولكن الحقيقة اتصال الأمرين، فكل عقبات الدعوة هي عقبات للدعاة، وكل عقبات الدعاة هي عقبات للدعوة. إننا حين نفرد عقبات الداعية لوحدها؛ لأننا نريد أن يركز الدعاة على أنفسهم حتى لا يضلوا الطريق، وبالتالي فإن الداعية مدعو

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٥٤، ذكر عدوان المشركين على المستضعفين.

(٢) المرجع السابق ٤/ ٣١.

للثبات على دعوة الإسلام فلا ينحرف ولا يضل، ومن هذه العقبات:

١- **المال**: وهو نعمة من نعم الله تعالى بلا شك، لكننا ندعو الله تعالى أن يجعله في أيدينا ولا يجعله في قلوبنا، فالمؤمن الغني أنفع لعباد الله الفقراء وأنفع لدعوة الإسلام، والداعية الفقير يبذل وسعه من وقت وجهد ودعاء صالح بحيث ينشغل عن دعوته بمعاشه، ولا بدَّ له من ذلك. وإن الابتلاء يتحقق بالغنى والفقر، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ * وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦] لقد سمي المال مالاً؛ لأنه قد يميل بصاحبه، فبعضهم يترك دينه ويدخل في عالم الربا والغش والاحتكار والرشوة، وقد رأينا دعاة إسلاميين أصابهم مثل ذلك، حيث قادهم المال ولم يقودوا هم المال.

على الدعاة أن يتذكروا أن المال مال الله، وأنهم مستخلفون فيه، وأن الله سائلهم عن كل درهم ملكوه، من أين اكتسبوه؟ وأين أنفقوه؟ وعليهم أن يتذكروا أنهم لطالما وعظوا الناس وحملوا الجنائز وغسلوا الأموات، ورأوا بأم أعينهم أن الأكفان ليس لها جيوب.

٢- **المنصب**: سمي المنصب بهذا الاسم للتأكيد على أنه مكان النَّصَب وهو التعب، والأصل أن يكون لصالح المسلمين، وليس لمصلحة من تولى المنصب، إلا أن السائد الأغلب في المسؤولين الذين يتولون المناصب هذه الأيام أنهم يبحثون عن مصالحهم، فينهبون ويسرقون.

أما الداعي فإنه حيثما حل يجب أن يطابق قوله وفعله وسلوكه ما طلبه الإسلام، وعليه أن يتميز فلا يسير سير الآخرين، بل يضرب النموذج في التواضع والزهد ونظافة اليد والجيب، أما إذا حذا حذو الفاسدين فقد أسقط

اسمه من قوائم الدعاة، ووضعه في قوائم اللصوص. لطالما تحدثنا للدعاة أن لا يتمنوا الفتنة، وهناك رجال صمدوا في الفتن الأشد، فما بالك بمنصب تجلس فيه اليوم، ولا تجلس فيه غداً، فالأيام متداولة بين الناس، ومن رأى من الدعاة أنه لا يصلح لهذا الأمر، أو يخشى على نفسه الفتنة، فليبتعد، ولهذا فقد واجه النبي ﷺ أبا ذر الذي طلب منصباً فقال له: (إنك ضعيف وإنها أمانة)[1].

ولا ينبغي لجميع الدعاة أن يزهدوا في المناصب، لأنهم إن فعلوا ذلك فقد تركوها لغيرهم، وهنا تزيد دائرة الفساد. بل الواجب أن ينبري بعضهم لهذه المهمة رافعين الراية التي رفعها يوسف عليه السلام ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] وهنا لا بد من شرطين:

أ- **الحفظ والأمانة والدين.**

ب- **العلم بالموقع الذي سيشغله الداعي**، فإن كان مالياً كان تخصصه في الاقتصاد، وأن كان معماراً كان تخصصه في الهندسة، وإن كان تربوياً كان تخصصه في العلوم الإنسانية وأولها الشريعة الغراء وهكذا، لأن الدعوة الإسلامية تدعو إلى (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب).

إن بعض الدعاة قد فتنوا يوم تولوا المناصب، فصاروا أبواقاً كغيرهم، بل لم يلمس المسؤول عنهم تميزهم، ولم ير الناس نظافتهم، لأنهم انغمسوا كالآخرين، ونسوا أن موظفيهم يراقبونهم، والناس يراقبونهم، ومن أسند لهم المهمة يراقبهم، وقبل ذلك كله إن الله عليهم رقيب.

٣- **الزوج والجنس الآخر**: بعض الدعاة تتغير حياتهم بمجرد الزواج،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٥) (١٦).

حيث لا يكون التوافق والتكافؤ بين الزوجين موجوداً، فتنشب الخلافات وتتصاعد، وقد تصل إلى الطلاق، وقد تستمر على علاّتها، فيحتفظ الداعي (الرجل أو المرأة) بشريك حياته، ويرضخ لهذا الوضع، ويقر التعامل معه كما هو، مما يقلل أو يعطل أو يعيق نشاطه الدعوي، بل قد يصل الأمر عند بعض الناس إلى الانحراف وترك الإسلام ودعوة الإسلام. ومما يذكر في هذا المجال فتنة جنس الداعية (ذكر أو أنثى) بالجنس الآخر (ذكر أو أنثى) نتيجة لعدم الالتزام بما دعا إليه الإسلام من غض للبصر، وحفظ للنفس، وعدم اتباع خطوات الشيطان. وقد تكون هذه الفتنة في الشارع أو العمل أو أي مكان عام، بل قد تصيبه وهو في بيته نتيجة لاستراق البصر واتباع وساوس الشيطان.

وإذا كان الداعي المتزوج أبعد عن ذلك فهذا لا يعني أنه بمنأى، أو أنه لا يمكن أن يصيبه هذا الشر. لكن مما لا شك فيه أن الداعي العزب معرض لهذه الفتنة أكثر من غيره، ولهذا أمر الرسول عليه السلام الشباب بحفظ أنفسهم حين قال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[1].

٤- **الأصدقاء**: أكد لنا الله تعالى في كتابه العزيز على ضرورة الانتباه إلى الأصدقاء بقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]. لقد جاء في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقد ارتد عن إسلامه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

بتأثير من صديقه أبي بن خلف، حيث فضل صداقته على دين الله تعالى، فارتد عن الإسلام، بل قام بإيذاء الرسول عليه السلام. لقد حذر النبي ﷺ أتباعه حين قال: (المرءُ على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل)[1].

وإذا كانت هذه التوجيهات لكلّ المسلمين، فإن الدعاة مطالبون بالحذر الشديد تجاه ذلك. فما نأمله من الدعاة هو (التأثير) وليس (التأثر). إنه يعطي ويقدم ويهدي فلا ينبغي له أن يصبح متلقياً متأثراً، فليحذر دعاة الإسلام وليتذكروا الحكمة القائلة (الصاحب ساحب)، فليصحبوا المؤمنين الملتزمين، وليحاولوا التأثير في الآخرين دون التأثر السلبي بهم.

٥- **البطش**: لا شك أن الابتلاء هو سنة الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] لكننا نفرق في فقه الدعوة بين التعامل مع البلاء حين يقع وضرورة الصبر والمصابرة، وبين استدعاء البلاء والتعرض التلقائي له دون روية ولا حساب ولا احتياط.

على أية حال فإن سياسة (البطش) التي يمارسها أعداء الإسلام تجاه المسلمين وبخاصة الدعاة منهم سياسة قديمة قال تعالى: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ [النمل: ٥٦]، وقال: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقال: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، وقال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقال: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وقد تعرض الرسول محمد ﷺ لأكثر من عشر محاولات

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وهو حديث حسن.

للاغتيال، ولحقه من الأذى النفسي والجسدي الكثير، فقد أدميت قدماه وهو يدعو أهل الطائف.

وفي العصر الحاضر فقد تعرض دعاة الإسلام إلى الأذى الشديد فهم بين طريد وشريد وسجين وقتيل، ويمكن الاطلاع على بعض ما كتب في هذا الشأن، مثل كتاب (أقسمت أن أروي)، وكتاب (حماة مأساة العصر)، وكتاب (مذبحة الإخوان في ليمان طره) وغيرها كثير.

إن الدعاة بشر، وقد يصمد بعضهم أمام البطش كما فعل سيدنا بلال الذي كان يصر على قول: (أحد أحد) فكان مثالاً للعزيمة. بينما نجد عمار ابن ياسر لا يصمد وينفذ رغبة معذبيه، فينال من الرسول عليه السلام على كره منه، ولما اعتذر للرسول عليه السلام عما حصل، قال له الرسول ﷺ: (إن عادوا فعد)[1]. لقد كان عمار مثالاً للرخصة. ولعلنا حينما نرى هذين النموذجين من الصحابة وفي حياة النبي ﷺ يتأكد لنا أنها سنة الله تعالى، وأن المسلمين عبر التاريخ سيكون منهم أصحاب العزائم وأصحاب الرخص، فلا يعيّر أحدٌ أحداً، لأن هذا الدين يرفع قاعدة مهمة هي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] لكن المهم الذي نريده من الدعاة هو أن لا ينقلبوا على دينهم خوفاً من أذى الناس كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

وليتذكر هؤلاء أنهم بغير الإسلام لا قيمة لهم ولا وزن، وأن من يترك دينه فقد خسر الدارين، كما قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٩ (٣٣٦٢)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وانظر سير أعلام النبلاء ١/ ٤١١.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ولا ينبغي للدعاة أن يقارنوا أذى الناس بغضب الله قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]. وقال: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وقال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾ [آل عمران: ١١١]. فقد ينالوا من الجسد، ولكن الروح المؤمنة تحلق في الأعالي، ولا سبيل لهم للوصول إليها أو النيل منها، وهنا نستذكر قول ابن تيمية رحمه الله: (ماذا يفعل بي أعدائي؟ إن سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة).

الوحدة السابعة

قواعد في فقه الدعوة

كلنا يعلم أن قراءة القرآن لها قواعد تدخل تحت عنوان (أحكام التجويد)، ونعلم كذلك أن الفقهاء ساروا على قواعد تحت عنوان (أصول الفقه)، فهل قضايا الدعوة لها قواعد؟!

نعم للدعوة قواعد كثيرة تم استنباطها من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وتارَيخ الإسلام العظيم، ومن تلك القواعد:

١- التأليف قبل التعريف:

يجدر بالدعاة أن يتعاملوا مع المدعوين بدقة متناهية، وأولى الخطوات تأليف قلوبهم، إذ من الخطأ الكبير أن يبدأ الداعية بإعطاء المعلومات للمدعو، وكأنه يريد أن يلقي حملاً عن ظهره، حتى لو وقع على الأرض وليس في نفس المدعو، لا بد من التأني لمعرفة مدى تعلق ومحبة المدعو للداعي، فإذا حصلت الألفة بدأ الداعي بالتعريف بالدعوة، لأن حبل المودة قد وجد، وبالتالي فإن تقبل المدعو للأفكار هو الأرجح، ولا ينبغي أن يدعي الواحد منا أنه لا وقت لديه، وعليه أن يبلغ كلمته ويذهب ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]. نعم هذه آية نؤمن بها، ولكننا مطالبون أن نُحسن العمل ونتقنه، قال عليه السلام: (إن الله يحب إذا عمل

أحدكم عملاً أن يتقنه)[1] ولا ننسى أن الله يحب أن نُحسن في كل أعمالنا ومنها الدعوة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]. إن المحبة بين الداعي والمدعو هي طريق الاستجابة فلنتعب لإيجادها لأننا بها سنصل إلى هدفنا، وهو إنقاذ الناس وليس مجرد إسماعهم، رغم أن الإسماع شيء طيب لكن قطف الثمرة أطيب وأجمل، وهو علامة تحقيق الأهداف. إننا نرى في واقع الدعاة من لا يهتم لهذا الأمر، بل جلُّ همه أن يلقي بالمعلومات، رغم أن المدعو ربما ينفر منه، أو لا يرتاح إليه، وبهذا يصير كلامه دون ثمرة.

على الدعاة أن يتذكروا قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣]، علينا أن نكون مدققين في قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وإذا كان هذا خطاباً للرسول عليه السلام فما بالك بنا نحن وبخاصة في هذه الأيام؟!. على الدعاة أن يكونوا مبشرين باشين في وجوه المدعوين وليتذكروا أن الله تعالى قد قدم التبشير على الإنذار في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ولنسر على هدي النبي ﷺ القائل: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[2].

---

(١) مجمع الزوائد ٤/٩٨، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة.

(٢) رواه الترمذي ٤/٣٣٩ رقم ١٩٥٦ وقال: حسن غريب، وفي مجمع الزوائد ٣/١٣٤ رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه يحيى بن أبي عطاء وهو مجهول.

٢- التعريف قبل التكليف:

إذا وصل الداعي إلى التأليف فإنه ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة التعريف، وعليه أن يبدأ بالجذور والأساسيات، ولا يقف عند التفريعات والدقائق ولا المختلف فيه وعليه. ولا تحديد لمرحلة التعريف، بل كل حالة بحالها، لكن على الداعية أن لا يلقي بالتكاليف على المدعو، بل يعرفه ليرى ردّ فعله على ذلك. إن تركيز الداعية على التعريف بالله تعالى هو الأساس، وهو الذي يحمل المدعو إلى التطبيق. نعم نحب أن نرى الناس ملتزمين بدين الله، ولكن علينا أن نصبر شيئاً فشيئاً، ولنتذكر أن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

إنها نفس بشرية اعتادت على نمط من الحياة، والتكاليف صعبة على النفس، فلا بد من ربط النفس بالله لتنهض إلى الحمل الثقيل، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] وإن بعض الدعاة يلقون بالتكاليف كلها مرة واحدة مما يجعل المدعو في حرج حيث لا يستطيع أن ينفذ كل ذلك، وبهذا يرى نفسه دون هذا المستوى، وقد يشعر عند ذلك بالإحباط، ويوسوس له شيطانه بأنك لن تكون صالحاً، ولا تستطيع ذلك. إن مرحلة التعريف لا تشمل إدخال المدعو في التعريفات الفقهية والخلافات الدقيقة، بل تقتصر هذه المرحلة على التعريف بالله تعالى وحقوقه على العباد، وحقوق العباد على الله، وبالتالي فإن الداعية يتحدث في الأساسيات والأمهات.

إن بعض الدعاة يسارعون إلى إقحام المدعوين في خلافات قديمة حديثة، حول التصوير، والجلباب، والخمار، والسُّنة القبلية يوم الجمعة،

والسجود على الركبتين أو اليدين، وعدد تكبيرات الإحرام وما شابه ذلك من المسائل التي لن يتفق عليها الناس مهما طال الزمن. وإن طرح هذه المسائل وأمثالها على المدعوين قد تساهم في تنفير المدعو، وسمعنا بعضهم يقول للمشايخ: اذهبوا أولاً واتفقوا، ومن ثم تعالوا تحدثوا معنا.

٣- وقفات في مراجعة الحساب:

يحتاج الدعاة أفراداً وجماعات إلى وقفات ومحطات لمراجعة خطواتهم وحساباتهم أين وصلوا؟ وماذا أنجزوا؟ ما الذي حققوه؟ وأين تم الإخفاق؟ وقد تحدث الشيخ محمد أحمد الراشد في كتابه (المسار) عن ضرورة مراجعة الحركة الإسلامية لنفسها بين الحين والآخر، حيث بيّن أن سيدنا إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل كانا يتوقفان عند بناء الكعبة لمراقبة سوية البناء واستقامته.

إن مراجعة الحساب ضرورة حياتية نراها في سلوكنا الشخصي والمصلحي كأفراد، ولهذا لا يجوز استبعادها من حياتنا كدعوات وحركات، ولا يجوز أن يصف بعضهم مراجعة الحساب بأنها (مجالس راكدة) وأنها تعيق العمل.

نقول بمراجعة الحساب ونحن نرى الصحوة الإسلامية بمختلف مسمياتها تُتخطف وتُلدغ من الجحر الواحد مرات ومرات، وساحتي مصر والجزائر ليستا عنا ببعيد.

إن مراجعة الحساب تزيل الصدأ، وتدفع للأمام، وتتسبب في الحيوية والانطلاق، وهي دلالة وعي، ومظهر حضاري، وصيغة علمية، وتعامل مع

المستجدات، وتطبيق للنصوص على أرض الواقع.

إننا مدعوون لإقامة (ورشات) عمل جاد صريح من أجل المصلحة العامة خدمة لدين الله تعالى في ظل هذه الظروف، وكل شيء على مائدة البحث بدءاً بالفهم والمنهج، مروراً بالعمل والأداء، واستعراضاً للأشخاص ومدى تناسبهم مع المواقع التي تسندها إليهم الدعوة.

إن الإصرار على الفاشل المجرَّب من الوسائل والمناهج هو تعصب مذموم، وتغييب للعقل، وإصرار على الفشل والهزيمة، وإن التوقف لتصويب المسيرة وتجديدها هو الذي سيجنبها إضاعة الوقت والمال والدماء.

٤- تقدير الرجال لا تقديسهم:

لا تنسب القداسة عندنا للأشخاص، بل إن اسم (القدوس) من أسماء الله الحسنى، ومع المكانة العظمى لرسول الله ﷺ إلا أن الله تعالى وصفه بالعبد: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]. وفي لغة الغربيين توجد كلمة قديس The saint حيث يتم صرفها للذين فرغوا أنفسهم لأعمال الكنيسة، أما نحن فلدينا كلمات ثمينة تدل على أعمال الرجال مثل: مجاهد أو عالم ولا يدخلان في باب القداسة، وإنما حصلا على هذين الوصفين لأنهما قاما بأعمال ذات قيمة في شريعة الإسلام، فالمجاهد يقدم دمه في سبيل الله، لكنه لا يُسَامح بحقوق الآدميين، والعالم أخذ هذا الوصف؛ لأنه صرف وقته يبحث في ميراث رسول الله ﷺ، لينقل العلم للناس، وليجتهد إنْ كان من أهل الاجتهاد.

الرجال عندنا لهم التقدير والاحترام بقدر ما يقدمون لدينهم وأمتهم، ويقدمون المصلحة العامة على مصالحهم، وبقدر ما ينصحون للأمة ويكونون قدوة لها، وبقدر ما يعكسون من علوم الشريعة في سلوكهم على أرض الواقع أمام الناس، وتقدير الرجال لا يعني عدم الاختلاف معهم ومحاورتهم، والأخذ منهم والرد عليهم، وقديماً قالها الإمام مالك رحمه الله: (كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر) يعني محمداً ﷺ.

هناك صنف على أرض الواقع من أتباع الصحوة الإسلامية يعادي من يخالفه، ويعتبر مخالفته مخالفةً للشريعة، وبالتالي يصنف المطيعين والموافقين له في دائرة (الأحباب) ويجعل من يخالفه في دائرة (الأغراب) وبالتالي فهو ومن يوافقه الحريصون على الدعوة والمنافحون عنها والأوصياء عليها، بينما من يخالفه مفرط منحرف يريد شراً بالدعوة. الدعوة ليست هذا الشخص أو ذاك، وليس هناك أوصياء، ولا يوجد في ديننا سلاح حرمان ولا صكوك غفران، في ديننا إنزال للناس منازلهم، وفي ديننا احترام من يحترم نفسه ويحترم الآخرين، وإذا كان بعض الناس يريد أن يكون في مكانة عليا فليحترم تلك المكانة، وليلتزم بأخلاقياتها ومقتضياتها؛ لأن الاحترام لا يطلب من الآخرين بل يفرضه الإنسان على الناس بسلوكه، وطيب معشره، وقدوته وبشاشته.

وإذا كنا جميعاً نقول: نحن نقدر الرجال ولا نقدسهم، فإن ذلك يعني على أرض الواقع والتطبيق أن نقول للمحسن: أحسنت، وللمسيء: أسأت. وإذا كنا جميعاً نطالب بكلمة الحق عند السلطان الجائر، فإننا مدعوون لقولها أمام كل (عنجهي) يتغطرس باسم الدعوة، وحين يتواضع يرفعه الله ونرفعه، أما الحذلقة والادعاء فإنها لا تسمن ولا تغني من جوع.

آن لنا أن نقول بالعمل للمسيء: أسأت، وللمحسن: أحسنت عن طريق وضع كل إنسان في مكانه الطبيعي، دون هالات مزعومة، ولا كلمات معسولة، فكثير من الأدعياء يقولون ما لا يفعلون، يحاضر عن الزهد وهو أَشْرَهُ الناس، ويطالبك بالعدالة وهو الظالم لنفسه وغيره، يذم المناصب وهو الحريص عليها بالنواجذ. آن لنا أن نسمي الأشياء بأسمائها وأن نضع حدّاً لما يجري تحذيراً أو تخويفاً، فهل نفعل؟!

٥- قيادة المسلمين أولى من زيادة البرّ:

يحلو لبعض الدعاة أن يدفع باتجاه فعل الخير والبر والإحسان، وهذا شيء طيب بحد ذاته، لكن بعض هؤلاء يجعل نفسه بين خيارين: إما فعل الخير والبر، أو قيادة العمل الإسلامي. إنه تخيير في غير محله، لأن قيادة المسلمين هي خير وفيها الأجر العظيم، حيث جعل الله مكانة أولي الأمر بعد ذكر الله تعالى وذكر الرسول، قال عز وجل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]. كما أن الرسول عليه السلام جعل الإمام العادل في أعلى المواقع وأهمها عند الله إذ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل أنفق نفقة حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه)[1].

(١) البخاري مع الفتح ١٤٣/٢ رقم ٦٦٠، ومسلم ١٢٠/٧، وسنن النسائي ٢٢٢/٨، ومسند أحمد ٤٣٩/٢، والموطأ ص٦٧٩ رقم: ١٧٣٣، والجامع الصحيح للترمذي ٥٩٨/٤ رقم: ٢٣٩١، وقال: حسن صحيح.

وإذا خيّر الإنسان بين عملين صالحين، فإنه يفعل أكثرهما أجراً، ولا شك أن قيادة المسلمين فيها أجر أعظم من الخلوة للتسبيح والتهليل مع أن هذا الذكر عاقبته أجر عظيم. وسبب عِظَم الأجر في القيادة أن خيره وفائدته تعود على الجميع، بينما الذكر يعود على صاحبه، وهنا أذكّر بقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]، فإذا أمكن أن يجمع الإنسان المسلم بين العبادة والذكر، فهل إدارة شؤون العمل الإسلامي تحول دون الذكر والتهليل وعمل الصالحات.

ولهذا فإن الذين يدعون إلى ترك قيادة العمل الإسلامي بدعوى أنهم يريدون التفرغ للذكر والعبادة، نقول لهم: إن هذا خداع للنفس، لأن المسلم يذكر الله على كل حال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] وإذا كانوا باحثين عن الأجر فليبحثوا عن الأجر العظيم والكبير، وهو كامن في الشؤون العامة التي تعود على الجميع بالنفع والخير في الدارين.

٦- الهياكل والوسائل أمور اجتهادية:

إن مما قرره علماؤنا أن المسلم مدعو لعبادة الله تعالى وعلى طريقة محمد ﷺ، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، فالعبادة لله وحده، والعبادة تكون بالاقتداء والاقتفاء، ولا يجوز الابتداع ولا الإضافة، ولهذا قال عليه السلام: (خذوا عني مناسككم)[1] وقال: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[2].

(١) صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٧٧ رقم ٢٨٧٧.

(٢) البخاري مع الفتح ٢/ ١١١ رقم ٦٣١، ومسند أحمد ٥/ ٥٣.

هذه المقدمة نفهمها جميعاً ونقر بها ولا نختلف عليها. وإذا قطعنا خطوة للأمام فإننا نستذكر إشارة بعض الصحابة للنبي ﷺ بخصوص تأبير النخل (تلقيحه) حيث أشار عليهم بشيء لم يأت بنتيجة إيجابية مما دفعهم لمراجعته فقال لهم عليه السلام: (أنتم أدرى بشؤون دنياكم)[1] أي إن ما قلته لكم بخصوص تلقيح النخل اجتهاد بشري وليس وحياً، وقد أدليت برأي إنساني فلم يصب.

أنطلق من هذه الحادثة لأقول: إن جملة كبيرة من الأشياء تندرج تحت قوله عليه السلام: (أنتم أدرى بشؤون دنياكم) فكيف ننظم السير والمدن والطرق؟ وأين نزرع؟ وماذا نزرع؟ وما أشبه هذه الأشياء كلها تدخل تحت قوله عليه السلام: (أنتم أدرى بشؤون دنياكم).

وإذا انتقلنا إلى عالم الدعوة والعمل الإسلامي والتنظيم، فإن الشريعة الإسلامية لم تحدد لنا كيف ننظم أنفسنا؟ وعلى أي شكل يكون التنظيم؟ هل نتبع الهرمية؟ هل نتعامل بالباب المفتوح؟ هل نطبق السرية الداخلية على أفراد التنظيم؟ هل نقسم أنفسنا إلى مجموعات؟ ماذا نسمي تلك المجموعات؟ خلية أم أسرة أم حلقة أم مجموعة؟.

إن كثيراً من الهياكل والقوالب التي يتبعها أي تنظيم إسلامي هي مجرد اجتهاد قد يصلح لفترة ولا يصلح لأخرى، ولا يجوز أن نجعله من المقدسات، فهو من حيث المبدأ ليس من الدين، فلم تأمر به آية ولا حديث ولا سيرة، بل هو من باب (أنتم أدرى بشؤون دنياكم) فلا تجد التنظيمات نفسها في حالة حرج أمام الهياكل إذا وجدت إقبالاً من الناس عليها؟ هل

---

(١) صحيح مسلم ١٥/١١٨.

نظام المجموعات البسيطة المحدودة يستوعب الجمهور المقبل؟ هل لدى التنظيم قيادات تربوية واعية في شتى المجالات الإسلامية والسياسية والفقهية لقيادة هذه المجموعات البسيطة؟ إن التقليد الأعمى والوهم يربط كثيراً من التنظيمات ويجعلها هياكل موروثة لا حيوية فيها، إنما هو التقليد الذي لا يجوز خرقه ولا تغييره مع أنه من صنع البشر؟! إن حرية تغيير الهياكل والقوالب هي الإطار الأمني للتنظيم الإسلامي، أما العيش على الموروث فهو ثبات جمود لا ثبات مبادىء.

٧- الفقه قبل السيادة:

الفقه هو الفهم العميق، ولا يستطيع غير الفاهم أن ينقل الفهم للآخرين، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء:٧٩] وحتى يصل الإنسان إلى الفهم فلا بد له من بذل الجهد، وتحصيل العلم، ودعاء المولى جلت قدرته أن يفتح عليه ليفهم. هذا هو طريق سلفنا الصالح، فما من واحد منهم إلا له شيوخ تعلم منهم العلم، وأخذ عنهم الأدب والأخلاق، ولما جاء موسم عطائه صار له التلاميذ والمريدون، يأخذون عنه وينهلون من علمه، فأين نحن من هذا اليوم؟

إن واقع الصحوة الإسلامية في هذا المجال غير صحيح، فقد بدأنا نلمس حالة من الفوضى في الإفتاء من غير أهله، وصار صغار السن يفتون، وكبارهم يدّعون، وتتصارع المدارس المختلفة والاتجاهات لفرض رأيها الفقهي، حتى وصلنا إلى حالة إعجاب كل ذي رأي برأيه، وساد الرويبضة (الرجل التافه يفتي في أمر العامة)، وصارت الفتاوى تباع وتشترى.

إننا نوجه كلامنا للدعاة المخلصين الغيورين كي يراعوا ذلك، فمن وجد

عنده الملكة والرغبة في الفقه فليبذل جهده فيه، وليتبع الدرب الصحيح فيتفقه على أيدي العلماء قبل أن يُنصِّب نفسه مفتياً. علينا أن نتذكر أن أمر الإفتاء جد خطير، وأن علماءنا الصالحين كانوا يتحرزون عن الإفتاء إلا إذا كانوا على يقين، وأذكّر هنا بإمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الذي سئل عن أربعين مسألة فأجاب عن أربعة وقال عن الباقي: لا أدري.

علينا أن نفرق بين الفقية والداعية، فالفقيه هو الذي يستطيع الإفتاء، أما الداعية فهو مصلح يعرف الأمور العامة وقد يكون طبيباً أو مهندساً أو في أية مهنة لكنه لم يفرغ وقته للعلم الشرعي، ولهذا فإن عليه أن يقف عند حده ولا يتنطع لما لا يعرف؛ لأنه عندئذ سينشر ضلالاً عوض أن ينشر هداية.

وعلى الدعاة أن يفرقوا بين حافظ الفقه والفقيه، فالأول ليس بفقيه بل هو ناقل للفقه، أما الفقيه فهو القادر على الاستنباط والاجتهاد، ولهذا قال عليه السلام: (رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[1] وإن أغلب الذين نراهم بين أبناء الصحوة الإسلامية ممن يتحدثون في الفقه هم حاملو فقه وليسوا فقهاء. ومع ذلك فإن حاملي الفقه هم في درجة أعلى ممن لا حظ لهم من الفقه فهماً واجتهاداً أو نقلاً وتعليماً.

٨- هدف الدعوة صناعة الحياة:

إن الدعوة الإسلامية قد جاءت لإصلاح الحياة البشرية، فقد أنزل الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض ليكون خليفة فيها: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) الجامع الصحيح للترمذي ٥/ ٣٣ رقم ٢٦٥٦ وقال: حديث حسن، وسنن ابن ماجه ١/ ٨٤ رقم ٢٣٠، وسنن أبي داود ٣/ ٣٢٢ رقم ٣٦٦٠.

خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠] والخلافة تعني البناء والإعمار، إعمار النفوس، وإعمار الأرض، وإعمار الاقتصاد وكافة جوانب الحياة. ولا تستطيع الدعوة أن تقوم بهذه المهمة ما لم تفكر في كل ما يحتاجه الناس، وتخطط لإصلاحه، وتجعل المختصين هم القائمين عليه.

إن الدعوة لا تهدف إلى الإصلاح في المسجد فحسب، لكن المسجد هو المنطلق والبداية، وعلى الدعاة أن يُخرجوا روحَ المسجد إلى الحياة كلها بحيث تصل إلى ميدان التعليم المدرسي والجامعي، وإلى ميدان الرجولة عند العسكريين الذين هم طلائع الجهاد دفاعاً عن الأمة ودينها ومقدساتها، وإلى ميدان الاقتصاد الذي اعتنى به الإسلام أيما عناية، إذْ لا بد من السعي وبذل الجهد ليكون المسلمون مكتفين عن سؤال غيرهم، ولهذا لا بد من خطط تخلص العالم الإسلامي من المديونية والتضخم وكافة الأمراض الاقتصادية من فقر وبطالة وترف وسرف.

إن دعوةً تفكّر بهذا الأسلوب هي الدعوة المؤهلة لتحقيق الأهداف. أما أولئك الذين لا يشغلهم إلا طول اللحية والثوب، أو الذين يغرقون في الانزواء باسم إصلاح النفس، أو الذين ينظرون في السياسة دون أن يعملوا ما هو مطلوب منهم فلا حظّ لهؤلاء من الإصلاح المنشود لأنهم فقدوا الرؤية الشاملة التي تعني صناعة الحياة بكل مجالاتها وسبلها.

٩- استدعاء البلاء أمر مذموم:

قال ابن تيمية رحمه الله: (ماذا يفعل بي أعدائي، إن سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة) وفي الأنشودة الإسلامية (السجن للداعين خلوة).

إن هذه التعابير تسير تحت قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] وقول المصطفى ﷺ: (يبتلى الرجل على قدر دينه. . .)[١].

إن غرس هذه المعاني في نفوس السالكين درب الدعوة أمر طيب وضروري، ولكن بعد أن يقطعوا شوطاً، ولا يصح أن يقال هذا للمبتدئين كي لا يفروا. فالمبتدىء لا بد من إغرائه فهو بحاجة إلى الترغيب أكثر من الترهيب، نرغبه تارة بحطام دنيوي (المؤلفة قلوبهم) أو نرغبه بجنة عرضها السماوات والأرض، أو بالأمرين معاً، أما ما دام حديث العهد بالإسلام والالتزام فلا نجعل كبير العقبات أمامه حتى يترسخ الإيمان.

هذه واحدة، والأخرى أن الذين قطعوا شوطاً دعوياً لابد أن نربيهم التربية المتزنة فلا نحدثهم عن (الصبر والمحن في حياة الدعوات) فقط، بل لابد أن نحدثهم عن (النصر والثمر في حياة الدعوات) كي يبقى باب الأمل مفتوحاً أمامهم.

نعم إننا نرجو رضا الله والشهادة والجنة، ولكن النصر في الدنيا يعشقه كل من دبّ على الأرض، الكافر والمسلم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤-٥].

لقد تخرج جيل دعوي في العصر الحديث يعتبر وقوع البلاء عليه فخراً فيعرّف على نفسه بأنه قد سجن في سبيل الله سنوات طويلة، ومع احترامي الشديد فإنني أفتخر بمن استطاع أن يفلت في ظل المحنة أكثر ممن وقع

---

(١) سنن الدارمي ٢/٢٢٨ رقم ٢٧٨٦، ومسند أحمد ١/١٧٢، وسنن ابن ماجه ٢/١٣٣٤ رقم ٤٠٢٣، والجامع الصحيح للترمذي ٤/٦٠١ رقم ٢٣٩٨ وقال: حسن صحيح.

فيها، لأن الوقوع لا يعني البطولة، فقد يكون تهوراً أو سذاجة، وكثير من الصحابة لم يتعرض لما تعرض له بلال وعمار.

إننا نفخر بالذين وقع عليهم البلاء فصبروا واحتسبوا، لكننا لسنا مدعوين لإلقاء أنفسنا في الابتلاء حتى يقال: إنهم دعاة أبطال لأن ذلك ليس من ضرورات الدعوة. نعم طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود، ولكن كثيراً من الأشواك يقترن بالورود، وصدق الله العظيم: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد:٧] **فاغرسوا وعد الله في الأجيال، وحذروهم من استدعاء البلاء وتمنيه أو اعتباره قدراً لا بد أن يمر فيه الجميع حتى لو كان بطيش أو سذاجة أو غفلة.**

١٠- العمل المحيطي رديف:

لا يمكن أن يكون جميع الناس عاملين في الطليعة الإصلاحية، فهي سنة الله تعالى أن يتحرك لأية فكرة مجموعة من الناس يشكلون طليعة الساعين لتحقيق الأهداف. إن هذه الطليعة يسير في ركبها ويحوم حولها أناس كثيرون، يمكن أن يكونوا أصحاب دور مهم. وقد يساهمون في دعم عمل الصحوة الإسلامية بطريق غير مباشر، يمكن تسمية عملهم هذا بالعمل المحيطي الذي يشكل رديفاً هاماً للدعوة الإسلامية. فالجمعيات والنوادي وقادة الرأي العام من خطباء وأدباء وصحفيين وأكاديميين يمكن أن يؤدوا دوراً كبيراً لا يقل بحال عن دور الطليعة التي نذرت نفسها لتحقيق أغراض العمل الإسلامي وفي مقدمتها تحكيم الشريعة في الأرض.

على الدعاة أن يستفيدوا من هذا العمل المحيطي، ولكن عليهم أن لا ينشغلوا به، ولا ينافسُوا القائمين عليه، بل يشجعونهم ويرعون عملهم عن بعد.

فعلى سبيل المثال لا ينبغي أن ننازع خطيب مسجد منبره، وكل ما يهمنا أنه يفيد الناس، ويساهم في نشر الوعي الإسلامي بينهم، وهكذا يمكن القول في الجمعيات والنوادي والمنتديات والنقابات.

ولعل فائدة ترك العمل المحيطي لأهله أن أي أذى يلحق بالعمل الإسلامي لا تنتقل عدوى الأذى إلى هذه المواقع بخلاف ما إذا كانت تابعة ومرتبطة بالتنظيم الإسلامي نفسه، وقد رأينا ذلك في أقطار حصل فيها اضطهاد للإسلاميين، وإذا بالأذى يمتد ليشمل المؤسسات التي ربطها الإسلاميون بأنفسهم.

يجب أن توزع الأعمال، وأن تعتمد اللامركزية فيه، وأن نثق بدور الآخرين معنا، ونحملهم المسؤولية العامة دون الخاصة، فالناس طاقات وفيهم الخير، فإذا قضي على العمل الإسلامي فإن العمل المحيطي سيعيد البناء، لأنه عمل رديف يصب في نفس الاتجاه.

١١- التركيز على الرواحل:

يقول النبي ﷺ: (الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلةً)[١] والمقصود بالراحلة الواحدة من الإبل التي تتحمل المشاق وتتحلى بالصبر وتصلح للسفر في الصحراء.

وكما يوجد هذا في الإبل، فإنه موجود في الناس. فمن كل مائة منهم يوجد الرجل الفذّ الذي يستطيع التحمل والحمل، يحملون أعباء الدعوة ويصبرون عليها؛ لأن الإيمان عندهم عميق، وهم يملكون الصفات اللازمة

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

لتحمل هذا الأمر كالشجاعة والقوة. لقد كان عليه السلام يبحث في مكة بين رجالها عن (الرواحل)، وكان يدعو لمن يرى فيه الشجاعة والقوة والهيبة، ومن ذلك قوله: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)[1] فاصطفى الله تعالى عمر بن الخطاب.

لقد اتصف الرجلان بالقوة والشجاعة، ولا شك أن إسلامهما أو أحدهما فيه خير للإسلام والمسلمين، نعم أبو جهل (عمرو بن هشام) الكافر فيه القوة والشجاعة، وقد برز هذا حينما صعد عبد الله بن مسعود على صدره يوم بدر ليحز رأسه فقال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم[2]. إنها شجاعة استخدمها في الباطل والاستكبار، ولو وظفها في الدعوة لكانت نافعة ومفيدة.

إننا حينما نعترف بقوته فإنما نتحدث عن صفة فيه، وقد أمرنا ربنا أن نعترف للناس بما فيهم: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] لقد كانت قوة شخصيته وهيبته وبالاً عليه؛ لأنه لم يستخدمهما في نصرة الحق والإيمان به.

أما عمر بن الخطاب فقد لان قلبه وأسلم، فاستخدم القوة في طاعة الرحمن، وتحولت الدعوة بإسلامه إلى الجهرية، وحينما هاجر إلى المدينة هاجر علناً وقال كلمته المشهورة: (من أحب أن يرمل زوجته أو ييتم أطفاله فليتبعني خلف هذا الوادي) وكذا نقول في أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب وغيرهما من الصحابة الشجعان الذين كان لهم أثر واضح في

(١) الجامع الصحيح للترمذي ٥/ ٦١٧ رقم ٣٦٨١، وقال: حسن صحيح.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٧٧.

مسار الدعوة الإسلامية. علينا أن نبحث (ونحن ندعو) عن الرواحل لينتصر الإسلام بهم، وذلك استجابة لقول النبي ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير)[1].

١٢- القيادة تدريب وصناعة:

يؤكد الإسلام بصفة عامة على أتباعه أن يبتعدوا عن المسؤولية والقيادة، وذلك لخطورتهما وعظم أمرهما عند الله تعالى، ولهذا قال عليه السلام لأبي ذر: (. . . يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)[2].

وسبب هذا التوجيه أن الإسلام لا يريد لأتباعه أن يتطاحنوا ويتكالبوا على المسؤولية كما يفعل غيرهم حيث يتقاتلون على الكراسي والمناصب، ولكن الإسلام بنفس الوقت يؤكد على ضرورة وجود القيادة وإلا فمن يقود المسلمين؟ ألم يرسخ الإسلام صلاة الجماعة وهي مظهر من مظاهر السير خلف القائد؟! ألم يوجه الرسول عليه السلام أصحابه بقوله: (إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[3] . وعليه فإن المسلم لا يسعى للمنصب ولكن لا بد إذا تعيّن عليه، واختاره المسلمون أن لا ينكص ولا يتهرب، لأنه بنيته سيحصل على الأجر العظيم، كما ورد في الحديث الشريف: (سبعة يظلهم الله في ظله لا ظل إلا ظله. إمام عادل. . .)[4] ولعلنا نستطيع القول أن

(١) صحيح مسلم ١٦/ ٢١٥، ومسند أحمد ٢/ ٣٦٦، وسنن ابن ماجه ١/ ٣١ رقم ٧٩.
(٢) صحيح مسلم ١٢/ ٢١٠.
(٣) سنن أبي داود ٣/ ٣٦ رقم ٢٦٠٩، وهو حديث حسن.
(٤) سبق تخريجه ص١٢٧.

الرسول عليه السلام في حديثه السابق: (إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) أراد أن يبين لنا أن القيادة يمكن صناعتها، وبالتالي فإن الأشخاص الذين تتوفر فيهم بوادر قيادية يجب تدريبهم، وتنمية مواهبهم، حتى تبقى هذه الأمة معطاءة في إفراز القادة، كلما ذهب قائد جاء قائد كفؤ، وذلك صوناً لمصلحة الأمة الإسلامية.

إن الإسلام لم يصنع تفاصيل الفرز القيادي، بل المسألة محكومة بالإطار العام للشورى، والمتتبع لأحوال العمل الإسلامي يجد صوراً غير سليمة للإفراز القيادي، ففي بعض التجمعات يتم الفرز بناء على أمور شكلية، كالصوت الخطابي، أو القدرة على الجدل والحوار، أو كثرة المعلومات الفقهية، وهذه الإفرازات كلها لا تؤدي إلى نتائج طيبة مما يوقع العمل الإسلامي في ما لا يحمد عقباه، يجب أن تكون لدينا معايير وأسس علمية للفرز القيادي تتعلق بالموقع القيادي وطبيعة المهمة التي سيؤديها؛ لأن من كان خطيباً ليس بالضرورة أن يكون سياسياً، ومن كان طبيباً أو مهندساً فليس بالضرورة أن يكون أداؤه التنظيمي دقيقاً وعلمياً.

إن المسألة لا تتعلق بالمظاهر الخارجية ولا التخصص العلمي، بل بعقلية قادرة على جمع الخيوط، وتحليل الغموض، وفتح الآفاق، ومواجهة المشكلات، والقدرة على البحث عن المخرج عندما تضيق الأمور.

لقد كان أبو ذر رضي الله عنه سيداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيداً في الزهد، لكنه لم يكن يصلح للقيادة، وقد صارحه الرسول عليه السلام بذلك فقال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفا)[1].

---

(١) صحيح مسلم ١٢/ ٢١٠.

إن الفرز القيادي لدى الحركات الإسلامية يحتاج إلى إعادة نظر، بحيث يصبح الفرز مبنياً على طرح برنامج معين على التنظيم أو الحركة أو الجماعة ومن الضرورة بمكان أن يتم ذلك وفق قائمة تحمل برنامجاً معيناً، تنتقل به القيادة المفرزة كل مدة زمنية نقلة إلى الأمام في سلّم التحرك الإيجابي، وبغير ذلك سيبقى العمل يراوح مكانه، أو يتراجع وهذا جد خطير.

١٣- دعاة لا قضاة:

كانت فرقة الخوارج أول من سنّ التكفير في التاريخ الإسلامي، واليوم بدأت هذه الظاهرة (التكفير) في الاتساع على صعيد التيار الإسلامي وفي شتى الأقطار، وهي ظاهرة تستحق منا أن نتوقف عندها كي نتمكن من إنقاذ شباب الصحوة الإسلامية من الوقوع في هذا الأمر الخطير الذي يلوث شريعتنا وسمعتنا، ولا يأتي بخير للدعاة أنفسهم.

لقد قرر أهل السنة والجماعة وبالإجماع أنه يحرم تكفير أحد من أهل القبلة، ومن قال لأخيه: يا كافر فإما أن تكون صحيحة أو تعود إلى قائلها.

والسؤال الذي أطرحه: ماذا يستفيد الدعاة من طرح هذا الوصف على الناس؟ لماذا نطلق أحكام الكفر جزافاً؟ ما الذي نستفيده حين ننصب أنفسنا قضاةً على عباد الله؟ أليس الأولى أن نسعى لإصلاحهم؟ هل لدينا صلاحيات إدخال الناس إلى النار أو الجنة؟

إننا لا نكفّر إلا من كفّرته الشريعة، كمن يعلن كفراً بواحاً أو يرتكب بإصرار أعمال الكافرين دون تأوّل، مثل السجود للأصنام، أو يقول قولاً كفرياً واضحاً، أما ما يتعلق بالسلوك والتفريط في التطبيق، كمن يرتكب

المعاصي كشرب الخمر، أو يزني، وهو معترف بذنبه فالمسألة ترتبط بعملية الإصلاح، وكثيرون كانوا مفرطين وهم اليوم ملتزمون حيث قام دعاة حقيقيون بالإرشاد والهداية، ولو استخدموا الغلظة والتكفير لما اهتدى هؤلاء، بل ربما صاروا معادين للإسلام نفسه؟!

إن فكر الخوارج وفكر جماعة التكفير والهجرة لا يفيدنا بشيء، ولا تتقدم الدعوة به، رغم علمنا أن هذا الفكر دخيل، وربما كان الاضطهاد الذي وقع على هؤلاء الشباب هو الذي دفعهم دفعاً لهذا المنزلق الخطير. علينا أن نتذكر قول الله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:٨٨] وقوله: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢] لقد وضع علماؤنا ضوابط تتعلق بالتكفير، وهي ضوابط لا تمكن التكفيريين اليوم من إطلاق الأحكام، فكل مستديم على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله هو مسلم، حتى لو كان عنده تفريط في التطبيق، ما دام تفريطه عن كسل وعادة وعدم إنكار لأصل الفعل المطلوب، وهنا أذكِّر بالحوار الذي دار بين الشافعي وأحمد حول تارك الصلاة، وكيف كانت الحجة واضحة لصالح الشافعي.

إن علماء الشريعه مطالبون بمقاومة الفكر التكفيري؛ لأنه يخالف شريعة الله تعالى، وهو معيق للدعوة، ويزهق جهود الشباب المسلم التي يفترض أن تصب باتجاه إصلاح المجتمع.

١٤- التيسير لا التعسير:

يميل بعض أبناء الصحوة الإسلامية وباسم الالتزام إلى التشدد والتعسير

ناسين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدفع باتجاه اليسر والتيسير فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا * إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] وبين عليه السلام تعقيباً على الآية بقوله: (لن يغلب عسر يسرين)[١]، لأن العسر جاء معرفةً فهو واحد، واليسر جاء نكرة فهو اثنان. وأرشدنا عليه السلام موجهاً: (يسروا ولا تعسروا)[٢] وكان هذا شأنه حين كثرت عليه الأسئلة في الحج حيث كانوا يقول: (افعل ولا حرج)[٣].

إن التعسير والتشديد والبحث عن الغريب وما فيه العنت كله مخالف للإسلام السمح الذي أراد إدخال (الناس) في دين الله أفواجاً. لقد جاء الإسلام بالعزيمة والرخصة، وكان عليه السلام يصوم ويفطر، ويصلي ويرقد، ويتزوج النساء، وأكد أن من رغب عن سنته فليس منه. ووصفه أصحابه بأنه كان يختار الأيسر والأسهل، ليسْهُل للناس الاقتداء به ما لم يكن إثماً فإنه أبعد الناس عنه. إن للعزيمة رجالها وهم قلة، والأغلبية الساحقة مع الرخصة.

لقد حدثتنا السنة عمن شدد على صاحب جرائم وعنّفه لارتكابه جرائم القتل فما كان من القاتل إلا أن قتل هذا المفتي، والقاتل الحقيقي للمفتي هو جهله (انظر حديث الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً)[٤].

لقد جاءت الأحكام الشرعية متدرجة، فشرعت الصلاة أولاً، ثم جاءت

---

(١) الموطأ ص٢٩٥ رقم ٩٦٩.

(٢) البخاري مع الفتح ١/ ١٦٣ رقم ٦٩، وسنن أبي داود ٤/ ٢٦٠ رقم ٤٨٣٥، وصحيح مسلم ١٢/ ٤٠، ومسند أحمد ١/ ٢٣٩.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤)، ومسلم (١٣٠٦)(٣٢٩).

(٤) سنن ابن ماجه ٢/ ٨٧٥ رقم ٢٦٢٢، ومسند أحمد ٣/ ٢٠.

الزكاة، فالصيام والحج، بل إن الحكم الواحد شرع متدرجاً، كما هو الحال في الصلاة، فقد شرعت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم شرعت في الإسراء على ما هي عليه اليوم، وكذلك وصل المسلمون إلى تحريم الخمر عبر تدرج معروف.

١٥- التفهيم لا التلقين:

لم يقبل الله تعالى لعباده أن يعبدوه إلا عن علم فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وقال عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فالفهم هو الأساس، والتلقين احتقار لعقلية المتلقي، واستهتار بقدراته، إن الإسلام ينظر للناس جميعاً على أنهم مكرمون قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] ومن الكرامة أن يفهم حين يتلقى المعلومات، فيفكر فيها ويفحصها، ويقرر تجاهها ما يشاء، قال تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

إن بعض الجماعات الإسلامية تريد أتباعها مجرد منفذين، يسمعون ويطيعون، ولا يحاورون ولا يناقشون، لأن ذلك في نظرهم من قلة الأدب، وقد يصفون من يحاورهم بأن الشيطان يلعب به ويوسوس له، وقد يتخلون عنه، لأنه خرج على رأي الشيخ أو الأمير. هذه النوعية من الأتباع لا قيمة لها عند الله، ولا وزن لها في التأثير؛ لأنها مجرد متلقٍّ لا يعقل.

على دعاة الإسلام أن يطالبوا الناس بالتفكير والتدقيق والفهم قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]. إن الدعاة الذين نفخر بهم هم الذين يفكرون، ويزكون عقولهم باستخدامها

للتفكير في مصلحة المسلمين وأين تكمن، وبخاصة في هذا الزمن الصعب، زمن الفتن الذي تكالبت فيه الأمم علينا، وصارت أمة الإسلام في حيرة وهوان، مزقتها الأهواء، وتداعى عليها الخصوم، وكثرت الخلافات وأعجب كل ذي رأي برأيه.

إن زكاة العقل لا تقل عن زكاة المال الذي يسعف البطون، ويكسو العرايا، لأن زكاة العقل قد تحول الفقير إلى غني، والعاطل عن العمل إلى عامل، والمديونية إلى كفاف، والإنتاج إلى المزيد، وتقابل المكر بمكر مثله وأشد، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

إننا بحاجة ماسة إلى دعاة أنار الله عقولهم وقلوبهم، لا يسيرون سير العميان، ولا يتحذلقون حذلقة الفلاسفة، بل يعطون كل شيء حظه ومقدارهُ، وفي ظني أن أحوالنا في هذا الزمان قد ساءت، لأن عقولنا قد غلبتها العاطفة، وسادها التواكل عوض التوكل، وتقدمت عندها المصالح الشخصية على الجماعية. فلنُعد الأمر إلى نصابه، ولنخرّج دعاة عقولهم مدققة فاحصة بعيدة عن الغش والعمى والضلال.

١٦- التربية لا التعرية:

أكد لنا النبيﷺ على ضرورة وجود النصيحة بين المسلمين، فقال: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[١] والنصيحة فيما بين المؤمنين تحتاج إلى أسلوب جيد، فلا تكون بالتوبيخ والانتقاص من قيمة المخاطب، ولا تكون بين الناس، لأنها عندئذ

(١) البخاري مع الفتح ١/١٣٧ باب ٤٢، وصحيح مسلم ٢/٣٧.

تكون فضيحة لا نصيحة، وإذا دخلنا مجال الأتباع فلا بد من مراعاة الحساسية في الموضوع، لأن هدف المربي هو الارتقاء بمستوى التلميذ، ولا يعقل أن يكون مقدم النصيحة التربوي فاقداً لأصول التربية مخالفاً لقواعدها، فالهدف هو التصحيح والاستقامة والهداية.

ولنا في سيرة المصطفى ﷺ أسوة حسنة حيث كان يصفح عن أخطاء أصحاب الفضل والمكانة كما فعل مع حاطب بن أبي بلتعة[1]، وحينما يؤدي النصيحة فإنما يضعها في ثوبها الجميل، وقد رأيناه يخاطب الغُلام لتربيته في طريقة الأكل فقال: (يا بني سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)[2] وقد سجل القرآن الكريم أخطاء ثلاثة[3] من الصحابة حيث تخلفوا عن الجهاد، واعترفوا بذنبهم وكيف جاء غفران الله تعالى لهم. إن المسلم أخو المسلم، فلا يحب له إلا الخير، وإذا نصحه فإنما يقصد تخليصه من الذنب والخطأ، وليس تسجيل النقاط أو إدعاء العلم والفهم كما يحصل عند بعض الجهلاء.

١٧- الأصول قبل الفروع:

حينما يبني الواحد منا بيتاً فإنما يبدأ بأساسه يعمقه، ويضع فيه من عوامل القوة الشيء المناسب، وكلما تعمق الأساس استطاع صاحب البناء أن يعلي بناءه، والدعاة بناؤون مصلحون، يبنون في نفوس أتباعهم الإسلام العظيم الشامل الكامل، وهم مدعوون للتركيز على الأصول والأساسيات قبل

(١) البخاري مع الفتح ٧/ ٣٠٤ رقم ٣٩٨٣، صحيح مسلم ١٦/ ٥٤.
(٢) البخاري مع الفتح ٩/ ٥٢١ رقم٥٣٧٦، وصحيح مسلم ١٣/ ١٩٣.
(٣) التوبة/ ١١٨.

الفروع والجزئيات، يجب أن نعطي كل شيء حجمه فلا نصغر الكبير، ولا نكبّر الصغير.

إننا في واقع الدعوة الإسلامية نرى الأمور عكسية حيث تكثر الخلافات في المساجد تجاه قضايا فرعية من سجود على الركبتين أو اليدين؟ وهل نحرك الأصبع في التشهد أم لا؟ إنها قضايا بحثها السابقون وهم الأكثر علماً منا ولم يصلوا إلى اتفاق، وأذكِّر بأنهم كانوا يعيشون ظروفاً أفضل منا، أما اليوم فنحن مقسّمون مستضعفون يتخطفنا أعداؤنا صباح مساء، فهل يليق بنا وهذه ظروفنا أن ننشغل بهذه القضايا؟ على دعاة الإسلام أن يتنبهوا لهذا الأمر، ويعيدوا الأمور إلى نصابها، وأذكّر هنا بقصة أولئك الذين جاؤوا يسألون ابن عمر رضي الله عنهما عن حكم دم البعوض إذا وقع على الجسد؟ فقال: ويحكم قتلتم ابن بنت رسول الله وتسألون عن دم البعوض!.

لقد رأينا في زمننا هذا من يسأل عن طول السّواك في الإسلام، وعن حكم هدم بيت العنكبوت في جدران البيوت؟! إن هذه مظاهر لعقلية لم يتم بناؤها بشكل صحيح، ولهذا فإن المؤسسات الإسلامية بمختلف أسمائها تحتاج إلى حركة تصحيحية وإعادة بناء لتبقي ما هو صحيح وتسقط الدَّخَن الذي شاب أذهان الأتباع حتى نصل إلى صورة جميلة كما أرادها الله تعالى.

١٨-التربية الحزبية خطر على الإسلام:

مما هو ملاحظ في الصحوة الإسلامية التعصب الحزبي الذي ينصر الفرد فيه حزبه أصاب أم أخطأ، والمفروض أن ينصره على صوابه، ويردعه عن خطئه، وبذلك فسر الرسول ﷺ المقولة التي تقول. «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، إن بعض الأفراد يدافعون عن تنظيماتهم وكأن هذه التنظيمات

جمعت كل الصواب وصارت معصومة، وبالتالي فإن أي نقد أو نصح يوجه إليها فهو تحامل ولاحظ له من الحق!!. هذه الحزبية المقيتة إنما نتجت عن تربية سيئة ومناهج مغلوطة، فالتنظيم وسيلة لا غاية، فهو تجمع لنصرة الحق، وهو مجموعة بشرية تخطىء وتصيب، ولا توجد جماعة بلا نواقص، والأصل أن يتكامل العمل الإسلامي، ولعل أهم أسس التربية الإسلامية حب الخير للناس أجمعين فكيف بالمسلمين، وإذا كنا مطالبين بحب الخير، والوقوف مع الحق، والتناصح فيما بيننا فإن الأصل قبول النصيحة، وحتى إذا أخطأ الناصح فيما يظنه حقاً فإن على أتباع التنظيمات أن يشكروه؛ لأنه قصد النصح، ويجب أن يحسن المسلمون الظن ببعضهم بعضاً. كلنا يعرف حديث: (الدين النصيحة)[1] ونتغنى بقول عمر بن الخطاب: (إن أحب الناس إليّ من أهدى إلي عيوبي)[2] لكننا عند التطبيق نرفض ونتعصب ونتهم الناصحين ونشكك في نواياهم.

لقد عاشت جماعات عشرات السنين بل منذ نشأتها وحتى الآن ولم تصحح مسارها، ولم تتخلص من عيوبها، وهذا دليل على أنها لا تسمع النصح، ولا تراجع الذات، بل تركب رأسها وتدافع دفاع المستميت عن بيوت زجاجية لم يعد لها مجال للصمود أمام العواصف.

إذا أردنا الإصلاح فعلينا أن نبدأ بأنفسنا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

إن التربية الحزبية خطر على الإسلام لأنها تصنع الحواجز بين وحدة

---

(١) سبق في القاعدة ١٦.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص١٥٢، دار الكتب العلمية- بيروت.

المسلمين كما أنها نوع من العصبية المرفوضة شرعاً، وبقاؤها يمثل خدعة يمارسها الحزبيون الذين بسلوكهم هذا يقنعون الناس أنهم ما استطاعوا تحقيق النصر لأن سهام الأعداء كثيرة، وهذه مغالطة وخديعة، والصواب أن هذا الحزب أو ذاك إنما هو مليء بالأمراض التي لا تساعده على الوصول إلى الأهداف الاستراتيجية للإسلام.

١٩- من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه:

قاعدة قديمة قالها علماؤنا وهي قاعدة عقلية وشرعية وحركية، فمن أراد أن يرى جنينه فلا بد أن يصبر حتى تنتهي مدة الحمل سبعة أشهر أو تسعة، ومن اشتهى حلاوة العنب فعليه أن لا يقطفه قبل نضجه، لأنه سيجد الحموضة الشديدة، ومن أراد أن يرث فلا بد أن يقع موت الموروث أولاً، ومن قتل مورّثه فإنه لا يرث؛ لأن القتل من موانع الإرث. هذه بعض الأمثلة على هذه القاعدة، أما أمثلتها الدعوية والحركية فهي واضحة للعيان، فمن أراد أن يهدي الله على يديه شخصاً ما فعليه أن يحسن التعامل معه، ويلاطفه ويداريه ويقدّم له الدواء جرعة جرعة وليس مرة واحدة، ومن أراد أن تكتحل عيونه بنصر الإسلام فعليه أن يأخذ بالأسباب كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن أراد الشهادة فعليه أن يذهب إلى ساحات الوغى الحقيقية وهكذا.

إن هذه القاعدة قد نسيها بعض العاملين للإسلام، فتسببوا بكوارث لأنفسهم ولغيرهم ولبلادهم، بل وللعمل الإسلامي عموماً، لقد رأينا كيف ظن بعضهم أنه قاب قوسين أو أدنى من النصر، وإذ بهم يقدمون لنا المصائب من دماء وأشلاء وسجون وتشريد وأرامل وأطفال أيتام وغطرسة

حكام ظلمة بسبب طيش هؤلاء، ولا يزال سوق العمل الإسلامي مليئاً بهذه العقول التي تتسبب لنا بالمصائب، قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

٢٠- العمل قرين المعلومات:

إن الحصول على المعلومات هو سابق على العمل، إذْ لا يعقل الإقدام على العمل بدون معلومات. وقد أكد الإسلام على ذلك، فالله تعالى لا يُعبد بجهل، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، وأول آية تنزل على قلب الرسول عليه السلام هي (اقرأ)، والعلم طريق خشية الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]. هذا الذي نقوله هو المقدمة التي نريد أن تنتقل إلى فقه الدعوة، فالعمل الإسلامي لا بد أن يتسلح بالعلم والمعلومات؛ لأن من أراد أن يخوض الهيجاء فلا بد له من حمل السلاح، فالساعي إلى الهيجاء بغير سلاح عاقبته الخسارة والهزيمة.

إن المعلومات اللازمة للعمل الإسلامي يجب أن تكون شاملة لقوة المسلمين ومواقع ضعفهم، وقوة الأعداء وثغراتهم، كما يجب أن يتسلح العاملون للإسلام بعلم التغيير وعلم الاجتماع وعلم النفس، يجب أن يدرسوا واقعهم والظروف المحيطة بهم، وها هو عليه السلام بين يدي معركة بدر يسأل أعرابياً عمّا شاهده في الطريق وأخبار قريش، فأجابه بالإيجاب وبين له أنه لا يعرف عدد القوم لكنهم ينحرون من تسع إلى عشر من الإبل، وإذا بالرسول عليه السلام يقول: القوم بين تسعمائة وألف. على العاملين للإسلام أن يجمعوا معلوماتهم ويحللونها بدقة حتى تكون قرارات العمل صحيحة وفي مكانها.

٢١- التجديد التزام ووعي:

يظن بعضنا أن التجديد محصور في بعثه رجل يجدد للأمة دينها، كما ورد في الحديث الشريف: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها)[١] وهذا الحصر غير صحيح، فالتجديد في الحديث هو تجديد الالتزام، ونفض غبار المعاصي والانحراف، لكن الكلمة مطلقة، فهو تجديد في الوسائل التي يستخدمها العاملون للإسلام، وكذا الطرق التي يستخدمها الحركيون المسلمون في سبيل نصرة هذا الدين، وعدم الاكتفاء بأسلوب واحد محدد كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٥-٩].

وها هو رسولنا عليه السلام يعتمد الدعوة الفردية والجماعية، ويجتمع مع القريب والغريب، ويخاطب الرجال والنساء، ويوجه أتباعه إلى الصبر، ويستخدم الكلمة كما استخدم السيف، يلين حيث يلزم، ويحزم حين يتطلب، يبتسم ويغضب، يشدد حيث يلزم التشديد: (ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور..)[٢] ويرفع الحرج حيث مكانه وزمانه كما هو في الحج حيث كان يجيب السائلين (افعل ولا حرج)[٣].

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ١٠٩.

(٢) البخاري مع الفتح ١/ ١٨٨ رقم ٣٠، والجامع الصحيح للترمذي ٣/ ٥١٣ رقم ١٢٠٧ وقال: حسن صحيح غريب، ومسند أحمد ٢/ ٤٥٢، وسنن أبي داود ٣/ ٣٠٥ رقم ٣٥٩٩، وسنن ابن ماجه ٢/ ٧٩٤ رقم ٢٣٧٢.

(٣) سبق في القاعدة ١٤.

ومن التجديد المطلوب فحص ما لدينا من وسائل وطرائق، والتأكد من صلاحية الهياكل والأدوات والإداريات؛ لأنها كلها اجتهادات بشرية تحتاج إلى المراجعة باستمرار. لقد أوقعت حركات إسلامية نفسها في قيود هي صنعتها فلما جاء مجددون يطالبون بتغييرها هبَّ بعضهم يعلنون قداستها، وأن من مسها فقد مس الدين وارتد عن دعوته. إن دعوة هذا فهمها لا مستقبل لها لأنها تعيش بغير تجديد.

إن التجديد ضرورة نمارسها حتى في أجسامنا فالاغتسال مطلوب والوضوء المشروع وتنظيف الأفنية مأمور به وتطهير الثياب أمر قرآني: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] فهل يعقل بعد كل هذا أن يأتي أناس ليحافظوا على مالا يجوز الاستمرار عليه، إنهم بهذا يتبعون سنن الآخرين الذين روى لنا القرآن قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

نعم يتآمر العالم علينا، ولكننا نظلم أنفسنا ونتآمر على دعوتنا إذا رفضنا التجديد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٢٢- اتباع لا ابتداع:

إن معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو عبادة الله وحده وعلى طريق رسول الله ﷺ، وهذا يعني أن نهج المسلم هو الاتباع لا الابتداع، فالاتباع محبة وعبادة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وبين لنا عليه السلام أن الابتداع في الدين مرفوض، ومن يفعله فهو في خطر عظيم وله إثم كبير، قال عليه السلام:

(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[1] والمحدثة هي البدعة، وسبب رفض الإسلام لها أن الدين كامل، والابتداع يعني أن الدين ناقص فجاء المبتدع ليكمله.

إننا نتحدث عن الأمور التي ورد فيها النص، أما أمور الحياة العادية ومبتكرات الحياة البشرية فالإبداع فيها مطلوب، بخلاف الشعائر التعبدية فليس لنا إلا الاتباع. والدعوة الناجحة هي الدعوة التي تتبع ولا تبتدع، وأفرادها متبعون لا أصحاب بدع. وفي واقعنا نرى جماعات إسلامية لا تبالي في الأخذ بالبدع، بل تعيش عليها حيث يذكرون الله تعالى على الأنغام والرقص، وآخرون يستحسنون ما لم يأمر به الرسولﷺ، وصنف يحفظون أقوال قادتهم وكأنها قرآن يتلى أو سنة تتبع، أو يسيرون في طريق لم يسر فيه الرسول ﷺ، على الجماعات الإسلامية أن تراجع مناهجها لتربي أفرادها على الاتباع لأن خير الهدي هدي محمد ﷺ.

٢٣- الدعوة عناء وثمر:

بالإضافة إلى ما ذكرناه في القاعدة التاسعة، فإن مما هو مطلوب من الدعاة أن يفهموه، أن الدعوة إلى الإسلام فيها من المعاناة الشيء الكثير مما رأيناه في حياة الأنبياء أجمعين وعلى رأسهم محمدﷺ الذي آذاه قومه، وحاولوا قتله، وشردوه من بلده، وقتلوا أصحابه، وشككوا في عرضه، واتهموه أنه ساحر وكاهن وكذاب وغير ذلك مما يدل على اضطرابهم وتخبطهم. لقد وُضع إبراهيم عليه السلام في النار لكنها كانت برداً وسلاماً

(١) البخاري مع الفتح ٥/ ٣٠١ رقم ٢٦٩٧، وصحيح مسلم ١٢/ ١٦٠، رقم (١٧١٨).

عليه، ووُضع يوسف في السجن فكان خلوة ودعوة، نعم الدعوة عناء ومشقة ولهذا كان أجرها عظيماً، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

لكننا نؤكد مرة أخرى أن الدعوة منتصرة بإذن الله تعالى فإبراهيم عليه السلام لم تحرقه النار، وانتصر موسى عليه السلام، وغرق فرعون، وخرج يوسف عليه السلام من السجن وصار مسؤولاً كبيراً في مصر، وهكذا هي سنة الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وإذا تأخر النصر فهذا يعني أن خللاً ما موجود فينا، وعلينا أن نراجع أنفسنا لتصحيح الأخطاء وترك المعاصي، أو ترك التقصير في الإعداد الذي أمر الله تعالى به.

٢٤- التنظيم حقوق وواجبات:

إن الذين يريدون الفرد منفذاً للواجبات دون أن يعرفوه بحقوقه ظالمون، ولطالما رأينا متهماً (في بعض البلاد) يقبض عليه الشرطي فيعرفه بحقوقه قبل أن يطلب منه كلمة واحدة لدى المحقق.

هناك دول ومؤسسات تريد الأفراد فيها أحجار شطرنج ودمى متحركة، وهذا بحد ذاته امتهان لكرامة الإنسان الذي كرمه الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. لقد دقق العقلاء في سورة الفاتحة فوجدوها (حقوقاً وواجبات)، وجدوها خضوعاً وطلبات، وجدوا فيها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ووجدوا فيها ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. لقد أكد لنا النبي الكريم ﷺ مبدأ الحقوق والواجبات حين قال: (هل تدري ماحق

الله على عباده... ما حق العباد على الله؟)[1]. إنه الحق الذي يقابله الواجب، والذين يريدون النظر إلى جهة واحدة من المعادلة خاطئون مخطئون. وبالاستقراء التاريخي والعلمي نجد أن الخلافات بين الناس، تقوم إذا تم الإخلال بالحقوق، وإن الطمأنينة والعدل يتحققان إذا وقع التوازن بين الحقوق والواجبات.

إن الفرد الذي ينتمي إلى جماعة إنما يفعل ذلك بمحض اختياره لقناعته بالأهداف والوسائل والمنهج، وهو أيضاً قابل لمعادلة الحقوق والواجبات التي يجب أن تكون موضحة له منذ البداية. قرأنا عن حركات (صوفية مزعومة) تطلب من مريديها (التلاميذ والأعضاء) أن يكون واحدهم أمام شيخه كالميت بين يدي المغسّل. إن هذا فكر سخيف لا تقره شريعة ولا يقبله عقل، فنحن أمة لا نسجد لغير الله، وكل شخص يمكن أن يُرد كلامه إلا المعصوم محمداً ﷺ.

إن واقعنا الشعبي والسياسي والرسمي يؤكد لنا أننا لا نعطي الحقوق لأصحابها، ولا نطلب من الأتباع إلا أداء الواجبات، وبهذا ننسى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

على الداعية المسلم أن يتمسك بمبدأ الحقوق والواجبات، لأنه إنْ قبل الواجبات فقط فقد تحول إلى عبد ذليل لأشخاص مثله، وعلى الحركات الإسلامية أن تمارس (الحقوق والواجبات) ولا ينبغي لها أن تحتل عقول أتباعها بالطاعة والواجبات فحسب بل عليها أن تبين لهم حقوقهم وواجباتهم معاً.

---

(١) البخاري مع الفتح ١٠/ ٣٩٧ رقم ٥٩٦٧، وصحيح مسلم ١/ ٢٣١.

٢٥- الدعوة توثيق وإسناد:

ما أجمل كلام من يدعو إلى الله بلسانه وقلمه، وما أحلى من ورث عمل الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، لكننا نشاهد في هذه الدنيا أموراً نسبية كثيرة ومنها الجمال، وما يحلو في عينك قد لا يحلو في عين غيرك، والعكس صحيح.

وإذا كان كلام الدعاة جميلاً وطيباً فإن هذا الجمال وهذه الطيبة نسبية، فمنهم من يصل جمال كلامه إلى ٩٠٪ ومنهم من هو أقل، ومنهم من هو أكثر، ومما يساعد على رفع النسبة المئوية لجمال كلام الداعية التوثيق والإسناد. إن الإنسان يستطيع أن يتكلم، يخطب ويدرس ويكتب، لكن كثيراً من الناس لا يستطيعون أن يكون كلامهم موثقاً مسنداً، فقلة قليلة ممن يتكلم أو يكتب تجد كلامه موثقاً.

وإذا كانت أمتنا الإسلامية هي أمة السند حيث لم تعرف الأمم الأخرى هذا العلم، فجدير بالدعاة والمصلحين الذي يتصدرون الدعوة الإسلامية في القرن العشرين أن يراعوا هذا الأمر، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بحديث رسول الله ﷺ، فإن الأمر خطير جداً فقد قال عليه السلام: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[1] فلا يحل لمسلم وبخاصة الدعاة أن يقول: قال رسول الله ﷺ دون أن يكون متأكداً من هذا، فيبين المصدر الذي أخذ منه بالجزء والصفحة، فالناس يتقبلون كلام الدعاة ويثقون بهم، ويحفظونه عنهم، وينقلونه إلى غيرهم ولمن بعدهم من الأجيال، فليحذر الدعاة من

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٢٠٢ رقم ١١٠.

خطورة مقاعد النار، فإنهم لا يقوون عليها، وليحذروا من قول رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة... ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[1].

ورحم الله عمر بن الخطاب الذي قال: (تفقهوا قبل أن تسوَّدوا)[2] فهي نصيحة لكل داعية قبل أن يتصدر التدريس والخطابة والكتابة أن يفقه نفسه لأن العطاء لا يكون إلا بعد أخذ، فمن لم يأخذ لا يستطيع أن يعطي. وما أجمل قول الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] أي خذ دينك عن علم، وكلمة علم لا ترادف الظن وشبهه بل معناها اليقين والجزم، وإذا كان هذا في حق الفرد فمن باب أولى في حق الجماعة المسلمة، فلا يحل لها أن تصدر كلاماً مكتوباً إلا أن يكون كلاماً موثقاً مسنداً وبخاصة أن فيها طلبة العلم الشرعي والمختصين.

٢٦- للاختلاف أدب وللخصومة شرف:

ضمت المكتبة الإسلامية كتاباً قيّماً للدكتور طه جابر العلواني عنوانه (أدب الاختلاف في الإسلام) ولطالما وجهت طلابي في الجامعات المختلفة للاطلاع عليه وتدبره لأننا في أمس الحاجة إليه. وخلال تجربتي في الانتخابات النيابية في الأردن عام ١٩٩٣م استذكرت العنوان (أدب الاختلاف) وربطته بعنوان آخر (شرف الخصومة).

---

(١) البخاري مع الفتح ١/ ١٦٥ باب ١٥.

(٢) سبق الإشارة إليه في القاعدة السابعة.

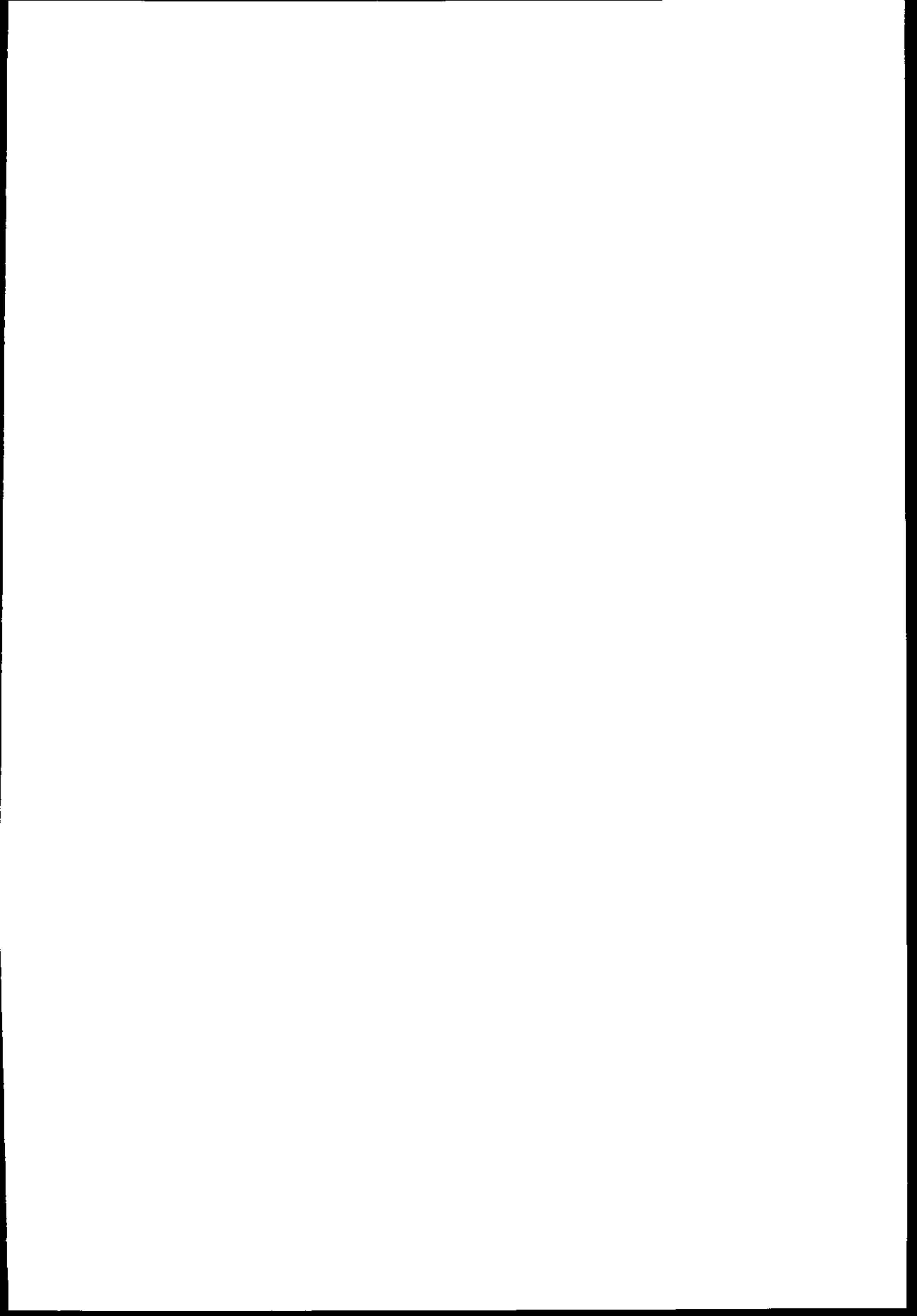
وإذْ لا يجوز للعاقل أن يتخلى عن أخلاقه حتى مع عدوه، ولهذا وجدنا صلاح الدين الأيوبي يقدم الدواء لخصمه (قلب الأسد) في الحروب الصليبية، مع أن هذا الدواء لم يكن ليلغي رغبة الواحد في قتل الآخر أثناء المعركة.

وإذا كان هذا الكلام عاماً لكل الناس، فإن الدعاة هم أكثر الناس التزاماً بالأدب عند الخلاف وبالشرف عند الخصومة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨] وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥٢].

إننا نرى في الواقع بعض الدعاة يريد أن يلزم الناس برأيه، ويسفّه من يختلف معه، بل قد يصل إلى تبديعه وتفسيقه وتكفيره ورميه بالضلال. أذكّر هؤلاء بأن علماءنا السابقين قد اختلفوا فيما بينهم، ولكنهم احتفظوا بالأدب والاحترام تجاه بعضهم بعضاً، وإذا تحاوروا جللوا حوارهم بالأدب والأخلاق، فليتعظ دعاة اليوم، وليتذكروا أن اتفاق الناس كلهم على رأي واحد مستحيل، ولو أمكن لاتفق الصحابة والتابعون ولكن ذلك لم يحصل. كما إن علينا دعاة اليوم أن نتذكر أننا في زمن صعب تداعى فيه الأمم علينا، ونحن نرى دماء المسلمين صباح مساء تُسفك، كما أننا نرى امتهان كرامة المسلمين والاعتداء على أعراضهم، فهل يليق بعد ذلك أن نزيد الطين بلة؟! أليس الأجدر أن نرتب الأولويات وندرك عوامل النصر التي أولها الوحدة والاعتصام، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

علينا أن نخلّص مساجدنا من الخندقة الفكرية والفقهية ونجعلها كما أرادها الله روضة من رياض الجنة، تجمع وتهدي وتؤلف كما كانت في عهود سابقة.

إن المستجدين على الدعوة قد ينفرون ويهربون حين يرون الدعاة قد فقدوا أدبهم وولجوا في أعراض بعضهم البعض، فلنحذر كل الحذر أن نصد عن سبيل الله تعالى.



الوحدة الثامنة: فقه إنكار المنكر

اراء العلماء في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المقصود بفقه الإنكار: نقصد بفقه الإنكار الأحكام الشرعية المتعلقة بالنهي عن المنكر، والتي تبين لنا ماهية المنكر شرعاً، وكيفية التعامل معه من قبل الأفراد، إذ إن هٰذا الأمر في غاية الأهمية والخطورة، لما يترتب عليه أحياناً من التحول من منكر إلى منكر أكبر منه.

إن المنكر الذي نعنيه هو ما أنكرته الشريعة الإسلامية سواء كان الإنكار قد ورد في القرآن الكريم أو السنة المطهرة.

النصوص الواردة في الموضوع: وردت نصوص كثيرة في هذا الموضوع نذكر بعضها إذْ لا سبيل لإيرادها كلها، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج: ٤١] وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن الأحاديث النبوية قوله ﷺ: «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(١). وقال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على

(١) صحيح مسلم: ٢/ ٢٢، ومسند أحمد ٣/ ٢٠، والترمذي ٤/ ٤٦٩ رقم ٢١٧٢.

سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1] وقال: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتحاضن على الخير، أو ليسحتكم الله جميعاً بعذاب، أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[2].

فضل إنكار المنكر: لعل النصوص سالفة الذكر وأمثالها توضح شيئاً من فضل إنكار المنكر ومكانة صاحبه عند الله تعالى، ومن ذلك الفضل:

١- مُنكِر المنكر منفذ لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، وهذا فضل عظيم.

٢- مُنكِر المنكر من المفلحين بدليل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٣- مُنكِر المنكر سبب في خيرية هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] حيث إن الأمم الأخرى تفتقد ذلك.

٤- مُنكِر المنكر محاصر للشر في المجتمع، وهو سبب من أسباب نقائه.

٥- مُنكِر المنكر صاحب إيمان قوي، حيث اعتبر النبي ﷺ من لا يقوم بذلك إلا بقلبه بأنه ضعيف الإيمان.

٦- مُنكِر المنكر سبب في نجاة المجتمع من الغرق كما ورد في الحديث السابق.

---

(١) البخاري مع الفتح ٥/ ١٣٢ رقم ٢٤٩٣، الترمذي ٤/ ٤٧٠ رقم٢١٧٣، ومسند أحمد ٤/ ٢٦٨.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٩٠.

٧- مُنكِر المنكر سبب في منع العقوبات الربانية التي تصيب المسلمين إذا سكتوا عن المنكر.

أقسام المنكرات: يمكن تقسيم المنكرات الواجب إنكارها إلى عدة مجموعات على النحو التالي:

١- منكرات تتعلق بحق الله تعالى، سواء كانت منكرات اعتقادية، مثل ألفاظ الكفر وسوء الأدب مع الله تبارك وتعالى، ونسبة الولد والزوجة له، ووصفه بأوصاف لا تليق، أو منكرات تتعلق بالشعائر التعبدية المطلوبة من المسلم كالصلاة والصوم والزكاة والحج ونحوها. حيث إن ترك الصلاة عمداً أو كسلاً منكر عظيم، وكذا الامتناع عن إيتاء الزكاة، وترك الصوم بغير عذر شرعي، وترك الحج وهو مستطيع.

٢- منكرات تتعلق بالأوامر الشرعية السلوكية أمراً ونهياً كشرب الخمر والزنا.

٣- منكرات تتعلق بالمعاملات الاقتصادية كأكل الربا والبيع الفاسد والاحتكار والغش.

٤- منكرات تتعلق بالأخلاق مع الناس والتعامل الاجتماعي، كايذاء الجار، وشتم الناس، وسوء العشرة، والغيبة والنميمة، والهمز واللمز، والطعن في الأعراض والذمم، وسوء الظن.

أقسام أهل المنكر: يمكن تقسيم فاعلي المنكر إلى عدة تقسيمات منها:

التقسيم الأول: يمكن تقسيم مرتكبي المنكر إلى قسمين:

١- جماعة ترتكب المنكر كعبدة الشيطان، وأصحاب نوادي العراة،

والمقامرين، وأهل المسابح المختلطة، وأهل البدع من الفرق الصوفية ونحو ذلك.

٢- فرد يرتكب المنكر وحده كشارب الخمر، وتارك الصلاة ونحوهما.

التقسيم الثاني: حسب نوع المنكر المرتكب تُقسّمهم إلى قسمين:

١- مرتكب لمنكر متفق على أنه منكر كشرب الخمر مثلاً.

٢- مرتكب لمنكر فيه نظر لبعض الناس وليس محل إجماع كشرب الدخان.

التقسيم الثالث: حسب سن مرتكب المنكر:

١- المكلفون من المسلمين رجالاً ونساءً.

٢- المكلفون من غير المسلمين.

٣- غير المكلفين من الصغار وفاقدي الأهلية.

ضوابط إنكار المنكر:

لإنكار المنكر ضوابط لا بد من مراعاتها حتى يتحقق الهدف المنشود وهي:

١- **أن يكون الهدف الإصلاح**: حيث إن الأمر يتعلق بنية المُنكِر، قال تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [هود:٨٨] والإصلاح عملية شاقة وطويلة ومستمرة.

٢- **أن يكون بحرص على الشخص المقابل**: فنحن دعاة لا قضاة، نسعى لتربية الناس لا لتعريتهم، كما أننا مدعوون للتدرج معهم وتأليف قلوبهم قبل أن نلقي إليهم بالمعلومات، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] وعلينا أن نتخولهم بالموعظة، ونشعرهم بالمحبة، وأن لا نسخر منهم، ولا نكفرهم، وأن يكون خطابنا عاماً على نهج (ما بال أقوام..)[1].

٣- **أن لا يكون بالإكراه:** فهو «نهي» لمكانة الأحكام الشرعية، ولكن ليس لاستخدام القوة إلا من صاحب الولاية كالحاكم، والرجل في بيته، وكل ذي سلطان في سلطانه.

٤- **أن لا يؤدي إلى زيادة رقعة السوء:** لأن هدفنا إزالة السوء، ولهذا على الداعي أن يعرف ظرف المخاطب.

٥- **أن يراعي فيه قدرة الداعية:** فلا نحمله فوق طاقته، ولا نلزمه بتحصيل النتائج، وإنما عليه البلاغ والبيان، فإذا لم تتوفر لديه القدرة على الإنكار فلا شيء عليه.

٦- **أن يتحلى الداعية بالصبر:** فلا يضجر ولا يصخب ولا يستعجل، بل عليه أن يستحضر سيرة الأنبياء وكيف صبروا، ومع ذلك فإن منكرات كثيرة لم يستطيعوا إزالتها.

٧- **أن يتذكر الداعية نفسه وأنه صاحب أخطاء،** وأن الله تعالى يسّر له الهداية، وربما كانت هدايته بسبب لطف داعية دعاهُ، فليحسن إلى الخلق كما أحسن خلقٌ إليه.

٨- **أن يدعو لمرتكب المنكر بالهداية:** فقد كان عليه السلام يقول داعياً:

---

(١) صحيح مسلم ٥/١٧٦.

«اللهم اهد دوساً..»[1]. «اللهم اهد ثقيفاً»[2]، وكذا كان يفعل الأنبياء السابقون.

٩- **أن يراعي الداعية الأقرب فالأقرب كما قال تعالى:** ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وقال: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، لأن الداعية معرض للنقد من الآخرين إذا لم يوجه دعوته لأهله ويهذبهم ويجعلهم قدوة للبيت الدعوي.

١٠- أن يبادر الداعية نفسه إلى تطبيق ما يدعو إليه، فالقدوة قبل الدعوة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢-٣].

١١- أن يكون نهجه التيسير حتى يكون أقرب إلى القبول وبالتالي النجاح، أما التعسير فإنه يقود إلى التنفير، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٢- أن يكون الخطاب ليناً، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]. وقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] واللين هنا ليس نابعاً عن ضعف، ولكنه أسلوب يؤدي في الغالب إلى النجاح وإعطاء صورة طيبة.

١٣- مخاطبة الناس على قدر عقولهم، فالناس معادن، وهم متفاوتون، ولا بد من التمييز بين العالم والجاهل، والذكي والغبي، والفيلسوف والساذج، والصغير والكبير.

---

(١) البخاري مع الفتح ٨/ ١٠١ رقم ٤٣٩٢.

(٢) الترمذي ٥/ ٧٢٩ رقم ٣٩٤٢، وقال: حسن صحيح غريب، ومسند أحمد ٣/ ٣٤٣.

١٤- اختيار الكلمات الطيبة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

١٥- عدم إجبار الناس على ما هو موضع خلاف بين العلماء، لأن ذلك الخلاف فيه سعة للناس.

١٦- التدرج في الإنكار بحسب القدرة، حيث ينكره بقلبه، ثم لسانه، ثم يده إن كان صاحب سلطة.

صفات منكري المنكر:

لا بد أن تتوفر بعض الصفات في منكري المنكر ومن ذلك:

١ - الحكمة:

الحكمة هي إصابة الصواب، والحكماء هم العقلاء الذين يضعون الأمور في نصابها، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فبضاعة الداعية طيبة، ولكن طيبها لا يظهر إلا إذا وضعت في مكانها وزمانها المناسبين، ولا بد أن نقدم بضاعتنا في ثوب جميل، ألا ترى أن الحلويات الجميلة توضع في أوراق جميلة خاصة تغري الناس بالشراء، وتدل على قيمة ما فيها، وبضاعة الداعية حلوة، قال عليه السلام: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان»[1] فليحرص الدعاة على الحكمة ويراقبوها في أدائهم.

(١) سنن النسائي ٨/ ٩٤.

٢- الصبر:

بيّن لنا النبي ﷺ أن «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1] والصبر سبيل النجاح قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

وقد بيّن لنا القرآن الكريم قصة نبي كريم لنتعلم منها، وهو يونس عليه السلام كيف ضجر من كفر قومه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] إن المؤمن لا يخلو من الخير، فيونس عليه السلام غضب وترك قومه وركب السفينة ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ * فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات:١٤١-١٤٦] فقد دعا الله تعالى، وعَرَف خطأه، فسبح في ظلمات بطن الحوت، فنجاه الله تعالى، وظلله باليقطين حتى لا تحرقه الشمس، نعم عاقبة الصبر النصر، ولا ينبغي للداعية أن يغير أو ينكص، لأن أجره حاصل سواء استجاب الناس أم لم يستجيبوا، فهو يعمل عند الله تعالى، وأجره محقق بإذن الله عز وجل.

٣- الإخلاص:

وهي صفة لا بد منها، وهي أقرب إلى الصفات الاعتقادية منها إلى الأخلاقية، فالعمل لله والدعوة إليه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل:١٢٥]

---

(١) ابن ماجة ٢/١٣٣٨ رقم ٤٠٣٢.

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ﴾ [الشورى: ١٥] ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف: ٣١] والرسول عليه السلام يؤكد علينا بقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[١]، وقد سميت سورة الإخلاص بذلك لأن أساسَ الإخلاص التوحيد، ولا يسمى مخلصاً من كان لديه ذرة شك في التوحيد، ومن التوحيد أن يقصد الداعية بعمله وجه الله، ولهذا فإنه يدعو بنية الأجر من الله لا من الناس، وبنفس الوقت يدعو الله تعالى أن يهدي قلب المدعو. والإخلاص مسألة بين الداعية وربه، والله أعلم بنيات العباد، ولهذا فإننا من باب الأدب مع الله نقول عن الواحد من الناس: نحْسبه كذلك، ولا نزكي على الله أحداً.

إن الممارسة الواقعية للدعوة تؤكد أن من كان مخلصاً في دعوته فإنه سيحصد في الغالب ثمرة الاستجابة من المدعو، سواء كانت استجابة سريعة أم بطيئة. وقد سمعنا عن دعاة يبكون وهم يدعون الله تعالى أن يفتح قلوب المدعوين الذين يوجهون إليهم الدعوة، لأننا معشر الدعاة نبلغ الصوت، والله تعالى هو الذي يفتح القلوب.

٤- التواضع:

على الداعية أن يتواضع للناس وعندها سيرفعوه. قال عليه السلام: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٢]، أما المستكبرون الذين ينفخون أنفسهم فإن الناس لهم كارهون، حتى لو جاملوهم في ظاهر الحال. وقدوتنا في هذا المجال محمد ﷺ الذي كان يكلم الصغير والكبير، والغني والفقير،

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٩ رقم ١.

(٢) صحيح مسلم ١٦/ ١٤١.

والرجل والمرأة، ويجلس على الأرض ويمدّ ثوبه، ليجلس معه عليه جليسه، يبش في وجوههم، ويخاطبهم في أنفسهم، لا يعرف الغريب إذا دخل مجلسه من هو محمد؟ ولهذا كان واحدهم يسأل جموع الحاضرين فيقول: أيكم محمد؟ فلم يكن له كرسي عرش، ولا يتميز على الناس بلباس أو إشارة إنما هو الخلق الكريم، والوجه البشوش، والمعاملة الطيبة، حتى إنه بهذا الخُلق العملي يردع الجبارين الغلاظ بسلوك يضاد ماهم عليه من خيلاء في غير محلها، وقد بين لنا أن الاختيال ورؤية الذات يكرهها الله إلا في المعارك، حيث يجب على المسلم أن يغلظ في وجه عدوه لعله يخاف ويرجع، وهذا داخل في الحرب النفسية المطلوبة حقناً للدماء، ورفعاً لمعنويات المسلمين.

٥- حسن الاستماع:

على الداعية أن يتذكر أن الطبيب قبل أن يقدم العلاج يقوم بالاستماع إلى المريض، كما أن على الداعية أن يتذكر أن الله تعالى خلق له أذنين ولساناً واحداً ليستمع أكثر مما يقول.

إن الاستماع إلى المدعو دليل احترام، وهو نوع من الاستطلاع للتعرف على ثقافة المدعو واهتماماته وتوجهاته ومشكلاته وآرائه، كما أن حسن الاستماع طريق للتعرف على أثر الدعوة في المدعو، وهل آتت أكلها وأينعت ثمارها، أم أن الأمر لا يزال يحتاج إلى المزيد من الصبر والوقت.

والداعية يعلّم المدعو بحسن استماعه إلى أدب كبير نادى به الإسلام فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] والدعوة لا تخلو من آيات يتلوها الداعي ويتذاكرها مع المدعو.

كما أن الرسول محمداً ﷺ قد علّمنا أن نحسن الاستماع. وكلنا يتذكر كيف استمع لمراجعيه من المشركين، كما حصل معه حين جاءه الوليد بن المغيرة حيث تحدث الأخير، وانتهى من كلامه، ومع ذلك يسأله النبي ﷺ: هل انتهيت؟!.

خطوات الإنكار:

على الداعية أن يتبع الخطوات التالية في إنكاره المنكر:

١- تعريف المدعو بأن ما هو عليه قولاً أو فعلاً هو منكر لا تقبله الشريعة.

٢- نهي المدعو عن هذا المنكر بالحكمة وأن عاقبة الاستمرار فيه وخيمة.

٣- الإيضاح للمدعو بأن الأجر المترتب على طاعة الله تعالى بترك المنكر هو أجر عظيم.

٤- تحذير المدعو من العقاب الأليم إذا استمر في منكره.

٥- وإذا كان الداعية صاحب سلطة على المدعو فإنه يتوعده بالعقوبة من باب استخدام «الترهيب» بعد أن استخدم «الترغيب».

وقد تكون العقوبة كلاماً قاسياً، أو حجباً لمنفعة كما يفعل الوالد مع ولده العاصي، أو يطرده من العمل إذا كان الداعية هو رب العمل، وقد تكون العقوبة عرضاً على المحكمة إذا كان ولي الأمر مطبقاً للشريعة في سلطانه.

منكرات يجب أن نحاربها:

المنكرات كثيرة وهي درجات وأنواع نذكر منها ليتحرك الدعاة لإنكارها وفقاً لظروفهم زماناً ومكاناً، وهي:

١- **الشرك بالله**: حيث ينتشر بين بعض المسلمين جهل في الله، فيسوون

بين الله وخلقه، فمنهم من يطلب الغوث من الأحياء أو الأموات فيما لا يقدرون عليه، ومنهم من يحلف بغير الله، ومنهم من يتوكل على غير الله.

٢- **الإلحاد**: وهناك صنف من الناس لا يؤمن بوجود الله، وينسب كل شيء إلى الطبيعة، أو الصدفة، أو العدم، وهؤلاء وإنْ كانوا قلة إلا أنهم موجودون في كثير من الأقطار.

٣- **الألفاظ الكفرية**: والتي تجري على ألسنة الناس تقليداً لبعضهم بعضاً، فهٰذا يسب الله أو الرسول، أو ينسب من صفات السوء إلى الله ما لا يجوز، وذاك يسبّ الدين، وقد نبهنا القرآن الكريم أن إطلاق كلمة (ذليل) على الرسول كانت كفراً ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون:٨] وقال عن ذلك: ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٧٤]. إن هذا الموضوع جد خطير وهو مما عمت به البلوى نتيجة الجهل وقلة الواعظين، وقد نشرت رسالة بهذا الخصوص عنوانها (تحذير المسلمين من ألفاظ الكفر) فليرجع إليها من أراد.

٤- **الطعن في القرآن وادعاء أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان**:

وهي فكرة روّجها ملحدون وزنادقة قديماً وحديثاً من أصحاب الفرق الباطنية، والاتجاهات المنحرفة المعاصرة، كالشيوعية والوجودية والبراجماتية والعلمانية ونحوها.

٥- **المعاملات المالية المحرمة**:

كالربا والاحتكار والغش والسرقة وبيع المحرمات والاختلاس والرشوة والقمار بشتى أنواعه وأسمائه، ومنها في عصرنا هذا ما يسمى باليانصيب.

٦- السلوكيات المحرمة:

كالزنا واللواط والسحاق.

٧- أكل أو شرب المحرمات:

كأكل الخنزير، وشرب الخمر، والمخدرات، والدخان، وأكل الميتة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح للأصنام والأموات تقرباً إليهم وطلباً للمعونة منهم.

٨- لبس أو استعمال المحرمات:

كلبس الحرير للرجال، واستخدام أواني الذهب والفضة ونحوها، واستخدام المساحيق من قبل النساء والخروج بها في الطرقات، ولبس الرجال للذهب، والألبسة النسائية الفاضحة الكاشفة للعورة، والتي هي من أكبر البلايا في هذا الزمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وكذلك تزين الرجال بالذهب الذي أباحته الشريعة للنساء.

٩- منكرات الأفراح:

حيث يقع الاختلاط بين الرجال والنساء مكشوفات البدن، بل قد يقدم بعضهم خمراً، وقد يعمد هؤلاء المختلطون إلى الرقص الجماعي كما هو عند الكافرين الذين فقدوا الغيرة ولا قيمة للشرف عندهم.

١٠- منكرات الأتراح:

فقد انتشرت بين المسلمين عادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، فنرى قوماً يضعون شريطاً يقرأ فيه أحد المشايخ القرآن الكريم، بينما القوم

ساهون لاهون، يتحدثون فيما يشاؤون، ناسين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

ومن المنكرات التي تصاحب حالات الوفاة عند بعض الناس الاعتراض على حكم الله تعالى لموت ميتهم، وقد يتجرأ بعضهم ليصف الله بالظلم، وهنا يكون الإنسان قد قال كلمة الكفر، ومن المنكرات في هذا نواح النساء، وشق الثياب، وخلع الشعر، والانكشاف أمام الرجال الغرباء. وفي كل مجتمع نجد بدعاً وضلالات تتعارض مع هدى المصطفى ﷺ الذي هو خير الهدى، فليحرص المسلمون عليه، وليحذروا المخالفة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

حالات الإعفاء من الإنكار:

هناك حالات ترفع فيها الشريعة الغراء عن الداعية وجوب الإنكار وهي حالات محدودة وهي:

١- أن يعلم أن كلامه لا ينفع، ولن يؤثر لوجود دلائل وإرهاصات تدل على ذلك.

٢- أن يعلم أن إنكاره سيؤدي إلى منكر أكبر منه.

٣- أن يعلم أن إنكاره سيعود عليه بالأذى العظيم كالضرب ونحوه.

٤- أن يعلم أن ظرف المدعو غير مناسب للحديث معه، فيؤجل ذلك لوقت آخر، كأن يكون في حالة غضب شديد، فيتركه حتى تسكن نفسه، ويهدأ غضبه، وذلك رغبة في أن تقع كلماته موقع القبول من المدعو.

الوحدة التاسعة: مناهج الدعوة

سنبحث في هذه الوحدة، أربع قضايا، هي: المنهج لغة، المنهج في القرآن، المنهج في السنة، معالم المنهج الدعوي.

أولاً: تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً:

المنهج في اللغة مشتق من نَـهَجَ ينهجُ نهجاً ومنهاجاً، وهو الدرب والطريق الموصل إلى غاية ما، وفي بعض الدول العربية يستخدمون كلمة (نهج) للدلالة على الطرق. قال ابن منظور: طريق نَهْجٌ: بيّن واضح، والجمع نهجات ونهج ونهوج[١]. والنهج والمنهاج والمنهج واحد، ويلحظ فيه الاستقامة والوضوح والبيان.

والمنهج اصطلاحاً -وفقاً لرؤية بعض الباحثين-: هو رؤية واضحة متكاملة الأسس والأبعاد، تنطلق هذه الرؤية من تصور مذهبي متجانس لا يقفز على الأمور، بل يحاول أن يربطها ببعضها البعض بطريقة تبدو للمطلع منسقة ومتزنة ومرتبة. أو هو رؤية كلية تحاكم التفاصيل باعتبارها أجزاء من كل.

إنّ وجود المنهج ضرورة كبرى لوحدة الصَّف في الدعوة الإسلامية، وكما يقول محمد أحمد الراشد: إنّ المنهجية لجام يلجم المثاليين الطامعين للوصول إلى الأهداف بدون منهج صحيح، حيث يحيلون طموحات الدعوة إلى القدر أو إلى دغدغة العواطف، وأقول: إنّ المنهجية أيضاً تلجم الخائبين اليائسين؛ لأنها تقود إلى الهدف بمراحل وخطوات، وتشعر الداعية بأنه يسير في الدرب ويقطع الشوط.

---

(١) لسان العرب ٢/ ٣٨٣.

ثانياً: المنهج في القرآن:

وقد وردت كلمة منهج في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ ﴾ [المائدة:٤٨] قال الشوكاني: (الشرعة والشريعة في الأصل: الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى الماء، ثم استعملت فيما شرعه الله لعباده من الدين. والمنهاج: الطريقة الواضحة البينة. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الشريعة ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر)[١] وقال ابن عباس: شرعة ومنهاجاً: سبيلاً وسنة، قال ابن حجر: وصل هذا التعليق عبد الرزاق في تفسيره بسند صحيح: والمنهج السبيل، أي: الطريق الواضح، والشرعة والشريعة بمعنى، وقد شرع، أي: سن[٢]. وقال سيد قطب: (إنّ الله لو شاء لجعل الناس أمةً واحدةً، ولكنه جعل لكل منهم طريقاً ومنهاجاً، وجعلهم مبتلين مختبرين فيما آتاهم من الدين والشريعة، وما آتاهم في الحياة كلها من عطايا، وأن كلاً منهم يسلك طريقة، ثم يرجعون كلهم إلى الله فينبئهم بالحقيقة، ويحاسبهم على ما اتخذوا من منهج وطريق)[٣] وقال ابن الجوزي: (المنهاج الطريق الذي لا يكون إلا واضحاً ذكره ابن الأنباري)[٤].

ووردت أيضاً كلمة منهج ونهج ومنهاج في السنة النبوية، فهذا رجل يرى رؤيا ويرويها ليعبروها له فيقول: (فسلك بي في نهج عظيم)[٥]

---

(١) فتح القدير ٢/٤٨.
(٢) البخاري مع الفتح ١/٤٦ قبل الحديث رقم (٨) السلفية.
(٣) في ظلال القرآن ٢/٩٠٣.
(٤) زاد المسير ٢/٣٧٢.
(٥) مسند أحمد ٥/٤٥٣، وسنن ابن ماجه ٢/١٢٩١ رقم ٣٩٢٠ باب الرؤيا.

والمعنى الطريق الواضح، ويعبر النبي ﷺ للرجل رؤياه فيقول: «أما المنهج العظيم فالمحشر» وفي حديث حذيفة بن اليمان وسؤاله عن الفتن (فكانت الخلافة على منهاج النبوة)[1].

يتضح مما سبق أن النهج والمنهج والمنهاج شيء واحد، وهو الطريق، وهو متصف بما يلي:

١- الاستقامة.

٢- الوضوح التام.

٣- البيان.

٤- الظهور.

٥- الاستمرار.

فإذا أخذنا هذه المعاني وأضفناها إلى المفهوم الحركي لمنهج العمل الإسلامي فيكون المعنى حينئذٍ على النحو التالي: هو الطريق الشرعي الواضح المستقيم الذي فيه اتباع طريق النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وأية مخالفة لطريق النبي تُخرج العاملين عن منهج الرسول عليه السلام.

إنّ المنهج يتطرق لأساسيات العمل، ولا يدخل في التفاصيل التي تختلف عبر الزمان والمكان مما يدخل في عالم الوسائل والأساليب. فالمنهج هو القواعد الكلية الشرعية في العمل، وهذه يجب أن تكون ثابتة

(١) مسند أحمد ٥/٤٠٤، و٤/٢٧٣ ومعنى يعبر الرؤيا، أي: يفسرها.

(فالغاية لا تبرر الوسيلة) عندنا بخلاف المنهج الميكيافللي، واستعجال الشيء قبل أوانه لايقبله المنهج النبوي، وهكذا كل قاعدة أو مبدأ رفضه الإسلام يجب أن يبتعد عنها الدعاة تمسكاً بمنهجهم.

هل للدعوة الإسلامية منهج أم مناهج؟

خلال قراءتي لكتب الفقه الحركي لفت نظري كتابان حملا عنوانين قريبين من الموضوع الذي نتحدث عنه:

الكتاب الأول: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» لعبد الله آدم.

وكم فرحت عندما رأيت عنوان الكتاب، لكنني لم ألبث أن فقدت سروري حينما تجولت في فهرسه، فإذا به سرد قصصي لسيرة الأنبياء مع أقوامهم، فالعنوان كبير وجميل، لكنه لا يتطابق مع المضمون الذي هو سرد لقصص الأنبياء.

ولو كان الحديث عن المنهج لما كان هناك داع للتكرار والتعلق بالأحداث، بل لا بد من التركيز على الثوابت الأساسية في طريقة العمل، أو التنبيه إلى الملامح العامة في طريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله.

الكتاب الثاني: «مناهج الدعوة» للمستشار علي جريشة.

فاسم الكتاب غير موفق، فالدعوة لها منهج واحد، ولو قال: (مناهج الدعاة) لقلنا: أصاب.

ولهذا فإنني أريد أن ألفت النظر إلى هذا الفرق الهام بين الدعوة التي هي هذا الدين الذي لا يجوز تحريفه وتبديله، وبين الدعاة الذين قد تختلف وجهات نظرهم لأسباب عديدة. فلا حرج أن نقول: (مناهج الدعاة)

لأن ذلك واقع في اختلافات العاملين في الحقل الإسلامي، ولكن علينا أن نقول: (منهج الدعوة) لأن الإسلام يفرض علينا أساسيات ومعالم لا بد من التمسك بها، وهذا لا يعني ثبات الوسائل والأدوات، بل قد تختلف وتتنوع وفقاً للزمان والمكان شريطة استمرار انسجامها مع القواعد الكلية وأساسيات المنهج الدعوي.

معالم المنهج الدعوي:

لا بد من التأكيد على المعالم الكبرى للمنهج الدعوي حتى يتمكن الناس من تمييز الخبيث من الطيب، والصواب من الخطأ، وفي اجتهادنا فإن المعالم الدعوية تتمثل فيما يلي:

١- **الرجوع إلى الكتاب والسنة الثابتة:** فهما أصل الدين ومنبعه، ولهذا أوصانا عليه الصلاة والسلام بهما: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[١] وهذا أمر مجمع عليه عند المسلمين، إلا أهل البدع والضلالات. فكافة الحركات الإسلامية تؤكد على أنّ الكتاب والسنة هما المرجع والأصل، وهذا يعني قياس كل شيء بهما، فما وافقهما كان صحيحاً وغير ذلك باطل.

٢- **تعريف المسلمين بدينهم الحق ودعوتهم للعمل به:**

لا بد للسائرين في نهج الدعوة أن يدعوا الآخرين إليها، وأول المدعوين هم المسلمون وبخاصة في هذا الزمان الذي تخلى أكثر المسلمين سلوكياً عن الإسلام، وصارت أخلاق وأعمال كثير منهم مخالفة للإسلام،

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٢٠٠ رقم ٤٦٠٧.

ناهيك عن أولئك الذين انخدعوا بمذاهب وتيارات مضادة للإسلام، أو الذين وقعوا في الخرافات والدجل والجهل، وعليه فلا بد لأصحاب المنهج الدعوي أن يعرّفوا المسلمين بدينهم ويدعوهم للتمسك بالإسلام.

٣- تحذير المسلمين من المخالفات الاعتقادية وأخطرها الشرك والأفكار الهدامة:

وهٰذا في غاية الأهمية؛ لأن أساس قبول الأعمال العقيدة السليمة، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، والعقيدة السليمة هي التي تدفع للعمل الصالح، وتقود للعلم والبحث عن الحق، وهي التي تحارب الشرك والخرافات، وتولّد في نفس المؤمن طاقة كبيرة نحو الحق والعدل والخير. ولا مجال لاجتماع الأفكار الهدامة مع العقيدة الصحيحة، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] فعلى الدعاة أن يحذروا المسلمين من كل خلل اعتقادي، وأخطرها الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. ولابد من تعريف المسلمين بالأفكار الهدامة والرد عليها، كالشيوعية، والاشتراكية، والرأسمالية، والبراجماتية، والوجودية، والعلمانية، والماسونية، وكذلك انحرافات الفرق الضالة والمبتدعة كالشيعة، والخوارج، والمعتزلة، والحركات الباطنية كالنصيرية والدروز وغير ذلك مما ناقض الكتاب والسنة.

٤- تحذير المسلمين من البدع والخرافات:

تنتشر في بلاد المسلمين بدع وخرافات، وهذا دليل على تقصير العلماء، وابتعاد الناس عن طلب العلم، فالبدع والخرافات لا تنتشر مع وجود العلم،

بل تنبت وتنمو في أرض الجهل وقلة العلماء.

إن أتباع المنهج الصحيح مدعوون لمحاربة هذه البدع وكشفها، وبيان خطورة الابتداع، وأن كل بدعة ضلالة، وأن البدع تكون على حساب السنن النبوية، وعليه فلا بد من إحياء السُّنَّة، والدعوة إلى التمسك بالكتاب، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف:٤٣] وبوجود العلم والتمسك بالهدي النبوي تصبح الخرافات بعيدة وأصحابها في ضيق.

علينا محاربة البدع بأن لا نبتدع نحن أولاً لنكون قدوة للآخرين، كما أننا مطالبون ببيان هذه البدع وبديلها من السُّنَّة المطهرة، ولا بد من إعلان الحرب على الخرافات كأساليب دفع الحسد، وإيجاد المحبة، وعلاج الأمراض عن طريق الدجل والشعوذة، وكذلك محاربة أدعياء الزهد الذين يأكلون باسم الدين أموال الناس، ويدّعون أنهم أولياء لله، وأنهم واصلون متصلون بالله.

٥- إحياء عبادة التفكر والتفكير:

يظن بعضنا أن العبادة محصورة في الشعائر المباشرة كالصلاة والصوم والحج، وينسى هٰؤلاء أن التفكر عبادة، وأن التفكير فريضة إسلامية قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠] فقد علق عليها ترجمان القرآن ابن عباس فقال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر. والتفكر يزيد من يقين المؤمن بالله تعالى وآياته المبثوثة في الكون، الذي هو كما يقال كتاب الله المنظور، وبالتالي يجمع المؤمن بين قراءة الكتاب المقروء (القرآن)، والكتاب المنظور

(الكون)، وفيهما من التناسق والتطابق ما يدركه العلماء، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨]. وكلنا يجد القرآن يثني على أصحاب العقول والألباب ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٧٦]. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٢١]. فتغييب العقل مناقض لمنهج الدعوة ومن يفعل ذلك فقد خالف دين الله تعالى.

٦- تحذير المسلمين من الأحاديث المنكرة والموضوعة والضعيفة:

باعتبار السنة هي المصدر الثاني للتشريع، فإن العناية بها واجب أكيد وأصل أصيل، ولهذا فإن المنهج الدعوي يتطلب منا أن ندافع عن هذه السُّنة المطهرة بنشر صحيحها وما ثبت منها، وكذلك محاربة المدسوس على الرسول ﷺ، والابتعاد عن الأحاديث الضعيفة، وعدم اعتماد أحاديث القُصاص، وما يدور على ألسنة الناس. وهذا هو النهج الذي سار عليه علماؤنا السابقون، حيث تفرغ بعضهم لهذا الغرض، فخرّجوا الأحاديث، وميزوها بين صحيح وحسن وضعيف وموضوع، وقسموا متواترها إلى لفظي ومعنوي، وصنفوا المصنفات مثل: (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) وكتاب (الضعفاء) ومن المعاصرين (سلسلة الأحاديث الصحيحة) (سلسلة الأحاديث الضعيفة).

على دعاة الإسلام أن يراجعوا محفوظاتهم ومناهجهم التربوية لتدقيقها وتنقيتها مما هو غير ثابت عن رسول الله ﷺ حتى يكونوا مساهمين في نشر العلم الصحيح (ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...)[1].

---

(١) صحيح مسلم ٢٢٦/١٦، وسنن النسائي ٧٦/٥، ومسند أحمد ٣٥٧/٤.

٧- ضرورة أخذ الإسلام من نبعه الصافي وليس من سلوكيات جانبها الصواب:

إنّ الإسلام هو المعيار في الحكم على الأشياء والموضوعات والأشخاص والأخلاق، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] فالإسلام هو الأساس وليس الأشخاص، لأن الأشخاص يخطئون ويصيبون، يعدلون ويظلمون، ينقادون للحق وقد تصيبهم الأهواء. إنّ الإسلام هو الذي يحكم على الأشخاص، وهو الحجة عليهم، ولا يجوز أن يخطر ببالنا أن الأشخاص حجة على الإسلام، ورحم الله الإمام مالك بن أنس حين قال: (كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر). واحترامنا للعلماء والمفكرين والقادة لا يعني أن نقبل أخطاءهم، بل نُوجّه لهم النصح، فنقبل صوابهم ونترك خطأهم، ولهذا فإن التقليد الأعمى محارب في الإسلام.

إن الذين ربطوا أنفسهم بأشخاص يقلدونهم في كل شيء مخطئون، بل يكونون قد قللوا من شأن الرسول ﷺ؛ لأنه هو القدوة المطلقة، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب:٢١] أما غيره فهو قدوة نسبية، أي: يكون سلوكه أو قوله أحياناً صواباً وأحياناً أخرى خطأً. كما أن المقلد بطريقة عمياء لا يحترم الجوهرة التي أعطاه الله إياها وهي العقل؛ لأنه أسلم عقله لغيره.

٨- إزالة الجمود الفكري والتعصُّب المذهبي:

لا بد أن يراعي أتباع المنهج الدعوي ضرورة الانفتاح العقلي والذهني، بل عليهم مكافحة الجمود الفكري، والقوالب الجاهزة التي يقدسها بعض

الناس وكأنها جزء من الدين، حيث ينسى هؤلاء أن الدين يسر لا عسر، ومرونة لا شدة، وبشاشة لا عبوس، واتباع لا تقليد، لأن الجمود الفكري يعني التقليد وإلغاء التفكير.

كما إن الدعاة مطالبون بالتحرر من التعصب المذهبي البغيض الذي فرق المسلمين، وجعلهم شيعاً وأحزاباً، فرق قلوبهم، وزرع فيهم التنازع.

إن احترامنا لعلمائنا الأجلاء: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم ممن بذلوا لهذا الدين جهدهم وعقلهم لا مجال لتقليصه أو تغييره، ولكن ذلك لا يعني تقديس كلامهم، لأنهم هم أنفسهم لا يقبلون ذلك أبداً، وقد صح عنهم جميعاً دعوة الناس للأخذ بالكتاب والسنة، وأنهم قد تبرؤوا من كل كلمة قالوها إذا خالفت هذين المصدرين.

٩- السعي لاستئناف الحياة الإسلامية:

لا بد أن يسعى الدعاة لاستئناف الحياة الإسلامية، لأن منهج الدعوة يتطلب ذلك، فالرسول عليه الصلاة والسلام دعا من حوله ثم جمّعهم وثقّفهم، ومن ثم بدأ يبحث عن مخرج في الحبشة والطائف وفيما بين القبائل، حتى ساق الله تعالى أهل المدينة فأسلموا، وبايعوه واستقبلوه، وصارت المدينة قاعدة الدولة الإسلامية التي انطلقت منها البعوث والرسائل النبوية لأصقاع الأرض ولحكام الدول.

إنّ دعاة لا يفكرون باستئناف الحياة الإسلامية، ولا يعملون لذلك بكل ما أوتوا من قوة، هم دعاة مجانبون للمنهج الصحيح، وهنا أنبه إلى أن المسألة لا تتعلق بالادعاء والمطالبة عبر البيانات فحسب، بل لا بد من إدراك (ميكانيكا) التغيير، والأخذ (بالآليات) المناسبة والممكنة، حتى يصل

المسلمون إلى حقهم الطبيعي في أن يحكموا بالإسلام شريعة وعقيدة ونظام حياة. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

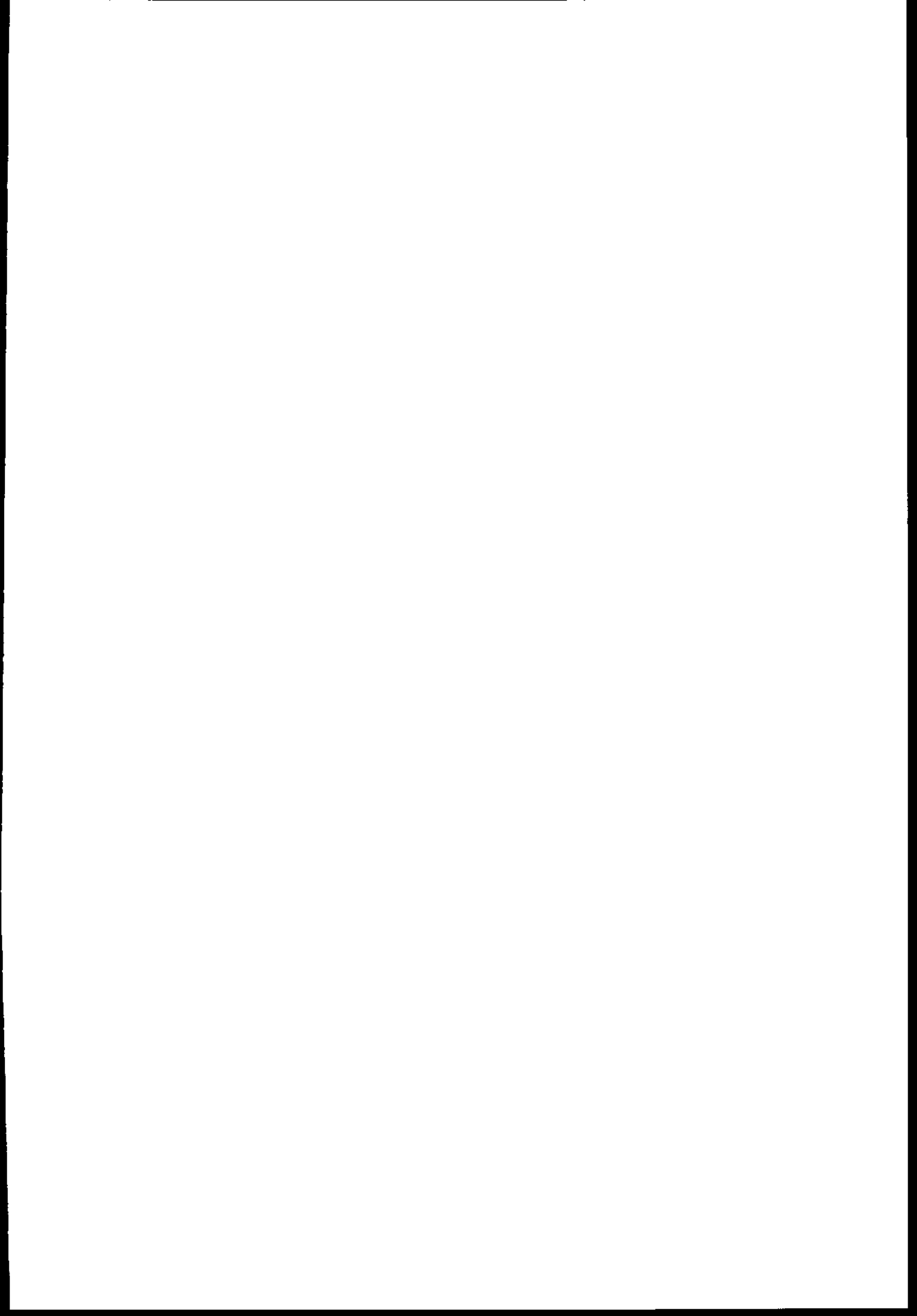
١٠- تصويب مناهج العمل الإسلامي:

على دعاة الإسلام أن يكونوا على بيّنة من أمرهم، فيدركوا مناهج العمل الإسلامي الموجودة في صفوف الصحوة الإسلامية، فيعرفوها عن قرب، ويدرسوها بتمعن وروح علمية بعيداً عن التعصب والانغلاق، وبعد ذلك يقارنونها بالمنهج الصحيح، ليروا قربها أو بعدها عن الحق.

إن واقع مناهج العمل الإسلامي تصل إلى حد التناقض والتعارض، ويصير كل أصحاب منهج على أن منهجهم هو الصواب، ومنهج غيرهم هو الخطأ، وهو إصرار في غير محله، بل هو نابع عن التعصب المذموم والحزبية المقيتة.

على الدعاة أن يبدؤوا بالمتفق عليه فيما بينهم، ومن ثم يعظمونه ويزيدونه إلى أن يصلوا إلى مرحلة اتفاق على الأساسيات، وليس بالضرورة أن يتفقوا على كل شيء، ولكن لتكن هناك فسحة من الاجتهادات الفرعية التي لا تعني التعارض والتضاد.

إن إدراكنا لهذه المناهج هو بداية الطريق لسير الجميع في منهج واحد، وطرائق اجتهادية متعددة ضمن المنهج نفسه.



الوحدة العاشرة

مناهج الحركات الإسلامية

هل منهج الدعوة إلى الله توقيفي أم اجتهادي؟

بناء على رفضنا لكلمة مناهج الدعوة وقولنا: إن الدعوة لها منهج واحد، فلا مجال للاجتهاد في الملامح والثوابت الأساسية للمنهج، أما التفصيلات والوسائل والأساليب فهذه محل نظر واجتهاد، قد تختلف عبر الزمان والمكان. فالأساسيات توقيفية، مَن خرج عليها فقد تنكب المنهج، واستنّ له منهجاً مغايَراً لهدي النبي ﷺ. أما من حافظ على الأساسيات، وأضاف واجتهد في الأساليب والوسائل فقد وسّع أفقه، وكان كيِّساً فطناً، يبحث عن الحق المفيد لخدمة أساسيات وثوابت المنهج، وهذا ما فعله النبي ﷺ، فمن ثوابت المنهج أن لا يستسلم المسلم لعدوه، بل لا بد من الدفاع عن المال والعرض والكرامة، أما الوسائل فكثيرة متنوعة، ولهذا وجد عليه السلام اقتراح سلمان الفارسي مفيداً فحفر الخندق، وكانت وسيلة متوافقة خادمة للمنهج.

وبعد هذا التمهيد الموجز نعرض للمناهج المختلفة التي اتبعها الدعاة إلى الله، نصفها بكل ما فيها ثناء على الإيجابيات وحباً في نصح الدعاة للتخلي عن السلبيات لا تشفياً ولا تجريحاً، فهي نصيحة لا تعييراً لأننا أمة واحدة، ربنا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتنا واحدة.

أولاً: المنهج التربوي

(الإخوان) (الصوفية) (التبليغ)

نجمع بين هذه الحركات الثلاث تحت عنوان واحد وهو (التربية)، لأنها كلها تهدف إلى العناية بالأفراد وصياغتهم وتصحيح سلوكهم وفقاً لتعاليم الإسلام كما فهمت كل حركة. ولأن هذه الحركات تختلف على أرض الواقع في أمور أساسية عملية فإننا نتحدث عن كل واحدة منها على حدة:

١ - الصوفية:

لم تشتهر كلمة (التصوف) في القرون الثلاثة الأولى، ولهذا رفضها بعض العلماء على اعتبار أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وأن خير الناس بعد الرسول هم أصحابه، فيسعنا ما وسعهم، ولا ينبغي لأحد أن يدعي أنه أعبد وأزهد من النبي ﷺ وأصحابه.

ويرى فريق آخر أن هذا اللفظ (الصوفية أو التصوف) وإنْ كان لم يطلق على زهّاد الصحابة، إلا أنه أصبح اصطلاحاً سُجّل في بطون الكتب، والفرار من استعمال الألفاظ لا معنى له، فلا مشاحّة في الاصطلاح، والمهم التنبيه على المضمون، والبعد عن الألفاظ والشكليات. وأنا مع الرأي الثاني مع التقدير لأصحاب الرأي الأول، فما هو التصوف؟ وما معنى هذا اللفظ؟!.

قيل في تفسير (التصوف) إنه نسبة إلى الصوف الخشن، حيث كان أولئك الزهّاد يلبسونه على خشونته، ويبتعدون عن الناعم الرقيق من الثياب، وقيل: إنه نسبة إلى الصفاء حيث يُعنى المتصوف بنفسه، ويحاول أن ينقيها من العيوب إلى أن تصفو، وقيل: إنه نسبة إلى أولئك العُباد الزهاد من الصحابة

من أهل الصُّفة، حيث كانوا يجتمعون في مكان اسمه (الصفة) (خلف مسجد الرسول ﷺ) يعبدون الله، ويكتفون بقليل الطعام، فإذا دعا داعي الجهاد انطلقوا يؤدون هذه الفريضة الكبرى. وقد ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ٥) أقوالاً أخرى. والراجح: أنه نسبة إلى الصوف حيث يصح الاشتقاق والنسبة.

وعلى كل حال نقول: أياً كان المعنى الصحيح الذي من أجله استعمل هذا اللفظ، فإن هذه المعاني من الزهد في الثوب، ومحاربة عيوب النفس، وعدم التعلق بالدنيا، كلها لها أصل في شريعة الإسلام بمراتب مختلفة من حيث الإلزام وعدمه، فلبس الثوب الخشن ليس فريضة إسلامية، وكثرة المال ليست باستمرار عيباً من العيوب، أما تطهير النفس من أدرانها وحظوظها والارتقاء بها من النفس الأمارة إلى اللوامة، ومن ثم المطمئنة أمر شرعي، ورحم الله ابن القيم حين سمى كتابه: (مدارج السالكين) إذ أفادنا هذا المعنى من حيث ضرورة ملاحقة النفس والارتقاء بها في سلم الصعود إلى الله تبارك وتعالى، ورحم الله علي بن أبي طالب حين قال: (النفس كالدابة إنْ ركبتها حملتك، وإنْ ركبتك قتلتك).

بناء على ما تقدم فإننا نرى أن التصوف من خلال التاريخ والواقع له صورتان:

- التصوف الإيجابي المقبول.

- والتصوف السلبي المرفوض.

التصوف الإيجابي المقبول:

ونعني به السلوكيات الموافقة للشرع من الزهد، وترك الدنيا، والاهتمام بتربية النفس وقيادها، مع عدم التخلي عما أمر به الإسلام في أي مجال من المجالات. والمنصفون من الباحثين في التصوف يؤكدون أن كثيراً من علماء هذه الأمة وزعمائها ومصلحيها كانوا زهاداً عباداً قادة للتحرر والجهاد في سبيل الله، كل حسب عصره وبيئته، فأهل الصفة مثال في هذا المجال حيث زهدوا فيما يملكون، واكتفوا بالقليل، وحملوا السلاح جهاداً في سبيل هذا الدين. وأبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه سيدٌ في هذا المقام، حيث كان زاهداً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، يقف أمام قصر معاوية، ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وإبراهيم بن أدهم الزاهد المشهور المتوفى ١٦١ هـ كان فقيهاً يرحل في طلب العلم بين الشام والعراق والحجاز، وكان يعيش من العمل في الحصاد وحفظ البساتين والحمل، وكان في نفس الوقت يجاهد في غزو الروم، وقيل: إنه مات وهو في الثغور[1].

وها هو جبل السنة الإمام أحمد بن حنبل من أفقر الناس، يرفض الاقتراض والدَّين، ويعمل بالكتابة للناس فإن لم يجد عمل حمالاً، وإلا ذهب في أثر الحصادين يجمع ما يسقط منهم من حبيبات يواجه بها الجوع

(١) انظر الأعلام للزركلي ١/ ٣١.

هو وأولاده. إن هذا الفقر والزهد لم يمنعه أن يواجه الفرق الضالة، والأمراء المنحرفين عن الجادة، ويقف لهم بالمرصاد، ورغم التعذيب فلم يرضخ، وكان موقفه في قضية خلق القرآن (من جهة الثبات) قريباً من موقف سيدنا بلال (أحدٌ أحدٌ).

ومن المتصوفة المجاهدين الأمير عبد القادر الجزائري الذي قاتل الاستعمار الفرنسي، وكذلك الشيخ عمر المختار الذي جاهد الإيطاليين[1]. يقول ابن تيمية: (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد وغيرهم من المتقدمين. ومثل الشيخ عبد القادر والشيخ حماد والشيخ أبي البيان وغيرهم من المتأخرين)[2].

ويذكر ابن تيمية[3] أن التصوف أول ما ظهر كان في البصرة، حتى إنهم كانوا يقولون: فقه كوفي، وعبادة بصرية، وذكر من زهاد البصرة زرارة بن أوفى الذي مات عندما قرأ في صلاة الفجر ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨] ومنهم جهير الأعمى الذي قرأ عليه صالح المري فمات، وصالح بن سعيد الذي أُغشي عليه ثم قال: (وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه).

فالصوفية بهذا الفهم والمضمون هي جزء من الإسلام، ولا يجوز الإنكار على من أبدع في مجال من مجالات الإسلام، فقد كان في الصحابة المقاتل والراوي والداهية المحنك والبسيط والمسكين، ولكن الذي لا نقبل به أن يدعي مدع أن هذا الجزء هو الإسلام. فعلينا أن نؤمن بكل الإسلام ثم نطبق

---

(١) كان شيخاً لإحدى الزوايا السنوسية في ليبيا.

(٢) انظر الفتاوى ١٠/٥١٦.

(٣) الفتاوى: ١١/١٩.

ما نستطيع. وقد أطلق ابن تيمية على هذا الصنف من الصوفية اسم (صوفية الحقائق)[1].

التصوف السلبي المرفوض:

وهذا هو الذي يتحدث عنه أكثر المهاجمين للصوفية (ونحن معهم) لأنه تغيير للأصل، وانحراف عن الصواب، واتباع لطريق غير هدي محمد ﷺ، بل هو طريق لأمم أخرى فقدت منهاج النبوة فسارت على غير هدى، تبحث بطريقتها الخاصة عن السعادة الروحية، إنه الفكر الفلسفي القديم عند اليونان والهنود والفرس، ولا يزال الهنود إلى اليوم يتسابقون في الزهد والورع ولبس المهترىء من الثياب، والقليل من الطعام، وإهانة كل ما هو متعلق بالجسد من شهوات.

وللوصول إلى الزعامة الدينية عندهم امتحان صعب، كالامتناع عن الطعام لأسابيع متواصلة. ولهذا تراهم ضعاف الأجسام، ظاهرة عظامهم. فما الذي يدفعنا للسير خلفهم؟! إنه منهاج خاطىء، فَهِمَ أن ارتفاع الروح لا يكون إلا بإهانة البدن، ومعلوم عندنا نحن المسلمين أنه لا انفصال بين البدن والروح، أو الدنيا والآخرة. وإذا كان هذا الانحراف قد وقع بالتبعية للآخرين، **فلا غرابة أن نجد لهذا الانحراف مظاهر في شتى المجالات:**

ففي المجال الاعتقادي: قالت الصوفية المنحرفة بالحلول والاتحاد، وهي فكرة هندية تقول بحلول الله في العبد، واتحاد العبد مع الله، ومن أبرز الذين نادوا بهذه الفكرة الحسين بن منصور الحلاج، والذي قتل مصلوباً عام ٣٠٩ هـ بعد أن كفرّه علماء بغداد في زمنه، وفي المغرب الأندلسي نادى

(١) انظر الفتاوى: ١١/١٩.

بالفكرة محيي الدين ابن عربي (توفي عام ٦٣٨ هـ) وضمّن أفكاره في كتابين (فصوص الحكم) و (الفتوحات المكية)، وقد كان على هذا نهج ابن الفارض وابن سبعين وأبو يزيد البسطامي.

إنَّ قولهم بالحلول والاتحاد قادهم إلى القول بوحدة الوجود، فالموجود هو الله، ولا شيء سواه، وكل هؤلاء الخلق صور لتجليات الرب سبحانه وتعالى.

وأقوالهم في هذه المعاني كثيرة مشهورة، منها قول الحلاج: (ما في الجبة إلا الله) وقول ابن عربي: (فما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا بالله) ومن هذه الحقيقة قال من قال: (أنا الله وسبحاني) كأبي يزيد البسطامي.

هؤلاء هم صوفية البطون والأطعمة والمظاهر الخادعة، حيث أطلق عليهم ابن تيمية اسم صوفية الأرزاق وصوفية الرسم.

وأبرز ما تأوله هذا الصنف هو الحديث القدسي الصحيح (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)[١] فقد حملوا الألفاظ على حقيقتها، فكانوا ظاهريين في التعامل مع النص هنا، بينما التأويل متعين هنا، إذْ المقصود الحض على العبادة، وزيادة الطاعة، والتنافس في الخير، والفرار إلى الله، وفيه سلوة للعابدين حيث يشعرون بقرب الله تعالى منهم.

وقال المتصوفة بالعلم اللدني دون العلم الشرعي، ويقصدون بالعلم اللدني أنه علم يقذفه الله في قلب العبد الصالح التقي فتتجلى أمامه الحقائق،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

فيطلع على أمور خفية من علم الغيب، وربما انكشف له اللوح المحفوظ، وأخبر عما يعجز عنه البشر. وهذا العلم لا يُقارن به علم الشريعة، لأن علم الشريعة محدود يهتم بالمظاهر، ويحكم عليها دون اللباب والجواهر، ويستدلون بقوله تعالى عن العبد الصالح الذي أمر الله موسى عليه السلام أن يتعلم منه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥] ولهذا لم ينصرف المتصوفة إلى علم الشريعة، واعتبروه مضيعة للوقت، إذ المقصود الغيب والتجلي وكشف الأسرار، فعالم الشريعة يحكم على الظاهر، بينما عالم الحقيقة يحكم على الجوهر والمضمون الخفي، ويستشهدون بما ورد في سورة الكهف، وبقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

ولا شك أن هذا الاستدلال خاطىء، إذْ قصة موسى مع العبد الصالح قد جاءت بناء على حادثة وقعت حيث سأل أحد بني إسرائيل موسى عليه السلام عن أعلم أهل الأرض فقال: أنا، فأراد الله أن يلفت نظره إلى قلة علمه فكانت قصة العبد الصالح، ولنا أن نتساءل: كم من عبد صالح حصل معه هذا، وشهد الله له بذلك؟! ثم إن هذا شرع من قبلنا، وليس لنا إلا العبرة، وهي بالنسبة لنا أن نتواضع فيما نعلم، ولو كان الأمر على إطلاقه لما بقي للحلال والحرام من معنى، إذْ سيدعي كل مفسد بأنه يصلح، ولكننا لا نعلم حقيقة فعله، وبهذا يبطل الشرع، ويعطل الكتاب، ويُلغي السنة.

أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهو استدلالُ جاهلٍ بلغة العرب، فالتقوى كما يفهمها المتصوفة (التسبيح والتهليل دون المطالعة والتتلمذ والكتاب) لا يمكن أن تقود إلى علم، ولو اعتكف واحد في مغارة لا يشغله عن الصلاة والذكر

شيء لما زاد علمه مثال ذرة، وسُنّة زيادة العلم هي الدرس والتلمذ والله لم يقل: واتقوا الله يعلمكم الله، فليس شرطاً وجوابه. وإنما إذا فهمنا التقوى بالمفهوم الصحيح وهي أن يراك الله حيث يحب، ولا يراك حيث يكره، عندئذ تزيد التقوى من علم الإنسان حيث سيكون موجوداً في قاعة الدرس وفي حلقات العلم، ويتتلمذ على المشايخ والعلماء، وبهذا يزيد علمه، وقد تأتيه نفحات في فهم النصوص فيما يفتح الله على عباده.

وبناء على ما تقدم فقد قال المتصوفة بالشريعة والحقيقة، أو بالظاهر والباطن، وطلبوا من تلاميذهم أن يبتعدوا عن طلب العلم والالتحاق بالحلقات إلا حلقات الدروشة والرقص، لأن التعلم للعلم الشرعي سيؤدي إلى اعتراض من التلميذ على ما يراه من منكرات ومخالفات، وبهذا يخرج عن الإطار المطلوب، ولهذا وضعوا آداباً احتياطاً لهذا سموها آداب المريد، ومنها: (إذا رأيت شيخك يزني فإنه ينقذ غريقاً من البحر، وإذا رأيته يشرب الخمر فإنه ينزل في بطنه عسلاً). وبهذا أبطلوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجدوا تقديس الشيوخ إلى حد العبادة من دون الله.

وبإبطالهم لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انعزلوا عن المجتمع، وأفسحوا المجال للمفسدين من دعاة الباطل، ولهذا فإن هذا التصوف المرفوض ما ترعرع إلا في ظل نكسات في هذه الأمة، وفي جو المستعمرين، وهم بهذا السلوك يشوشون على دعاة الإسلام الحقيقيين الذين يأخذون الإسلام بشموله وكماله، فهذا النوع من الدين يرضاه الأعداء ويشجعون عليه، لأنه السلبية بعينها.

وتعتمد الصوفية السلبية المنامات، وتعطيها أكبر من حجمها بكثير،

بل يعتبرونها مجالاً لنزول التشريعات، وسن الأحكام، وهي مُقَدَّمةٌ على ما ورد في الشرع الحكيم، لأن المنام حديث مع القلب مباشرة. فقاعدتهم المثلى (حدثني قلبي عن ربي). ودخل الكذب في هذا المقام، فكل يدعي أنه رأى. ونحن نكذب كل رؤية تخالف الشرع الحكيم، فمن قال: إنني رأيت الله في المنام يقول لي: غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأسقطت عنك التكليف، فهو من جملة الكاذبين. ومن قال: رأيت الرسول عليه السلام، وأخبرني أن خمرة القرن العشرين ليست حراماً. فهو متقوّل على الرسول عليه السلام.

ويجب أن يبقى المنام في حدِّه المشروع، فهو للاستئناس فإنْ كان شراً احتاط لنفسه، واستعاذ بالله ولم يخبر أحداً، وإنْ كان خيراً حمد الله وشكره، وأخبر من حوله ليُدخل السرور على قلوبهم.

واختلطت عند هؤلاء المتصوفة ولاية الرحمن بولاية الشيطان، فكل خارقة للعادة هي دلالة صلاح، وما علموا أن شياطين الجن يعملون الأعاجيب، ويصنعون المخاريق، فاختلط الأمر عليهم بخصوص الكهنة والسحرة والفتاحين. ولكن علماءنا المخلصين بينوا للأمة الحد الفاصل بين الشيطنة والولاية الحقة، فقد ورد عن الشافعي رحمه الله: (إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقوه حتى تعرضوه على الكتاب والسنة).

أي إنْ كان موافقاً للكتاب والسنة فهو ولي للرحمن، وإنْ كان غير ذلك فهو ممن يتعامل مع السحرة والمردة من الجن، وقد كتب ابن تيمية رحمه الله كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) وللشيطان أساليب في

الإيقاع بالناس في هذا المقام بل إنه يلبّس على العلماء، ورحم الله ابن الجوزي حين سمى كتابه (تلبيس إبليس)، وقد ذكر فيه من القصص الكثيرة التي تبين إيقاع الشيطان للعابدين في المعاصي والشرك والكفر. وحدث ابن تيمية أن حُجاج بيت الله الحرام في سنة من السنين في زمنه جاؤوه بعد عودتهم مهنئين له بالحج، فقال: ولكني لم أحج فقالوا: رأيناك على عرفات فقال: شيطان تمثل بصورتي.

وهذا الجواب من ابن تيمية حتى لا يهوله الناس، ويدعون له الولاية والقطبية.

وخلاصة القول في المنهج الصوفي: أننا نؤيد الصوفية الإيجابية التي تحارب المنكرات في النفس والمجتمع، وتلتزم الشرع الحكيم، وبنفس الوقت نرفض الصوفية السلبية التي قالت باعتقادات مخالفة لعقيدة أهل السنة، وتركت المجتمع للفاسدين، واهتمت بالمظاهر، وتسلط الشيوخ على المريدين، وانتشرت بينهم البدع والمنكرات، وانتشر فيهم الجهل، ولهذا لا يتبعهم الفقهاء والعلماء وطلاب العلم الشرعي.

وغالبية الصوفية في هذا الزمان من النوع الثاني جهلاً وتلبيساً، ولا توجد طريقة من الطرق إلا وفيها من الويلات والبدع والاعتقادات الباطلة الشيء الكثير.

أما التصوف الإيجابي فقد يكون على صعيد أفراد لا على صعيد جماعات.

وإذا كانت الصوفية لا تمارس الدعوة إلى الله فلماذا وضعناهم تحت هذا العنوان: (مناهج الدعاة)؟؟.

الجواب: إن هؤلاء المتصوفة أمام الناس هم شيوخ وعلماء، لأن العامة لا تدري إلا المظاهر فهم يَدْعون بلسان حالهم. وفي نفس الوقت فهم تكتل كبير يغطي مساحات شاسعة في الصف الإسلامي، فكان لا بد من ذكرهم حباً في تحولهم إلى الدعوة الحقيقة، ورغبة في تحذير الدعاة والناس من المشعوذين منهم والله من وراء القصد.

٢- الإخوان المسلمون:

تعتبر جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا في مصر عام ١٩٢٨ أكبر جماعة إسلامية معاصرة، ولا تزال إلى اليوم تملأ العالم العربي، بل حتى بلاد المهجر في أوروبا وأمريكا. وتقترب منها (الجماعة الإسلامية) التي أسسها المودودي في باكستان، وحزب ما شومي في أندونيسيا، وحزب الرفاه التركي بزعامة أربكان، وإنْ كانت هذه الجماعات لا ترتبط ارتباطاً عضوياً مع الإخوان المسلمين.

لقد اعتنى الإخوان بالتربية عناية كبرى، وأفردوا لها مساحة كبرى في كتبهم ومناهجهم، فقسّموا أتباعهم إلى مجموعات صغيرة، وسموا كل مجموعة (أسرة) ووضعوا لهذه الأسر منهاجاً تربوياً وفكرياً لصقل الأتباع وتربيتهم على السلوك الإسلامي في أنفسهم، وعلى الطاعة للأمراء كعمل تنظيمي، واعتبروا جماعتهم شاملة للإسلام كله، واستطاع البنا أن يجمع أفراداً من السلفيين والصوفيين والسياسيين والمتعلمين والبسطاء والحرفيين والرجال والنساء والشباب باعتبار الجماعة تهدف إلى توحيد المسلمين.

وهذا هو السبب في أنها أكبر جماعة إسلامية، فهي لا تعتبر الخلاف

الفقهي سبباً للتفرق، كما أن اهتمامها بالإصلاح، وتوجيه الجهد لإنقاذ الناس، ونصرة الإسلام، جعل الفكرة مقبولة من عدد أكبر من الناس.

وقد تعرضت الجماعة لضغوط من الحكومة المصرية في بداية نشأتها، وكان منها تنازل الجماعة عن ترشيح مرشدها حسن البنا لعضوية البرلمان. وقد سجل الإخوان صفحات تاريخية في الجهاد في فلسيطن، وكذلك في مقاومة الاستعمار البريطاني، مما ألّب المستعمر ضدهم، وكانت النتيجة اغتيال حسن البنا في ريعان شبابه، وبعد ذلك دخل الإخوان صفحة السجون والمعتقلات، بل والإعدامات وكانت إعدامات ١٩٥٤ و ١٩٦٦ صفحات يندى لها الجبين في التاريخ المصري، حيث لم تسعف مظاهرات العالم الإسلامي وقف إعدام مفسر القرآن الكريم سيد قطب الذي كان قطباً من أقطاب الإخوان، بل صار قطباً فكرياً لكثير من الجماعات التي نهلت من كتابه (معالم في الطريق) وتفسيره للقرآن (في ظلال القرآن). ولا تزال الجماعة في مصر إلى اليوم محظورة، وصارت عمليات اعتقال شباب الإخوان أمراً رتيباً حيث ترفض الحكومة المصرية السماح للجماعة بالعمل رغم وجودها في الشارع المصري، وعملها من خلال أحزاب أخرى كحزب العمل، أو من خلال النقابات، ومع أن النظام يرى أن جماعة الإخوان تختلف جذرياً عن جماعات العنف المسلح التي اغتالت أنور السادات، أو قتلت السياح في مصر.

وقد تعرض الإخوان المسلمون في أقطار أخرى لصفحات العذاب كما حصل في سوريا والعراق، وهناك دول تضيق عليهم، وبعضها لم تسمح لهم أصلاً بالوجود إلا من خلال جمعيات خيرية كدول الخليج. ولم يعد للإخوان لافتة يرفعونها في العالم كله إلا في الأردن، حيث يتعايش الإخوان

والنظام مع اختلاف المواقف في بعض المحطات، لكن حكمة الطرفين أبعدت الجماعة والنظام عن الصدام الذي حصل في أقطار أخرى.

ولا شك إن الإخوان قد أثرّوا في الساحة العربية والإسلامية، بل والعالمية في مجالات مختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وتربوية، ومع كل ذلك لم يصلوا لتكوين دولة إسلامية ينادون بها، فضلاً عن الوصول لما تحدث عنه البنا حول (أستاذية العالم)، وقد يكون لهذا أسباب كثيرة بعضها يتعلق بالإخوان وبعضها يتعلق بمواقف الحكومات منهم.

وقد برز الإخوان في فلسطين تحت اسم (حماس) التي وجدت جمهوراً كبيراً يؤيدها، لأنها حركة مقاومة إسلامية، ولأن عدوها غير مختلف عليه، وصار لها مؤيدون في شتى بقاع الأرض، ولعل قيادة الشيخ أحمد ياسين لها قد ساهم في صناعة شعبيتها لأنه رجل مشلول إلا من عقله وقلبه، وهذا أمر يولد القدوة لدى الشباب المسلم في العالم. وبالطبع فإن هذه الشعبية لدى الناس لا توازيها شعبية لدى الأنظمة السياسية، وبخاصة بعد أن أدرجت أمريكا حركة حماس ضمن المنظمات الإرهابية حسب رأيها.

٣- جماعة التبليغ والدعوة:

جماعة إسلامية أسسها الشيخ (محمد إلياس الكاندهلوي) في الهند عام ١٩٢٧ ومن أبرز قادتها بعده ابنه محمد يوسف، وكذلك الشيخ محمد إنعام الحسن وابنه الزبير. وتقوم فكرة هذه الجماعة على العمل الدعوي دون السياسي، وتدعو إلى (إكرام المسلمين) وضرورة عدم الاشتغال بما ليس سبيلاً للدعاة، وأهم أفكارهم فكرة (الخروج في سبيل الله) والتنقل بين الأقطار في الأرض كافة لدعوة المسلمين وتوعيتهم بإسلامهم. وقد اهتدى

خلق كثير على أيديهم، وكان لهم أثر واضح في بلاد الاغتراب، وقاموا بشراء العديد من الكنائس وحولوها إلى مساجد.

وتمتاز هذه الجماعة ببساطتها، ورضي أفرادها بالقليل من الزاد والطعام، وهم يتحركون ويتنقلون بأقل التكاليف، حيث يبيتون في المساجد، ويأكلون طعاماً بسيطاً جماعياً، وهم على روحانية عالية، ورغبة أكيدة في التضحية في سبيل الله، إلا أن هذا كله لم يمنع من تقديم النقد إليهم، والمتمثل في تركهم العمل السياسي، حيث إن الإسلام لا يقبل ترك هذا الأمر المهم، كما أن الانتقال بالأشخاص من بلد إلى آخر فيه تعطيل لأعمالهم، والأصل أن يدعو كل واحد في بلده، ولا مانع أن يتنقل بعضهم ولكن ليس بالطريقة الحالية.

كما أن هذه الجماعة ومن منطلق حرصها الروحي تقوم بتدريب أشخاص جدد على إعطاء الدروس، وهم ليسوا أهلاً لذلك، مما يوقعهم في الأخطاء، بل وأحياناً نشر الجهل عوضاً عن العلم.

وتعتمد الجماعة كتاب (حياة الصحابة) لمحمد يوسف وكتاب (ملفوظات إلياس) و (رياض الصالحين) للنووي و (الترغيب والترهيب) للمنذري و(الأدب المفرد) للبخاري. وليس لهذه الجماعة عناية بتمحيص الحديث ونقده، والتأكد من نسبته للرسول عليه السلام مما أوقعهم في رواية ما ليس بثابت.

إنهم يحتاجون لمراجعة طريقتهم كي يؤدوا دوراً أفضل مما هم عليه الآن مع اعترافنا بأنهم أصحاب فضل في هداية الكثيرين.

ثانياً: المنهج السلفي

معنى السلفية:

حتى يتسق ما نكتبه هنا مع عبارة (مناهج الدعاة) فلا بد أن نتحدث عن مجموعة من المسلمين انتسبوا للسلف الصالح.

فهذا العنوان (المنهج السلفي) نطلقه تجاوزاً على مجموعة من الناس لهم طريق معين في العمل للإسلام، أما حقيقة هذا اللفظ (المنهج السلفي) فلا تعدو أن تكون الحديث عن منهج القرون الثلاثة الأولى في فَهْم النصوص والتعامل معها، وهذا ما قرره الدكتور راجح الكردي في بحثه الذي قدمه لندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر الذي عقد في البحرين (٣-٦/٦/١٤٠٥ هـ ٢٢-٢٥/٢/٨٥م). وقد كان عنوان بحثه (الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة) وقد ناقش البحث الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[1]، الذي كتب بدوره كتاباً بعنوان (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي) وقد أكد الدكتور البوطي أن إطلاق (السلفية) على جماعة إسلامية جديدة هو ابتداع على صعيد الواقع الإسلامي فيقول عن كتابه (هذا الكتاب لا يتضمن أي مناقشة لآراء السلفية وأفكارهم التي يُعْرفون بها، كما لا يتضمن تصويباً ولا تخطئة لها. ولكنه يتضمن ما هو أهم من ذلك. إنه يثير تساؤلاً عن حكم ابتداع إطار جديد لجماعة إسلامية جديدة من قلب دائرة الجماعة الإسلامية الواحدة التي تسمى منذ أوائل عصر السلف بأهل السنة والجماعة) ورغم ما أكده الدكتور البوطي من أن السلفية مرحلة زمنية مباركة إلا أنه لم يلبث أن استعمل لفظ السلفية

(١) أستاذ في كلية الشريعة في جامعة دمشق.

كاصطلاح أطلق على مجموعة من الناس اختطوا مذهباً معيناً في العمل والدعوة، وهذا واضح في عبارته آنفة الذكر (هذا الكتاب لا يتضمن أي مناقشة لآراء السلفية).

ونحن لا نوافق البوطي في أن اطلاق السلفية على تجمع بعينه بدعة في التجمعات الإسلامية، فقد تسمى بهذا الاسم كبار أهل العلم على مرّ التاريخ الإسلامي مريدين به أنهم يسيرون على منهج الصحابة والتابعين ومن سار مسارهم.

وهذا اصطلاح قد استعمل ولا مجال لإلغائه وإنْ كان يجب أن نوضح للناس المعنى الحقيقي لهذا اللفظ في الأصل.

يطرح الدكتور الكردي ثلاثة معاني للسلفية وهي:

١- سلفية زمانية: وهي القرون الثلاثة الأولى.

٢- سلفية منهجية: وتعني الاتجاه الأصولي الذي أقيم على فهم القرون المفضلة للإسلام وطريقة استدلالهم.

٣- سلفية مضمون ومحتوى: وهي التي تتبع السلف فيما أفرزوه من نتاج بناء على المنهج الأصولي.

وبغض النظر عن مدى صحة هذا التقسيم فإن ما يهمنا هو أن نركز عليه أنّ هذا اللفظ **لا يطلق على أناس جلد في القرن الميلادي العشرين فحسب، بل يطلق على خط ومنهج له مزايا كثيرة.** اشترك بعض أهل هذا الزمان في بعض هذه المزايا لذلك المنهج فأطلق عليهم لفظ (السلفية).

وشمل لفظ السلفية في هذا العصر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

التي أدى تحركها إلى قيام الدولة السعودية، ويمثل هذا الاتجاه في مصر جماعة أنصار السنة المحمدية، وفي المغرب الأقصى مثل هذا الاتجاه الشيخ الدكتور المرحوم تقي الدين الهلالي حيث قاد الدعوة السلفية في مدينة مكناس وله أتباع في طول البلاد وعرضها. وقاد السلفية في بلاد الشام الشيخ الألباني، والشيخ محمد نسيب الرفاعي.

وحتى نبين مدى قرب هؤلاء أو بعدهم عن الصواب لا بد من عرض أسس السلفية القديمة ومن ثم نطابق سلفية اليوم معها فنقول: لقد قامت سلفية الأجداد على الأسس التالية:

أولاً: الأخذ بالكتاب والسنة والخضوع لأحكامها.

ثانياً: تحكيم قواعد اللغة العربية في فهم النصوص.

ثالثاً: دعوة الناس إلى دينهم الحق في العقيدة والأحكام والآداب وتحذيرهم مما يخالف الإسلام.

وهذه الأسس لا خلاف عليها، ولا جدال حولها بين كل الإسلاميين، فالكل ينادي بها، ويرفعها، ويدعو إليها، وإنْ كانت النتائج التي وصلوا إليها قد تباينت لاختلاف الفهم للنصوص الشرعية، ولاختلاف مدارس اللغة العربية، واتِّباع الأهواء في بعض الأحيان.

أما سلفية اليوم فقد فَصَّلت في هذه الأسس ما رأت أنه قد اختل بمرور الزمان، فرفعت المبادىء التالية:

١ - **تصفية العقيدة الإسلامية من آراء فرق الضلالة**، كالمعتزلة، والجهمية، والخوارج، والمرجئة، والشيعة، والصوفية الحلولية، والتأكيد على دراسة العقيدة وفهمها، والابتعاد عن الشرك الأكبر والأصغر،

وإفراد الله بالعبادة من ذبح ونذر واستعانة واستغاثة.. إلخ. ونبذ علم الكلام والتمسك بالاعتقاد من الكتاب والسنة.

٢- **تصفية المذاهب الإسلامية من الاجتهادات الخاطئة**، والدعوة إلى تبيُّن الدليل واتباعه، وترك ما خالفه ولو كانت آراء أقطاب المذاهب، لأن هؤلاء القادة إنما دعونا إلى الأخذ بالدليل بقولهم: (إذا صح الحديث فهو مذهبي). حيث ثبت هذا اللفظ على لسان كل من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله جميعاً، وهم بهذا دعوا إلى الاتباع وترك التقليد.

٣- **محاربة البدع التي تنتشر بين المسلمين اليوم في شتى المجالات**، ففي العقيدة: حاربوا التوسل بجاه الرسول عليه السلام والصالحين والأولياء، وفي الفقه منعوا تشييد القبور وإعلائها فوق الشبر، وفي العبادات طالبوا بأن يصلي المسلم كما صلى النبي عليه السلام.

٤- **الدفاع عن سنة رسول الله ﷺ وذلك بإشاعة أقواله الثابتة عنه**، ونبذ ما نسب إليه مما يشتهر على ألسنة الناس، وما هو موجود في الإسرائيليات وأحاديث الوعاظ والقُصّاص، والتي هي من المدسوس على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والناظر في هذه الأسس لا يجد فيها خروجاً على أسس السلف الصالح، بل يرى فيها تفصيلاً لبعض ما جاء مجملاً عندهم باعتبار ظروف الزمان والمكان.

فنبذ علم الكلام كان سنة عند سلفنا الصالح، كما قال الشافعي رحمه الله: العلم ما كان فيه: قال وحدثنا، وما سوى ذلك وسواس الشياطين، وكان حكمه -رحمه الله- في أهل الكلام: أن يطاف بهم في البلاد،

ويضربوا في النعال، وأن يقال: هذا جزاء من حاد عن كلام الله وسنة رسوله.

وقول الإمام مالك في الاعتقاد حين سُئل عن الاستواء:

(الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب) أصل لا نحيد عنه. والبحث عن الدليل ونقد الأشخاص كان معمولاً به عندهم، فقد تتلمذ الشافعي على مالك، ثم كتب كتابه (خلاف مالك) ضمنه المسائل التي خالف فيها شيخه، وهذا من جملة ما علمه إياه مالك رحمه الله:

(كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر).

ومحاربة البدع سنة سلفنا، حيث وقفوا بالمرصاد لكل مبتدع وتبرؤوا منه، وحاربوه، وحذروا الناس منه، وذلك كله صيانة لهذا الدين.

واشتهرت العبارة عندهم (كل بدعة ضلالة).

ويكفينا أن نرجع إلى أقوال رسول الله ﷺ في رفض البناء على القبور وتجصيصها، حيث أرسل عليه الصلاة والسلام سيدنا علياً في مهمة جاء فيها (.. ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[١].

وأما الصلاة فقد صح عنه ﷺ قوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[٢].

ورفض الأقوال المدسوسة على رسول الله ﷺ هو تطبيق لحديث النبي عليه السلام (من كذب علي عامداً متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٩٦٨) (٩٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر (٦٣١).

(٣) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٣).

ومع إقرارنا لهذا النهج وسيرنا عليه إلا أن بعض من ينادون به يسيئون الأسلوب في التعامل مع الناس، حث يظهرون استعلاءهم، ويفسقون ويبدعون، بل ويكفرون من خالفهم، وهذا باب خطير لا بد من العودة عنه وتصحيحه، إذ لا يجوز أن نكفر أحداً من أهل السنة إلا بدليل، بل علينا أن نحرص على جمع المسلمين، وخلال ذلك يتم التناصح، وتبادل الرأي دون تجريح، وليسعنا ما وسع الصحابة رضي الله عنهم وأهل القرون الخيّرة.

ثالثاً: المنهج الخارجي

الخوارج التكفير والهجرة

إذا جاز لنا أن نصطلح هذه التسمية (المنهج الخارجي) لإطلاقه على أولئك الذين يرون الخروج على المجتمع وتكفيره، فلا بد من بيان بدايات هذا الفكر.

الخوارج: لقد ظهر الخوارج على عهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشقوا عصا الطاعة عنه متهمين الإمام بأنه فرّط في التمسك بالدين، وأنه رضخ لأولئك المخالفين (معاوية ومن معه) حيث قبل بالتحكيم، فقال الخوارج: حكّم الرجال، ورفعوا شعار: (لا حكم إلا لله) وهو كلام حق أريد به باطل، إذْ كيف لهؤلاء أن يعلّموا الإمام هذا الأمر الأساس؟!.

نعم خرجوا عليه وكفرّوه، وكفّروا مخالفيه، فوعظهم لعلهم يرجعون، وحاورهم لعلهم يتوبون دون جدوى، فما كان منه إلا أن قاتلهم مع أنه لم يكفرهم، بل ذكرهم بالخير، ووصفهم بأنهم زهاد عبّاد متعمقون في العبادة. وقد ورد في الحديث الشريف ما ينطبق عليهم: (... يحتقر

أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصومه مع صومهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..)[1].

هؤلاء هم خوارج الأمس أو الخوارج القدماء فمن هم خوارج اليوم؟!.

الخوارج الجدد: بعد سقوط النظام الملكي في مصر وقيام ثورة الضباط الأحرار ظن الناس أنهم سائرون نحو الأفضل، ولهذا كان بين الضباط وجماعة الإخوان المسلمين حلف غير مكتوب، فقد مهدوا للثورة وساندوها شعبياً، وكان بعض رجالات الثورة على صلة بالتنظيم الإخواني، إلا أن الخلاف وقع بينهم، فأدى إلى حالة الصراع التي أدت إلى فتح السجون والمعتقلات، ونشطت المحاكم العسكرية والمدنية، وصدرت الأحكام القاضية بالإعدام أو السجن لمدد زمنية طويلة، والتي نظرت إليها الثورة على أنها عمل لا بد منه حماية للثورة ومكتسباتها، بينما نظر إليها الإخوان على أنها انقلاب على الشعب، وظهور دكتاتورية بديلة لدكتاتورية النظام السابق، ولكن بثوب شعبي واشتراكي.

نعم امتلأت السجون ونفذت أحكام الإعدام وصار جزء من أدبيات العهد الناصري التنكيل والإجرام حتى داخل السجون. وقد رأى هؤلاء المساجين صوراً فوق التصور من شتم الذات الإلهية والإسلام والسخرية بالدين، ونتف لحى المتدينين، والاعتداء على أعراضهم أمامهم[2] مما دفعهم إلى تكفير النظام المصري رئيساً وحكومة، وصارت كل حلقة تقود إلى حلقة تليها، فما دامت الحكومة كافرة فإن وزير الأوقاف كافر، والأئمة الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨).

(٢) لمزيد من المعلومات انظر كتاب (أقسمت أن أروى) لروكس معكرون و (البوابة السوداء) لأحمد رائف وغيرها من الكتب الكثيرة التي كشفت عن جرائم ومذابح السجون في مصر.

يعملون في هذه الوزارة كفار، وكل من يقبل الصلاة خلفهم كافر وهكذا.

لقد أسقطوا ولاية الأب عن أولاده بحجة كفره، بينما الأولاد مؤمنون لأنهم من أتباع هذا الفكر. لقد حاول هؤلاء بعد تكفير المجتمع أن يجدوا لهم بقعة يعيشون فيها وحدهم، وكان رأي بعضهم أن جبال اليمن مناسبة لهذا الغرض، ولهذا سموا بـ (التكفير والهجرة) ولما كانت الهجرة المكانية غير ممكنة لأسباب تتعلق بسيادة الدول، فقد تحول مفهوم الهجرة المكانية إلى الهجرة النفسية، وقد اتكأ هؤلاء على مفهوم طرحه المفكر الإسلامي سيد قطب وهو (العزلة الشعورية) أي: رغم عيش المسلم بين الناس، لكنه معتزل لهم نفسياً وشعورياً، لأنه يعيش تطبيق الإسلام بينما هم غارقون في تيههم وضلالهم.

هذه العزلة والمفاصلة والتكفير دفعتهم إلى الانقضاض على المخالفين باستخدام السلاح، ووقعت بينهم وبين النظام مصادمات أدت إلى قتل بعضهم، ودخول آخرين إلى السجون.

وبقي هذا الفكر مادة لبعض الذين لا يقدرون الأمور بطريقة صحيحة رغم أن بعض قادة هذا الفكر قد تراجع وأعلن رجوعه إلى الاعتدال.

رابعاً: منهج استخدام القوة

الانقلابيون، التحريريون، صالح سرية

يرى عدد من الإسلاميين أن المسلمين لن يستقيم أمرهم، ولن يستعيدوا عزتهم إلا باستخدام القوة لإعادة المسلمين إلى الإسلام، ولإعادة الإسلام إلى الحكم، وهذا القول فيه من الصحة ما لا يجادل فيه أحد، فقد تمنى

نبي من الأنبياء الله تعالى أن تكون لديه القوة، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] ولعل هذا هو السبب في أمر الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ [الأنفال: ٦٠] وهو ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ، فها هو سيدنا عثمان بن عفان يقول: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن).

ولكن السؤال من أين يأتي المسلمون بالقوة؟ يجيب بعض الإسلاميين: بإنشاء تنظيمات مسلحة، ويرى آخرون: باستخدام الانقلابات العسكرية، ويرى فريق ثالث بإحداث الثورة الشعبية.

هذه الطروحات تمثل منهج القوة الذي يرى الخروج على السلطة القائمة بغض النظر عن الأداة التي سيستخدمها. إن المتتبع لتاريخ هذا اللون من العمل يجد أنه فاشل في الغالب، بل يعود على العمل الإسلامي بسلبيات كبيرة قد تطوي أجيالاً متعاقبة. ولنا أن نتذكر كل محاولات حزب التحرير، والمصادمات التي حصلت في سوريا، وقد شهدت الساحة العراقية في الستينات أعمالاً ربما كان لها الدور في انتكاس الحريات العامة وسيطرة الدكتاتوريين.

وفي كل يوم نرى ونسمع عن إسلاميين ضبطوا هنا وهناك.

ولعل محاولة صالح سرية في مصر تعبر عن سذاجة هذا النمط من العمل.

على الإسلاميين أن يتذكروا ما تمتلكه الدول من أجهزة وإمكانات ودعم خارجي، بل عليهم أن يتذكروا أننا نشهد اختراقات لهذه التنظيمات نفسها.

وعلى الإسلاميين أن يتذكروا أن الشريعة الإسلامية لا تبيح لنا أن نزيد مساحة المعاناة للناس، بل نسير على قاعدة أخف الضررين.

ورغم إقراراي أن نسبة مما يتم في أقطار المسلمين هو تلفيق ومسرحيات، إلا أن الإنصاف يدعونا إلى الاعتراف أن إسلاميين قد تم جرهم إلى مواجهات خسر فيها الإسلاميون وخسر فيها الشعب، ولعل أحداث ١٩٨٠ م وما تبع ذلك في سوريا خير شاهد، حيث فقدنا عشرات الألوف من الناس. ومن الممكن التأمل في مجريات الأحداث في الساحة الجزائرية التي تشهد إزهاق الأرواح ويطرق بشعة منذ أكثر من عشر سنوات.

خامساً: المنهج الجهادي

يشمل هذا المنهج الحركات الجهادية في عدد من الساحات الإسلامية كحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكذلك حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، كما يشمل حركات المقاومة في الشيشان والعراق وكشمير والأفغان العرب أيام احتلال الروس لأرض أفغانستان.

إن هذه الحركات إنما قامت للدفاع عن الأرض والعرض والكرامة، لأن الفقه الإسلامي يفرض على المسلمين مقاومة المحتلين، ولا يجوز القبول بالاحتلال، فهي حركات إسلامية لا تعيش حالة عادية، بل قوات غازية تحتل الأرض، وتنكل بالمسلمين ومقدساتهم، فلا بد من مقاومة المحتل بالسلاح، وهو نهج لا غبار عليه، لأن الله تعالى أراد للمسلمين أن يكونوا أعزة، بعيدين عن الذل، وفقهنا يدفعنا بهذا الاتجاه، فمن قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون عرضه فهو شهيد، والمهم في هذه الحركات أن لا تنسى الجانب السياسي، لأن استخدام السلاح هدفه الضغط على الطرف الآخر ليرجع الحق لأصحابه، فإن ظهرت بوادر لهذا فعلى هذه الحركات أن

تعطي الفُسحْة والمجال، لأننا لا نهدف من حمل السلاح إسالة الدماء، ولكن السلاح إنما كان لرفع الظلم.

ولسائل أن يسأل: ألا يشمل هذا النهج تنظيم (القاعدة)؟.

لقد كان هذا التنظيم على أرض أفغانستان لمقاومة الغزاة الروس، وفي تلك الفترة كان تنظيماً جهادياً، لكنه تجاوز هذا بعد خروج الروس، واتجه نحو مقاومة الوجود الأمريكي في كل الأقطار، وبخاصة في جزيرة العرب، فنظم الشباب المتدين، واستخدمهم للتفجيرات والاغتيالات ونحو ذلك. هذا النهج لا نقره ولا نراه نهجاً إسلامياً، بل هو نوع من الثورة الاستنزافية المسلحة، حيث يقتل بعمى، وقد رأينا عمليات لهم راح ضحيتها عرب ومسلمون وأبرياء. وحتى الوجود الأمريكي فإنه إذا كان بناء على اتفاق مع الأنظمة القائمة، فالحل هو ممارسة الضغط السياسي والشعبي على الأنظمة، والمطالبة بخروج هؤلاء، ونستثني من هذا الحالة العراقية، حيث الاحتلال الواضح الذي أقرت الشريعة والقوانين الدولية بمقاومته لأنه احتلال.

إن عمليات القاعدة سواء كانت في واشنطن ونيويورك أو في إفريقيا أو السعودية أو تركيا إنما هي أعمال لا تخدم الإسلام والمسلمين بل تعود عليهم بالضرر الكبير، ولا تؤدي إلى نتيجة إيجابية، فقد راح عدد من الأبرياء وأعداد غفيرة من الجرحى، وامتلأت السجون، وتم التشديد على العمل الإسلامي، واختلط الحابل بالنابل، واستغلت الصهيونية والأنظمة الظالمة هذا الأمر، وشوهت صورة الإسلام، وعاشت الجالية العربية والمسلمة في بلاد الاغتراب في أجواء صعبة، بل تم الاعتداء على المسلمين في بعض الساحات.

إن مواجهة أمريكا لا تتم عبر تنظيم، لأن دولاً كبرى تعجز عن ذلك حيث نرى في الساحة الدولية كيف تتجنب الدول القوية مثل روسيا والصين وفرنسا وغيرها هذه المواجهة، فهل يمكن أن يحقق تنظيم أي فائدة لصالح المسلمين؟.

إنني أعتقد أن الصهاينة وأعداء الأمة هم الذين استفادوا من عمليات (القاعدة) وأن المسلمين قد خسروا الشيء الكثير، ويكفي أن أقول: إن دولنا الضعيفة وقعت تحت الضغط الأمريكي، وصارت مهددة في سيادتها ووجودها واستقلالها، ووصل الضغط الأمريكي لمرحلة تغيير المناهج الدراسية، فهل هذا هو الجهاد في نظر (القاعدة)؟.

لقد أصبحت جزيرة العرب في خطر كبير، وصارت بلاد الحرمين عرضة للتقسيم، ولم يخرج الأجنبي منها، بل ازداد وجودهم بدعوى أن الحكومات المحلية وجيوشها وأمنها غير قادر على ضبط الأمور.

سادساً: المنهج اليائس

وردت أحاديث نبوية صحيحة تتحدث عن (المهدي) وخلاصة ما ورد في هذه الأحاديث أن المهدي هو رجل يصلحه الله، واسمه مطابق لاسم الرسول (محمد بن عبد الله) ﷺ، وأنه يحكم من سبع إلى عشر سنين، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وهذا المهدي يختلف بالطبع عما هو عند الشيعة.

لقد قرأ الشباب المسلم أحاديث المهدي، وزاد الاهتمام بالموضوع في نهاية السبعينات، وعقد عدد منهم حلقة علمية، وأقنعوا أحدهم (محمد

عبد الله القحطاني) بأنه المهدي المنتظر، وراودوه في ذلك إلى أن اقتنع، وتحركت هذه المجموعة الواهمة بقيادة (جهيمان العتيبي) السعودي، ومعه عدد من السعوديين والعرب والمسلمين نحو بيت الله الحرام للإعلان عن ظهور المهدي ومبايعته، ولما حصل ذلك حاصرتهم القوات السعودية، وتقاتل الطرفان، وكانت النتيجة عشرات القتلى والجرحى، وتم إعدام أكثر من ستين شخصاً تم القبض عليهم.

إن هذا المنهج هو منهج اليائسين من الإصلاح حيث يقلبون صفحات الفتن في كتب العقيدة والحديث الشريف باحثين عما يمكن أن يؤكد لهم أنه لا مجال للإصلاح، لأن الساعة قد اقتربت، وبالتالي فليس أمام هؤلاء إلا المراقبة دون التأثير.

لقد نسي هؤلاء أن العلم إنما يؤخذ عن العلماء، وليس لأي شخص غير متخصص أن يفسر الأمور كما يشاء، مثلما حصل مع سائق الأجرة (جهيمان العتيبي). كما نسي هؤلاء أن المهدي لا تتم صناعته من قبل تنظيم مسلح، بل هو رجل يهديه الله تعالى، ويقوم بالإصلاح، وليس بالمقاومة المسلحة.

وعلى الإسلاميين أن يكونوا إيجابيين دائماً، كما قال عليه السلام: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)[1] ونحن نرى أن الإصلاح له مجال كبير، ولا داعي للهروب نحو الفتن، مع أن كثيراً من لافتات الفتن قد ظهرت، لكنه صراع الخير والشر الذي سيبقى إلى قيام الساعة.

---

(١) ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٤/٦٣ وقال: رواه البزار ورجاله أثبات ثقات.

سابعاً: منهج المشاركة والتغيير

يدعو هذا المنهج إلى العمل للإسلام من خلال المشاركة في سلطات الحكم القائمة في بلاد المسلمين، ومحاولة تغيير ما أمكن سواء كان ذلك في القانون عبر دخول المجالس النيابية والتشريعية والشورية، وما يقتضيه ذلك من مشاركة في الانتخابات النيابية والبلدية والنقابية والاتحادات الطلابية والعمالية، أو كانت المشاركة بالمشاركة في السلطة التنفيذية (الحكومات) وذلك بتولي الحقائب الوزارية سيراً على نهج يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]، وما يتطلبه ذلك من دراسة الحقائب ذات النفع العام والتأثير، كالأوقاف والتربية والتعليم العالي والإعلام والتنمية الاجتماعية والشباب كمرحلة أولى سيراً باتجاه المشاركة في كل الوزارات، بل السعي لتشكيل الحكومات وليس مجرد المشاركة فيها.

إن هذا النهج يعلن أنه لا مجال للإصلاح إلا أن يقوم المصلحون بالإصلاح بأنفسهم، وليس مجرد مطالبة السلطات بالإصلاح. وعلينا سلفاً أن ندرك أن هذا النهج يعمل بالتدرج، ويدرك دعاته أنهم لن يحققوا كل شيء، ولكن التجربة أثبتت أنه يمكن عمل الكثير، ولنتذكر أن إشعال شمعة في الظلام خير من شتم الظلام.

ثامناً: المنهج الفكري

يرى أصحاب هذا المنهج أن مشكلة المسلمين تكمن في تنقيتهم لأفكارهم مما علق فيهم مما لا يليق التمسك به، أو حتى عرضه على الآخرين.

ولهذا يرى هؤلاء أن المسلمين مدعوون لإعادة إنتاج منظومة فكرية منطقية تشمل رؤيتهم لنظام الحكم، والطريقة التي يمكن أن يحكم فيها الإسلامُ المجتمعَ؟ وما هو موقع غير المسلمين في الدولة المسلمة؟ وأين هو مكان المرأة في ذلك النظام؟ وما هو الموقف على صعيد العلاقات الخارجية مع دول العالم؟ وما هو موقف الدولة الإسلامية من الإعلام والفن؟ وكيف تنظر الدولة لتداول السلطات؟ والانتخابات؟ والمعارضة؟ والتجديد؟ إلى غير ذلك من مسائل أساسية لا بد من الإجابة عليها.

إن هذا النهج يملك من الطرح المنطقي الشيء الكثير، ولكننا نحذر أن تكون المسألة مسألة تنظير مجرد، وكأن الإسلام فلسفة هوائية لا علاقة لها بالواقع والتطبيق.

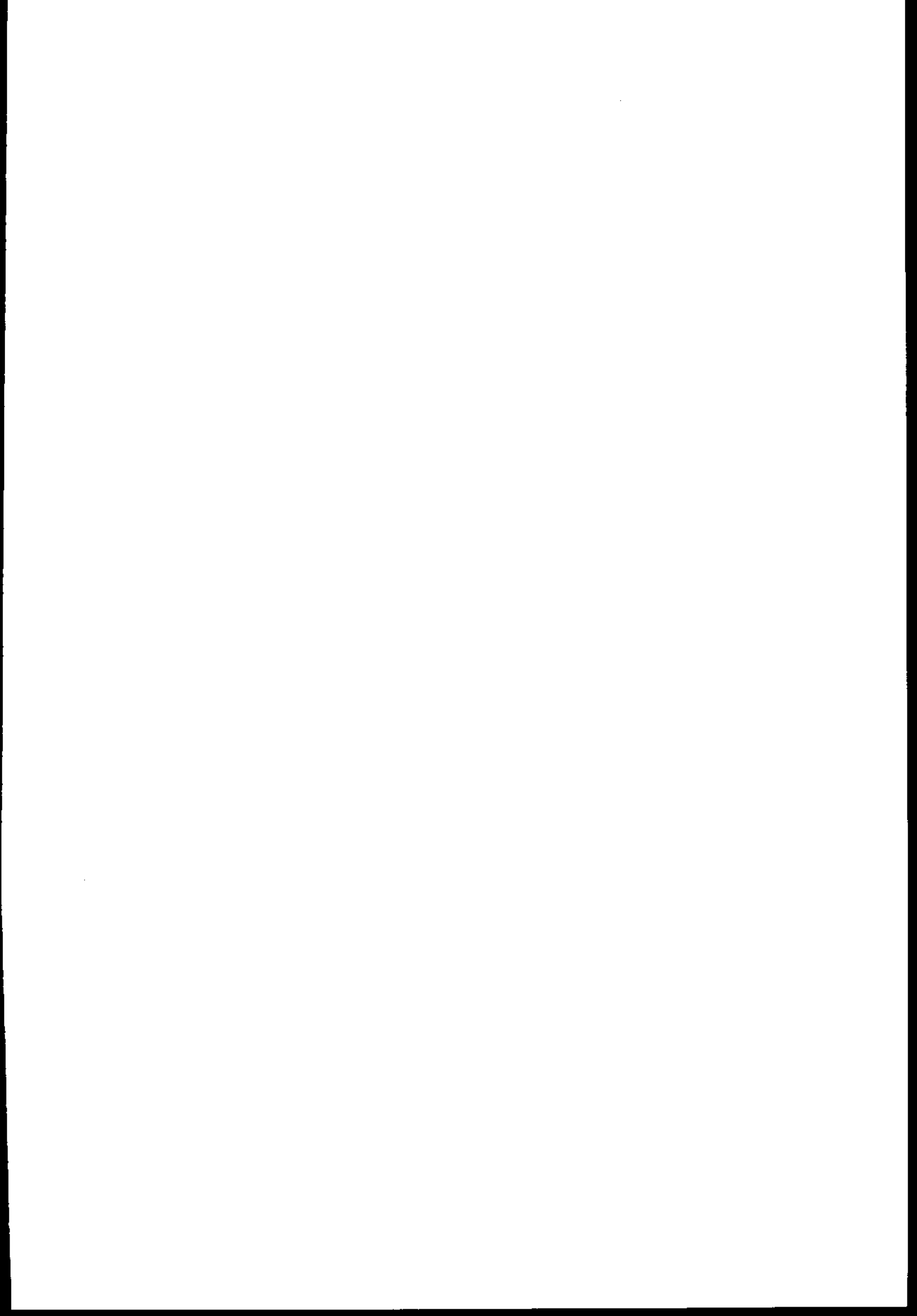
تاسعاً: المنهج الرسمي

يمكننا ربط هذا المنهج بمنهج المشاركة والتغيير، حيث إن بعض دعاة الإسلام يعملون للإسلام من خلال مواقع رسمية تابعة للدول الإسلامية، مثل وزارات الأوقاف، والجمعيات الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والجامعات الإسلامية، وكذلك الهيئات الإسلامية الشعبية كهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ولجنة المناصرة العالمية، وبيت الزكاة الكويتي، ولجنة مسلمي إفريقيا، وإدارات الإفتاء واللجان المسجدية، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي وغير ذلك من اللافتات.

إن هذا الدرب مأمون ومدعوم ولا بد من استغلاله واستثماره، ففيه الخير الكثير مما يلمسه الناس في واقعهم المحلي، ونراه أيضاً في الواقع الدولي وبخاصة أن الدول تخصص من موازناتها المالية شيئاً من المال لهذه الأغراض، وهذا أمر في غاية الأهمية بغض النظر عن نوايا الحكومات من هذه المؤسسات، فالعبرة ما نراه من أثر إيجابي ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

إن هذه المناهج فيها من الإيجابيات والسلبيات، وما كان سلبياً يحتاج إلى نصح من أجل تصحيح نفسها بما يتناسب مع الإسلام.

ولعل هذه المناهج يمكن أن تتعاون وتتداخل، وكذلك فإن الزمان والمكان هو الذي يفرض تناول منهج معين دون آخر، فلا نستطيع أن نفرض على بلاد إسلامية محتلة منهج المشاركة، ولا يستطيع أصحاب النهج الجهادي أن يفرضوا منهجهم على جميع الناس، ولهذا فسنجد أناساً ينهجون أساليب أخرى تساعد المجاهدين، كأن يقوم قوم برعاية الأرامل والأيتام، والقيام على التعليم والدعوة والإرشاد، وهكذا تصبح هذه المناهج متكاملة عوض أن تكون متعارضة متصادمة.



الوحدة الحادية عشر
الأنبياء سادة الدعاة

١- نوح عليه السلام

ثالث نبي من أنبياء الله تعالى فقد جاء بعد آدم وإدريس عليهما السلام، وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ (إدريس) بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم. ورد ذكره في التوراة، وذكر في القرآن في ثلاث وأربعين موضعاً وله سورة باسمه، أرسل نوح إلى قومه عبدة الأصنام فرفضوه بشدة. ولنقرأ معاً الآيات الدالة على ذلك ومن ثم العبر الدعوية المستفادة:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ * قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ * وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ

أَردتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ * وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ * ۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ * قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٢٥-٤٩].

الدروس الدعوية المستفادة من النص القرآني السابق:

١- إن هذا النبي الكريم قد أرسل إلى قومه، وبهذا يفترق عنه محمد ﷺ

أنه بعث للناس كافة، ولا نعني بذلك أن الرسول محمداً ﷺ لم يبدأ بقومه، بل خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهذا منطق الأشياء أن يبدأ الإنسان بنفسه، ثم أهل بيته وجيرانه، فعشيرته وقومه، لقد كانت الرسائل الإلٰهية للأنبياء قبل محمد ﷺ محصورة في قوم كل نبي، وهٰذا ملاحظ في السرد القرآني لقصص الأنبياء عليهم السلام.

٢- أن المنطلق الذي يدفع الداعية لدعوة الناس إنما هو خوفه عليهم ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [هود: ٢٥] وهذا يعني أنه يتمنى لهم الهداية، ويخلص لهم في النصح، ويدعو الله لهم بالهداية، وبالتالي فلا مجال لغلظة ولا قسوة معهم.

٣- أن طبيعة الكافرين القَسوة والغلظة والفظاظة والاتهام للمؤمنين، فهم في رأيهم ﴿ أَرَاذِلُنَا ﴾ ﴿ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ ولا رأي لهم ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ وهذه ماكنة أعداء الإسلام عبر التاريخ، يصفون المؤمنين بأوصاف النقص، ويلصقون بهم الشتائم، فتارة ساحر، وتارة مجنون، وثالثة رجعي، ورابعة إرهابي، وهكذا في شتائم لا تنتهي.

٤- أن الدعوة الإسلامية تعرض نفسها ولا تجبر الآخرين على اتباعها ﴿ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا ﴾ [هود: ٢٨] ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] فالواجب هو الدعوة والبيان: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ [المائدة: ٩٩] ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] والحساب عند الله: ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴾ [الشعراء: ١١٣].

٥- أن الداعية لا يهدف للحصول على فائدة مادية من المدعو ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [هود:٢٩] وفي آية أخرى ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [الأنعام:٩٠] وهذا أمر في غاية الأهمية، لأن الداعية هو الذي يعطي، ولم يتصل بالمدعو ليأخذ، والداعية يدرك تمام الإدراك أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وإذا سمح الداعية لنفسه أن يفتح يده للحصول على شيء من المدعو فقد سقط من عينه.

٦- إن عقلية الباطل تنظر إلى الناس على أنهم طبقات بناء على المال أو المنصب، بينما دعوة الإسلام لا تفرق بين الناس إلا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] ولهذا طالب قوم نوح نوحاً أن يطرد الفقراء لكنه أبى بشدة ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ وعلل ذلك بأن الله سيعاقبه إن فعل ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ [هود:٣٠].

وهٰذا درس كبير للدعوة الإسلامية أنها لا تطرد أبناءها وأتباعها، حتى لو وقعوا في الخطأ والمعصية، ولنا في سلوك رسول الله ﷺ أسوة حيث إنه لم يطرد حاطب بن أبي بلتعة.

٧- أن الداعية يثق بأمر الله وتوجيهه حتى لو كذبه الناس، فقد أمر الله نوحاً أن يصنع سفينة دون وجود بحر ففعل، ولم يلتفت لاستهزائهم، لأنه مرتبط بأوامر الله التي تحول دون اعتباره لكلامهم الساخر.

٨- أن المؤمنين مصيرهم واحد، ويجب أن يكونوا في مركب واحد مع بعضهم البعض؛ لأن ذلك طريق النجاة ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾ [هود:٤٠] وقد أكد لنا محمد ﷺ ذلك بقوله: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية

والناحية، فإياكم والشِّعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد»[1].

٩- أن مركب المؤمنين يسير باسم الله، وعلى المؤمن أن يبدأ كل أعماله باسم الله، وليس ذلك محصوراً في الأكل والشرب بل في كل شيء.

١٠- أن علاقة الداعية بأهله علاقة وطيدة إذا تباركت بالإيمان، أما إذا وقع الخلاف في الاعتقاد فعندئذٍ تصبح رابطة العقيدة مقدمة على رابطة الدم ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: ٤٦] فهو ليس أهلاً أن يكون معك، فهي إرادة الله في نهاية المطاف حتى لو بذل الدعاة جهدهم، فقد بذل نوح جهده في هداية ولده دون جدوى.

١١- أن نوحاً عليه السلام قد حصد عدداً قليلاً من المستجيبين لدعوته ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]، وهنا يجب على الدعاة أن لا يشعروا باليأس إذا أعرض الناس عنهم، بل عليهم أن يكونوا على يقين بقوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤] ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

١٢- أن نوحاً عليه السلام قد نادى ابنه، وهذا درس للدعاة أن ينادوا أبناءهم وبناتهم وأهل بيتهم، والمناداة تكون بصوت عالٍ، لأن الأمر جد خطير، وهو صوت يدل على حرص نوح على ابنه، ولكنها إرادة الله، وهذا من الابتلاء الذي يعرض للداعية، حيث يفقد أقرب الناس إليه دماً بسبب الاختلاف في المعتقد.

إن الدعاة مطالبون ببث الدعوة في بيوتهم مع آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأقربائهم، لأن ذلك هو نهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

---

(١) انظر مسند أحمد ٥/ ٢٣٣.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ* يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا* وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا* ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا* ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا* فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا* مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا* أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا* وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا* وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا* وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا* لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا* قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا* وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا* وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا* وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا* مِّمَّا خَطِيٓـَٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا* وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا* إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا* رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [سورة نوح].

العبر الدعوية المستفادة من السورة:

١- أن الداعية يغري المدعو بالمغفرة ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٤] فالمدعو قد يكون معانياً من آثار الذنوب والمعاصي، وبالتالي فهو بحاجة ماسة لمن يفتح له باب الأمل والرحمة والمغفرة، علينا أن نبشر الناس بأن الله تعالى يقبلهم إذا عادوا، وأنه يغفر جميع الذنوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

٢- أن الداعية لا يكل ولا يمل، بل يعمل في دعوته ليلاً ونهاراً، يستغل كل دقيقة في عمره، لعل الله يرضى عنه ويهدي العباد على يديه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: ٥].

إن الدعاة مطالبون بمراجعة أوقاتهم، هل يستغلونها كما يجب؟ وهل يصرفونها فيما يعود عليهم وعلى الناس بالخير؟ ولا يجوز أن يخطر ببال الداعي أنه لديه وقت فراغ، بل عليه أن يعتقد أن الواجبات أكثر من الأوقات، فيستغل وقته، وعليه أن يعين الآخرين على استغلال أوقاتهم، ولنتدبر قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: تفرقوا، ولا تأكلوا أوقات الناس بعد أن أكلتم طعامهم.

٣- على الداعية أن يذكر المدعوين بنعم الله تعالى عليهم، حيث خلقهم في أحسن تقويم، وجعل لواحدهم عينين ولساناً وشفتين، وهيَّأ لهم الأرض، فأنبت فيها الزرع، وجعل فيها الماء، وسخر لهم الحيوانات وغير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [ابراهيم: ٣٤] كما أن الداعية مطالب أن يذكرهم بأن استجابتهم لدعوة الله تعني المزيد من النعم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٤- على الداعية أن يلاحظ شدة تمسك أهل الشرك بشركهم وعنادهم ودفاعهم عن أصنامهم وحراستهم لها ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ . . . ﴾ [نوح: ٢٣]، ولكن العاقبة للمتقين، وستذهب الأصنام، وسيذهب أهلها ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا . . . ﴾ [نوح: ٢٥].

٥- على الداعية أن يفكر باستمرار في نجاته في الآخرة ويبقى على الأمل

برحمة الله تعالى، فيطلب منه ويلح في الطلب ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

العبرة الدعوية:

إذا كان هٰذا النبي الكريم يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة لم يمل، ولم ييأس، وإنما دعا عليهم بعد أن أخبره الله أنهم لن يؤمنوا، ولولا ذلك الإخبار لاستمر يدعوهم إلى ما شاء الله. وعلينا أن نلاحظ أنه كان يدعوهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، أفراداً ومجتمعين، ومع ذلك كله لم يكِلّ ولم يمل. وهذا درس عظيم لنا نحن الذين ندعو للإسلام بأن نصبر ونصابر، وأن نستمر في دعوة الناس، ولا يصيبنا الملل إذا لم يستجيبوا فوراً. وليس لنا أن ندعوا عليهم؛ لأننا لم يأتنا وحي بأنهم لن يؤمنوا كما حصل مع نوح عليه السلام.

٢- إبراهيم عليه السلام

هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاذ بن سام بن نوح. وفي القرآن الكريم ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [الأنعام: ٧٤] فقال بعض المفسرين: إن اسم والده (آزر)، وقال آخرون: إن تارح هو آزر، أي: أعرج[١]. وقال فريق ثالث: إن آزر اسم لصنم كان قومه يعبدونه.

وفي القرآن الكريم سورة باسمه، وهو أبو الأنبياء، فمن نسله إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم السلام أجمعين، ولهذا نجد اليهود والنصارى والمسلمين كلهم يؤمنون به.

لقد جاء إبراهيم عليه السلام إلى قوم يعبدون الأصنام فلنقرأ قصته معهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ * رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ * رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١].

---

(١) انظر قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار ص٧٠ ط٣ - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

العبر المستفادة من الآيات السابقة:

١- أن الداعية شديد التعلق بربه يدعوه باستمرار، ويطلب منه، فربنا عز وجل هو الذي يغير الأحوال ويقلب الأشياء، وينبغي للدعاة أن تكون دعواتهم شاملة للنفس والذرية والأتباع والبلاد، فقد دعا إبراهيم عليه السلام بالأمن للبلد بأن يحفظه الله ويحفظ فيه ذريته وختم بطلب المغفرة له ولوالديه ولكافة المؤمنين.

٢- عمق عقيدة الداعية فهو شديد الحساسية من الأصنام وعبادتها من قبل الجهال، ولهٰذا عليه أن يحمل عقيدة واضحة تدرك خطورة الأصنام وآثارها السلبية على الناس، سواء كانت أصناماً حجرية أو غير ذلك.

٣- أن الداعية يسير على نهج الولاء والبراء، فهو ولي للمؤمنين ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٦] ويدعو له بالمغفرة والحفظ والرزق، أما الآخر فإنه يتبرأ منه، ويكل أمره إلى الله تبارك وتعالى.

٤- على الداعية أن يحرص على أن تكون له ذرية طيبة، وعليه أن يدعو الله تعالى أن يحفظها، عن طريق الاعتراف بأنها هبة من الله، وعليه هو أن يقوم بواجبه التربوي تجاهها.

ومن الآيات التي تتحدث عن إبراهيم عليه السلام قوله عز وجل:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ * قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ

إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥١-٦١].

ويفهم من هذه الآيات ما يلي:

١- أن إبراهيم كان صاحب رشد مبكر، وعلى الدعاة أن يبكروا في دخول مرحلة الرشد حتى يستثمروا أوقاتهم، وأن لا يضيعوا الوقت تحت عنوان الشباب وفترة المراهقة، بل لا بد من الاستفادة من كل العمر في طاعة الله تعالى. وعلينا أن نلاحظ أن إبراهيم كان (فتى) وأن أصحاب الكهف كانوا (فتية).

٢- على الداعية أن يكون واضحاً مع المدعوين، وأن يبين لهم أن هذه الأصنام ضلال، وعبادتها شرك، وهذا من الوضوح المطلوب، وبالطبع فإن ذلك لا يعني بحال من الأحوال الغلظة والقسوة، ولكن المجاملة في هذا غير محمودة ولا مشروعة.

٣- أن الداعية صاحب إيمان عميق، فهو يعيش يقين الإيمان بالله، ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٦]، فلا بد أن يكون الداعية واثقاً من عقيدته، مطمئناً لإيمانه، لا تساوره الشكوك، ولا تعْلق به الشبهات.

٤- أن الهدف البعيد للداعية هو تخليص الناس من الأصنام، وإذا استطاع تحطيمها فعليه أن يفعل ذلك؛ لأنها سبب ضلال الناس ﴿ فَجَعَلَهُمْ

جُذَاذًا. . .﴾ وقد قام بهذا أيضاً محمد ﷺ يوم فتح مكة، وصارت السطوة والسيطرة للمسلمين. وقد فصلنا هذا حينما تحدثنا عن فقه الإنكار.

٥- أن حجة إبراهيم مع قومه كانت في غاية القوة والإقناع والتحدي ولهذا قال لهم: ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فأفحمهم وأسكتهم وجعلهم يراجعون أنفسهم. إن هذا درس كبير للدعاة أن يكونوا أصحاب حجة قوية، فسلاحهم الدليل، ومنطقهم الصواب والصدق، وجدلهم قذائفُ حقٍّ يُدمغ بها الباطل فلا يملك تجاهها الخصم سوى التسليم والصمت.

ولا بد ونحن نتحدث عن إبراهيم عليه السلام أن نتوقف عند مواقفه التوحيدية:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ* وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ* وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ

وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٧٤-٨٣].

ونلاحظ في هذه الآيات دروساً عظيمة منها:

١- أن إبراهيم قد وجه الدعوة لوالده الذي ارتبط بالأصنام، وهذا درس كبير حيث نجد بعض الدعاة ينتسبون لأهل معاكسين ومعاندين للإسلام، فقد يكونون غير مؤمنين، أو مسلمين اسماً، فلا صوم ولا صلاة، وقد يكون خُلقهم الفجور والمعصية، وبالتالي فإن الداعية قد يشعر بالضيق، وقد يتعرض للأذى من أهله، فما عليه إلا أن يوجه لهم الدعوة، وليتذكر أن إبراهيم كان ابناً لرجل مشرك أصر على شركه ومات عليه.

٢- أن إبراهيم عليه السلام ومن منطلق أنه صاحب حجة قوية واستدلال منطقي، أراد أن يتدرج مع قومه وهم عبدة النجوم والأصنام، فمثل دور الواحد منهم الذي قد يعجبه الكوكب فيعبده ثم ينتقل إلى القمر فالشمس ويبين رفضه لعبادة هذه الأشياء بسبب أنها (تأفل) أي: تختفي، وبالتالي ليس أمام الإنسان إلا أن يتوجه لعبادة الله فاطر هذا الكون ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. وهنا لا بد أن أؤكد أن هذه الآيات لا تتحدث عن تدرج إبراهيم نحو التوحيد، ولكنه عرضٌ لحال قومه، فالأنبياء لا يشركون، وهم معصومون قبل الرسالة وبعدها.

٣- أن الداعية يتمتع بالأمن، لأنه صاحب إيمان وهما من مصدر واحد فالأمن كل الأمن للمؤمنين، والخوف كل الخوف للمشركين.

ولهٰذا فالمؤمن لا يخاف أصنام المشركين، بل عليهم هم أن يخافوا رب السمٰوات والأرض، إنهم يخافون على أموالهم وأرزاقهم ومناصبهم

وأرصدتهم وأولادهم، فحياتهم كلها خوف ورعب، بينما المؤمن يعيش طمأنينة ما بعدها طمأنينة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ولا بد من التوقف عند إبراهيم المحاور الفريد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ * فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٨٣-٩٩].

وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤].

وهنا نلاحظ ما يلي:

١- أن إبراهيم عليه السلام كان صاحب تخطيط دقيق فقد استخدم التورية، وهي «قول شيء يفهمه الناس بمعنى ويقصد الداعية شيئاً آخر» فقال عن نفسه: إنه مريض ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وهو في الحقيقة ليس مريضاً، إنما أراد أن يتركوه وشأنه، فيذهبوا إلى اجتماعهم، وعندها ينفرد إبراهيم بالأصنام، ويبدأ بالتهكم عليها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ وبدأ يحطمها بيمينه، حتى إذا رجع قومه، وجدوها متناثرة أشلاءً غير الصنم الكبير، وقد كان قادراً على تحطيمه، ولكنه أراد أن يتركه لمزيد من التبكيت

لهم والسخرية بهم ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]. وهنا نؤكد مرة أخرى على ضرورة تسلح الداعي بالحجة البالغة والمنطق القوي.

٢- أن حراس العقائد الفاسدة وعبدة الأصنام لا يتركون المؤمنين الرافضين لهذا الدجل وتلك الخرافات، بل يلجؤون إلى استخدام القوة ضد الدعاة، لأنهم لا يملكون حجة يحاورون بها. وهٰذا ما فعله قوم إبراهيم، وفعله فرعون، وفعله أهل مكة وكل أعداء الأنبياء، وكل أعداء الدعاة قديماً وحديثاً.

٣- على الدعاة أن يكونوا على ثقة بأمر الله، وأنه ناصرهم ومعينهم، وأن الأعداء لن يظهروا عليهم، ولن تكون لهم الكلمة العليا حتى لو نالوا من الأجساد؛ لأن العبرة بعلو الأرواح وانتصار الإرادات، بل يتحقق للمؤمن نصران: نصر انتصار الإرادة، ونصر الفوز بالشهادة إذا نال منه الأعداء.

٣- يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد كان ليوسف أحد عشر أخاً، واحد منهم من أمه وأبيه، وعشرة من أبيه من أم أخرى، وقد كان والده يحبه أكثر من أخوته مما تسبب في حقدهم عليه. وقد كان يوسف من حيث السن أوسطهم، وكان جميلاً حتى إن النبي محمداً ﷺ بين أن أهل الجنة يكونون على جمال يوسف عليه السلام.

وقد ذكر يوسف في القرآن في ست وعشرين آية، وله سورة باسمه، وقد بين الله تعالى في بداية السورة أنها أحسن القصص ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وللاختصار فإننا ندخل مباشرة في العبر المستفادة مع الإشارة إلى الموضع الذي استنبطنا منه الفائدة في سورة يوسف عليه السلام:

١- لقد كانت أحسن القصص؛ لأنها شاملة ومليئة بالفوائد الدقيقة، فهي قصة نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾.

٢- وهي قصة تتحدث عن الحب الذي ملأ قلب الوالد تجاه أحد أولاده، ومما لا شك أن هذه مسألة اجتماعية تربوية، إذْ على الآباء مراعاة غيرة أولادهم بعضهم من بعض، كما أن الأبناء مدعوون للتأكد من أن الآباء يحبون كل أولادهم، ولكن الميل لواحد منهم ربما لسلوكه الطيب وطاعته قد يدفع الوالد لهذا الحب، وهو أمر عادي، ولكن على الوالد أن لا يميل ميلاً واضحاً يزرع في بقية الأبناء الكراهية لأخيهم. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف: ٨].

٣- وهي قصة تتحدث عن كيد الإنسان للإنسان، بل لأخيه، وكيفية التخطيط الماكر، ولهذا على الإنسان أن يتصف بالحذر، وأن يكون يقظاً، وليعلم الماكرون أن العاقبة للمتقين، وأن الجرائم مهما حاول أصحابها إخفاءها فلا بد أن تنكشف، قال تعالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: ٩] ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠].

٤- وفي القصة تظهر رعاية الله تعالى للمؤمن، فقد كان يوسف في بئر لا يحيط بها الناس، وهو في ظلامها ينتظر الموت جوعاً أو بخروج هوام الأرض من أفاعي وعقارب لقتله، ولكنها إرادة الله. إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون. على الدعاة أن يكونوا على يقين برعاية الله لهم، فها هو طفل صغير ملقى في بئر ينجيه الله، بل يرفعه إلى أعلى المواقع، تماماً كما حصل مع غيره من الأنبياء، فإبراهيم يُلقى في النار فينجو، ويكون موسى طريداً، ويتشكك قومه بنصر الله، وإذْ بالبحر ينفلق أمامهم ويغرق عدوهم، ويونس في ظلمات الحوت والبحر وإذْ به يحمل إلى الشاطىء، ومحمد عليه السلام في ظلام الغار وإذْ به ينجو، وتغوص أقدام خيل مطارده، إنها سُنة الله ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

٥- والقصة تعرض نظام الرق الذي كان سائداً، حيث يباع الإنسان ويشترى، وبثمن بخس دراهم معدودة، وهنا نكتشف عظمة الإسلام الذي حارب الرق، ولم يعد هناك رقيق بالصورة القديمة إلا ما ندر. قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠].

٦- وهي أحسن القصص لأنها تحدثت عن قدر الله تعالى تجاه أوليائه،

فهو الذي يرعاهم، ويسوق لهم المقادير ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فقد انتقل يوسف من ظلمات البئر إلى قصر الملك، ومن فقد الطعام إلى أطيبه، ومن خوف العقارب إلى حراسة ملكية، كل ذلك بكلمة حنان وعطف وحب ألقاها تعالى في قلب زوجة العزيز.

٧- وهي قصة تتحدث عن الفتنة، فتنة المرأة بالرجل، وهذا يذكرنا بأحكام الإسلام في الحجاب، وغض البصر، وعدم الخضوع بالقول، وضرورة أن يعف الإنسان نفسه بالزواج، وضرورة إبعاد الجنسين عن الاختلاط قدر الإمكان. وهذا أخطر ما يواجهه الدعاة وبخاصة في زمننا هذا، حيث الفتنة في الشارع والبيت والفضائيات والصحف والجامعة والسوق، حتى إن الأمر يكاد يخرج عن المعقول، فليحذر الدعاة فإنه كائن منها ما هو أشد ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٤] ومن تعلق بالله فإن الله يحفظه ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٤].

٨- والأهم كيف واجه يوسف عليه السلام هذه الفتنة: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣] فقد خضع للتهديد بالسجن بعد أن لم ينفع معه الإغراء ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف: ٢٣] فماذا كان جوابه؟ ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٢٣].

إن نجاح الداعية إذا تعرض لما يشبه ذلك أن يقول: (معاذ الله) ولماذا (معاذ الله)، السبب ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ [يوسف: ٢٣] أفبعد هذه الرعاية الربانية والصناعة على العين، يسقط الداعية أمام امتحان لا أقول: سهلاً، ولكنه ممكن التجاوز إذا استشعر الداعية رقابة الله، وإذا أصر على الإرادة

المؤمنة في نفسه، وهنا نذكر بما بشر به النبي محمد ﷺ من أن «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. . . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله»[1]. لقد استحق أن يستظل بعرش الرحمن، لأنه سار على درب يوسف الذي قال: (معاذ الله) وفضل السجن على ممارسة الفاحشة.

٩- كما أن في قصة هذه المرأة ما يدعو إلى فهم واقع هذه البيئات، فقد تكون ذات منصب وجمال ومع ذلك يسوقها هواها إلى ما لا يليق، لأن الإنسان هو الإنسان بشهوته إذا أطلق لها العنان سواء كان غنياً أو فقيراً، زعيماً أو وضيعاً، حاكماً أو محكوماً. ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ ﴾ [يوسف: ٣٠].

١٠- وتنبئك قصته مع هذه المرأة عن مدى ظلم النظام القضائي الذي يخضع لسلطة الحاكم ورغبته، ويصير القاضي متلقياً للأوامر بالقتل أو السجن أو النفي، وينسى أنه يجب أن يكون راعياً للحق باحثاً عن الحقيقة، والتي ظهرت في قميص يوسف الذي قُدَّ من الخلف، حيث كان فاراً منها وهي تشده إلى نفسها. فالدليل واضح، وبشهادة شاهد من أهلها ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٦-٢٨].

---

(١) البخاري مع الفتح ٣/ ٢٩٣ رقم ١٤٢٣ ورواه غيره.

١١- لكن سلطة تلك المرأة كانت فوق الحق، وأعلى من كرامة العزيز (الوزير) نفسه الذي اكتشف الحقيقة، حيث كانت هي المسيطرة وبإصرار ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

ليدخل يوسف السجن لرفضه، فهو سجين شريف، وهو دليل على الظلم، وعلى فساد القضاء، وفساد الحكم، وماذا لو قبل يوسف بمراودتها وأعطاها ما تريد؟ من الممكن أن يسجن بل يعدم، وذلك لاعتدائه على الشرف المصون لزوجة الحاكم التي ستدعي الشرف، وستطلب نجدة زوجها الذي سيظهر رجولته وفحولته وغيرته. أو ستبقي يوسف عندها تحت الطلب. إن القرار الحكيم كان قرار يوسف ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ﴾ [يوسف: ٣٣] نعم يقبل سجناً بشرف، ولا يقبل قصراً بنذالة، يسجن بين جدران السجن، ولا يسجن بين جدران الندامة والحسرة والمعصية وغضب الرحمٰن.

١٢- ضرورة تحلي الداعية بالصبر فقد قال يعقوب عندما أبلغه أبناؤه بكذبهم ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ [يوسف: ٨٣] وهو الصبر الذي ليس معه شكوى، وهو الصبر الذي تكون عاقبته الفوز والنجاح وقطف الثمر، فقد عاد ليعقوب ابنه وفي أحسن حال، وصَبَرَ يوسف على إخوته وعلى ظلم الظالمين وطول السجن، ولكن العاقبة كانت له كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] وكما تمتع يعقوب بالصبر الجميل كان يوسف على نفس الدرب ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾ [يوسف: ٨٤].

١٣- على الداعية أن يستثمر وقته فلا يضيعه، وها هو يوسف عليه السلام يستغل وجوده في السجن ليدعو المساجين، ويعرفهم بدينه، ويبطل ما هم عليه من دين ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ* مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

١٤- ونلاحظ هنا فطنة الداعي حيث إن السجينين قد سألا يوسف عليه السلام عن منامين رأوهما فلم يجبهما مباشرة، بل احتفظ بالإجابة حتى يعرفهما بالدين، وبعد ذلك قدم لهما تفسيره للمنامين، وهذه حكمة واضحة إذْ لو أجابهما مباشرة، فلربما لم يستمعا لبقية الحديث منه.

١٥- وعلى الداعية أن يتسلح بأية معرفة قد تفيد الناس، فمعرفة يوسف بتفسير المنامات هي التي جعلت السجينين يلجآن إليه، وتفسيره المقنع هو الذي دفع أحد السجينين لذكر هذا العلم أمام الملك الذي احتاجه بدوره في تفسير منام له.

١٦- أنّ قدر الله تعالى يرعى الداعية ويرتب له الأمور، فها هو الملك يرى مناماً يزعجه، ويبحث عمن يفسره فلا يجد، وتنحصر حاجته عند يوسف وهو في سجنه، ومن قدر الله تعالى أن يكون المنام ذا علاقة بالاقتصاد والمال، ويسمع الملك بتفسير يوسف عليه السلام فيعجب به، ويطلبه بتعبير فيه الحرص عليه ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [يوسف: ٥٤] ويصير يوسف وزيراً للاقتصاد والمالية؛ لأنه أمين، ولأنه قوي، ولأنه أخبر عن سنين قادمة تتعلق بالزراعة والاقتصاد.

١٧- أن قبول الداعية الموقع المسؤول فيه فائدة كبرى للمجتمع، وتخلي الدعاة عن المواقع يعني أن يتولاها الفاسدون المفسدون، قال تعالى: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]، وبهٰذا تمكن في الأرض ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ٥٦].

١٨- على الداعية أن يكون ذكياً في إدارة علاقاته بالآخرين، فقد استغل يوسف عليه السلام حاجة الملك إليه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ [يوسف: ٥٤] لكن يوسف اشترط فقال: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٠]. وهدفه من ذلك إيضاح الحقيقة، والحصول على البراءة من أعلى سلطة، واعتراف المجرم الفاعل ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ٥١].

١٩- على الداعية أن يكون كبير القلب يصفح ويعفو، وها هو يوسف عليه السلام يقول لإخوته الذين حاولوا قتله، وتخلصوا منه، وألقوه في البئر، وتسببوا في فقد والده للبصر، وسمع يوسف منهم الكذب والافتراء، ومع كل ذلك قال لهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ [يوسف: ٩٢] بل ذهب أبعد من ذلك فقد دعا لهم بالمغفرة ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

٢٠- أن الداعية يستذكر باستمرار نعم الله تعالى عليه، ولا ينبغي له أن يسهى عن ذلك لحظة ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ [يوسف: ١٠١].

٢١- أن الداعية مهما علا منصبه، وعظم موقعه، وكثر ماله، لا ينسى أنه راجع إلى الله، وعليه أن يردد دائماً دعاء يوسف عليه السلام ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

٢٢- على الداعية أن يكون ذكياً في عمله، فقد صنع يوسف عليه السلام حيلة ليأخذ أخاه ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠] وحينما بدأ بالبحث لم يبدأ بوعاء أخيه ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٧٦] وهذا الكيد بتوفيق من الله ولهذا قال عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٧٦].

٤- موسى عليه السلام

موسى بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب، أمه يوكابد بنت لاوي، وشقيقه هارون، وهو أحد أولي العزم الخمسة، وقصته أطول القصص في القرآن الكريم، فهي تتحدث عن ظلم طاغية ادعى الألوهية (فرعون)، وتتحدث عن الإذلال الذي تعرض له بنو إسرائيل، وكيف أن الله تعالى قد أرسل نبيين لإنقاذ هذا الشعب، ولدعوة هذا الطاغوت، فلنستمع إلى القصة من بدايتها، كما وردت في سورة القصص.

قال تعالى: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ * وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ * فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا

رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ
عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ
لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ * وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ
إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا
يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن
يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ
وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ
خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ *
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ
عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ
نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ
ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ

عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ * ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣-٣٥].

هذه هي قصة بيئة الظلم والغطرسة، ومن ثم قصة الطفولة ومقادير الله تعالى ونصرة المظلوم، والتشرد والرزق والتكليف بالرسالة، وفي هذه كلها عبر ودلالات دعوية منها:

١- أن دولة الظلم التي يقودها طاغية ظالم لا يمكن أن تستمر، بل إنّ الله تعالى لأنه (القيوم) لا يرضى بذلك، وبالتالي يدبر لهذا الظالم زواله ولو بعد حين، حيث كانت عاقبة فرعون الغرق كما سيأتي.

وعليه فإن الدعاة يجب أن يكونوا مطمئنين إلى أن دولة الظلم ساعة، وأنها لا يمكن أن تستمر، ولكن الله لا يعْجل لعجلة أحدنا، بل له مقادير، وقد يكون دمار تلك الدولة الظالمة على يد أجيال قادمة لم تولد بعد.

٢- أن الحاكم الظالم يستخف بالشعب الذليل ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] بل وصل به الحد أن يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وعلى الشعوب أن لا تقبل بهذا، وكلما كانت مؤمنة كانت عزيزة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

٣- أن الجموع تحتاج إلى قيادة مؤمنة تقودها، وبغير ذلك سيستمر الذل والهوان، ومن هنا فإن إرادة التغيير يجب أن تكون حاضرة، ولا بد أن ينْظم عقد اللؤلؤ خيط جميل، وهذه هي القيادة الصالحة.

٤- أن أنظمة الظلم تقوم على قتل الرجال، واستحياء النساء، وإذا كان فرعون القديم يمارس ذلك جسدياً، فإن فراعنة العصر يقتلون الرجولة في الرجال، فإذا حصل ذلك تحول الرجال إلى نساء، وبالتالي لا ضرر من بقائهم واستمرار حياتهم، لأن وجودهم لا خوف منه، كما قال الشاعر:

ومن عجبٍ أن الصوارم والقنا ... تحيض بأيدي القوم وهي ذكور

وأعجب من ذا أنها بأكفهم ... تأجج ناراً والأكف بحور

٥- يقرر القرآن الكريم حقيقة عن فرعون بأنه كان من (المفسدين)، وهنا يجب أن يتوقف الدعاة عند محطة تؤكد عليهم على ضرورة معرفة الواقع، وبخاصة الذين يقودون الفساد السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي، لأن هؤلاء يملكون سلطة ومالاً، ويلقون بالأوامر، وبالتالي فإن خطرهم عظيم، وأثرهم بالغ. ولا يقف الأمر عند حدود معرفة الدعاة لذلك، بل من أجل التحرك للقضاء على الفساد، لأن الله تعالى لا يحب المفسدين.

٦- إن فرعون قد علا ولكنه علو (في الأرض) وبالتالي هو علو في غير مكانه؛ لأن العلو الحقيقي هو علو الله تعالى، أما البشر فمهما تصنعوا العلو فإنهم (على الأرض) ونهايتهم (في الأرض).

٧- أن سياسة الفراعنة وكل طغاة الدنيا أنهم يسعون إلى تقسيم الناس شيعاً لتتم السيطرة عليهم، وهي السياسة التي رسخها الاستعمار الانجليزي «فرّق تسد» وآثارها واضحة للعيان فيما نشاهده من وضع العالم الإسلامي

والعربي. فعلى الدعاة أن يتنبهوا لذلك، وأن يتبعوا سياسة مضادة وهي «وحّد تنتصر» قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٨- أن الله تعالى صاحب الفضل والمنة، يمن على عباده أفراداً وجماعات بالخير والفضل وتغيير الأحوال نحو الأفضل، وهو ما حصل مع بني إسرائيل ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٥] بل أبعد من ذلك ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٥-٦] فعلى الدعاة أن يثقوا برحمة الله وفضله وتدبيره لهم.

٩- أن الله تعالى يلقن الطغاة عبر الزمان والمكان دروساً ينسونها بسبب الغطرسة والكبر ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [القصص: ٦] وإذا كان فرعون هٰذا مصيره لأنه ادعى الربوبية والألوهية، فالأسوأ منه مَنْ صدقه وقبل به وطبّل له «هامان» والأتعس منهما أولئك الجنود الذين كانوا أدوات بيد الطاغية يضرب بهم عباد الله. ولنا أن نتساءل عن سرّ قوة الطاغوت لولا هؤلاء الذين حوله يذلون أنفسهم ويذلون الآخرين، وهم يدركون أن نهاية المطاف ليست لهم ولا لزعيمهم، بل العاقبة للمتقين ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

١٠- أن نبي الله موسى هو أحد المهددين من الطاغية فرعون حتى وهو طفل صغير ضعيف، لأن السياسة العامة قتل الذكور، وهنا نرى رقابة الله للداعية وكيف صنعه الله تعالى على عينه ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] فقد ألهم الله أمه أن ترى طفلها لتكون رعايتها جزءاً من رعاية الله تعالى.

١١- وأول رعاية تقوم بها الأم هي «الإرضاع» ذلكم الرابط المادي والمعنوي في آن واحد، فالمسألة ليست حليباً وأي حليب، بل حليب الأم الذي أظهرت الدراسات العلمية أنه طعام ما بعده طعام، فهو خال من كل الجراثيم التي يمكن أن تكون في غيره، فهو في حفظ رباني. وهي ترضعه مع الحليب حناناً من قلبها، وليست المسألة مسألة طعام ولهذا ﴿ ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص:١٢] فرعاية الله تقتضي أن يكون حليب أمه فقط هو الغذاء. وعلى الداعيات أن يدركن هٰذا الأمر فالمرأة التي تريد ولداً صالحاً يدعو لها، ولداً باراً بها لا بد أن ترعاه حق الرعاية منذ اللحظات الأولى.

١٢- والخوف حالة قد تلحق الإنسان، ولكن الذين يرعاهم الله يخف خوفهم، لأنهم مطمئنون لرعاية الله وحفظه، فها هي أم موسى يطمئنها الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ﴾ ويطلب منها أن ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧] فليس الأمر مجرد عودة الطفل لأمه، ولكنه مستقبل زاهر بأن يصير الطفل رسولاً، فأي خوف سيبقى في قلبها ما دامت هي مطمئنة لله، وقد بشّرها بأن طفلها سوف يكون رسولاً، وهنا نؤكد على ضرورة الثقة بالله وفرجه فهو كاشف الهم والغم وهو سبحانه الذي يغير من حال إلى حال.

١٣- ونبقى مع قَدَر الله تعالى الذي لا يدركه الإنسان لقصر نظره، فها هم آل فرعون يلتقطون موسى الطفل، وهم لا يدركون ولا يعلمون أنهم يلتقطون عدوهم الذي سيكون سبباً لزوالهم ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨]. إن آل فرعون لا يعلمون ذلك بل التقطوه بهدف ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص:٩] ولكن ﴿وَهُمْ لَا

يَشۡعُرُونَ﴾ لأنه سيكون ﴿لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص:٨]. نعم يخطط الناس، ولكنهم لا يعلمون مقادير الله، فليس ما يهدف إليه الناس تتحقق أهدافه بالضرورة بل قد يكون تخطيطهم تدميراً لهم. وهنا نجد الدعاة دائماً على يقين بقدر الله، فإن كان خيراً شكروا، وإن كان الآخر صبروا.

١٤- أنّ الله تعالى هو الذي يثبت المؤمنين ويربط على قلوبهم وهو ما حصل لأم موسى: ﴿إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [القصص:١٠] وهو نفس الربط الذي حصل للفتية في الكهف ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف:١٤]. وهو الذي نتمنى أن يحصل لكل مؤمن صادق مع الله تعالى.

١٥- أنّ الدور الذي قامت به أخت موسى بتوجيه من أمها يؤكد على أنّ المؤمنين والدعاة مدعوون لإتقان عملهم والتخطيط لأهدافهم ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [القصص:١١]، فيجب على الدعاة أن لا يُشعروا خصومهم بما يخططون حتى لا يمكر بهم الأعداء. ونلاحظ ذكاء الأخت، وكيف قدمت اقتراحها حين لم يجد آل فرعون طريقة لإرضاع موسى ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص:١٢] وكان من الممكن أن يكتشف آل فرعون السرَّ، ولكن قدر الله تعالى نافذ رغم ذلك، لأن إرادة الله فوق إرادة الناس.

١٦- ضرورة ثقة المؤمن بوعد الله تعالى الذي وعد أم موسى أن يرد لها طفلها وقد كان ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ [القصص:١٣] فليعلم الدعاة ذلك، وليثقوا بوعد الله الذي

وعد المؤمنين بالنصر إن قاموا هم بنصر الله ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

١٧- وإذا كانت رعاية الله تعالى لموسى طفلاً رضيعاً فإن تلك الرعاية قد استمرت، فالحليب والحنان حاجة للطفل، والحكم والعلم حاجة للدعاة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤] وهذا ليس محصوراً في موسى عليه السلام بل الأمر عام ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤].

١٨- ولأن الله آتاه حكماً وعلماً فقد حُقّ عليه أن ينصر المظلوم، وهذا ما حصل مع موسى في شبابه حيث نصر مظلوماً ضد ظالم، وكان قدر الله أن يموت الظالم بوكزة من موسى لا تقتل في العادة، ولكنها الأسباب التي نراها في لوحة القدر هي تظهر طغيان الطغاة، وإخبار المخبرين، وإخلاص المحبين ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩] ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، نعم القوم يأتمرون، وهم كذلك يفعلون تجاه الدعاة عبر التاريخ، وقد يكون «الخروج» هو الحل الأنسب ولهٰذا خرج موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] وهو ما نراه من خروج كثير من الدعاة من أقطارهم خوفاً من الظلم، حرموا من أهلهم وأوطانهم، ولكننا مطمئنون متأكدون أنهم سيعودون كما عاد موسى عليه السلام، وكما عاد محمد ﷺ، لأنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

١٩- ويكون موسى على موعد مع قَدَر الله تعالى فهو طريد شريد لا أهل ولا معرفة ولا مال ولا جاه، وهذا كله من القدر حتى يشعر موسى بالنقلة

التي ستتحقق له عن طريق حاجة الآخرين له، فهو صاحب حكمة وعلم دفعته ليسأل ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣] وما كان لهذه الكلمات إلا أن تحرك موسى الحكيم الشهم الغيور ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ [القصص: ٢٤] وبعدها دعا الله ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] وكانت الإجابة ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ [القصص: ٢٥].

٢٠- فمن هي التي جاءته ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ [القصص: ٢٥] إنها ذروة في الحياء والخجل، فهي تمشي على الاستحياء وكأن الاستحياء بساطاً تحت قدميها فهي فوق الاستحياء الذي لم يصل إلى مستواها، وهذا قمة عطاء الله لموسى أن يهيىء له امرأة صالحة، وهذا جزء من قدر الله تعالى في هذا المصنوع على عين الله.

٢١- دعاء المؤمن لا يذهب هباءً بل لا بد من الإجابة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وهذا يقين عند موسى عليه السلام حيث إنه قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] وكانت الإجابة ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا ﴾.

٢٢- يجوز للمظلوم أن يقص خبره على من يثق به، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨] ولهٰذا قص موسى خبره على والد المرأتين. كما أنه أراد بذلك أن يعرف بنفسه حتى يطمئن إليه هذا الرجل، ولهذا أثمرت المكاشفة وكلمات الصدق، حيث اندفع الرجل وباقتراح من (إحداهما) إلى عرض الزواج على موسى مقابل خدمته ثماني سنوات أو عشراً، وقد فعل وحصل أن أتم له موسى عشراً، وهي سنوات

اغتراب عن أهله، وكان لا بد من رحلة العودة.

٢٣- أن المؤمن وهو يسير في هذه الحياة لا يعلم مقادير الله تعالى، ولكنه يطمح ويأمل بالخير، وهكذا سعى موسى ليحصل على قبس من النار، أو يجد قوماً يرشدوه، فكان خبر الوادي المقدس حيث الكلام المباشر مع الله تبارك وتعالى والتكليف بالنبوة.

٢٤- أن الداعية يحتاج إلى سلاح الإقناع يحمله في دعوته، وقد كان كل نبي يحمل معجزته ليصدقه الناس، وكانت لموسى العصا واليد البيضاء وبعد ذلك الآيات الأخرى (الدم، الجراد، الضفادع، القمل، . . .).

٢٥- أن الداعية قد يحسب ما سيقوله خصومه ﴿ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص: ٣٣] ولهذا كانت المهمة صعبة، وتحتاج إلى معين وناصر، فكانت نبوة هارون، وهي التي طلبها له موسى في سلسلة طويلة من الطلبات ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٥-٣٦] لقد كانت الإجابة الفورية: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦].

على الدعاة أن يعدوا أنفسهم للمهام التي يتحركون لها، ويحملوا معهم ما يلزم لأداء المهمة حتى يتمكنوا من النجاح.

٢٦- أن النتيجة محسومة لصالح المؤمنين حتى لو كان في الطريق شوك وأشلاء ودماء وتشريد وخوف ﴿ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥]. وهذا ما قرره تعالى سنة دائمة ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ

لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] وما نراه من استضعاف للمسلمين في بعض مراحل الزمن إنما هو أمر مؤقت بسبب قلة الإعداد، أو وجود المعاصي، ولكن الخاتمة والعاقبة للمؤمنين.

٢٧- وفي قصة موسى عليه السلام عبرة ذكاء الداعية وهو يحاور خصمه، فها هو فرعون يشكك في دين موسى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] فيجيبه موسى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] ويسخر فرعون ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٥] ويكرر موسى عقيدته ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] فيسخر منه فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧] ويصر موسى على المعارضة وتقرير التوحيد ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

٢٨- أن اعتزاز الداعية بربه لا حدود له، وهي عقيدة يجب إيضاحها أمام الآخرين فحين سخر فرعون وقال: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ أجابه ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣].

٢٩- أن خصوم الداعية يحاولون إحراجه، فها هو فرعون يسأل موسى ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] فأجابه موسى بوضوح ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] فعلى الدعاة أن يكونوا أذكياء في التعامل مع أسئلة المدعوين وبخاصة إذا كان القصد منها إحراج الداعية، كأن يسألك أحد في هذه الأيام عن اقتتال الصحابة فنقول على طريقة موسى عليه السلام ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [طه: ٥٢] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤].

٣٠- لقد اتهم فرعونُ موسى بالجنون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [الشعراء:٢٧] وهي تهم جاهزة عبر الزمان والمكان لإفلاس الخصم في مواجهة الحق، فيلجأ للشتائم والسباب والاتهام، وقد حصل ذلك مع محمد ﷺ حيث قالوا: ساحر، كذاب، مجنون، يعلمه بشر، ونسوا أنهم قبل الرسالة كانوا يسمونه بالصادق الأمين، وعلينا أن نلاحظ أنهم لم يسترجعوا أماناتهم من عنده بعد النبوة، بل بقيت حتى لحظة هجرته، حيث ردها إليهم عليٌّ رضي الله عنه. وهذا دليل على أنهم لا يثقون ببعضهم وما يقولونه من تهم هي على غير قناعة، بل لتبرير استكبارهم وكفرهم وعنادهم.

وقد أصر فرعون على التهم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٠٩-١١٠] ويا سبحان الله متى كان فرعون يتلقى منهم الأوامر، إنه الذي استمر طوال حياته وهو يقول: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات:٢٤] ولكن الطاغية حينما يشعر بأنه في ضيق وأن سلطته بدأت بالاهتزاز يلجأ إلى منافقة الرعية تماماً كما فعلت ملكة سبأ حينما شعرت بالخطر وإذ بها تقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾ [النمل:٣٢].

ويستمر نفاقهم ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ [النمل:٣٣] فهم لم يعتادوا في الظروف العادية على إبداء الرأي فهل يطلب ذلك منهم الآن؟ ولهذا أعادوا الكرة إليها ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ ﴾.

٣١- أن الطغاة بعد أن يفلسوا يلجؤون لاستخدام القوة، فها هو فرعون الذي استعان بالسحرة ليبطل دعوة موسى وجعل لهم المال والجاه

﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤] يقف مهدداً لهم بعد إعلانهم الإيمان فقال: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣-١٢٤].

٣٢- أن رد المؤمنين على الطغاة المتجبرين يجب أن يكون صلباً واضحاً ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦] وفي تحد أكبر ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه: ٧٢] ﴿ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١].

٣٣- ولهذا فعلى الدعاة أن يوجهوا دعوتهم لزبانية الطغاة ولحاشيتهم ولمن يسير في فلكهم، فلربما في لحظة من اللحظات عاد هؤلاء إلى الحق كما حصل مع السحرة الذين انقلبوا من مطبلين طامعين بالمال إلى متحدّين لفرعون، بل موجهين الدعوة لمن يستمع ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

٣٤- إن الطغاة يستخدمون وسائل الترهيب ومنها السجن ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] وكذا فُعل بنبي الله يوسف عليه السلام، وكذا يهدد الدعاة بذلك. فليفعلوا وليسجنوا كل الشعب المؤمن فهل باستطاعتهم ذلك؟! إن حكاية السجون ما هي إلا إعلان إفلاس

الطاغية حيث إنه لا يملك حجة بل يكشف عن وجهه القبيح بادعاء الألوهية ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى ﴾ [الشعراء:٢٩] وما دام حاكم يتأله فلا بد من الوقوف لله تعالى إلٰهنا وربنا رافضين ألوهية هذا العبد الذليل الذي سيلحقه الموت ولو بعد حين.

٣٥- ويستخدم الطغاة أسلوب تشويه السمعة ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فيا لله متى كان فرعون حريصاً على الدين، وأي دين هذا الذي يجعله يدعي الألوهية، ويستخف القوم، ويقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويعد لهم السجون، ويصلب في جذوع النخل، ويقطع الأيدي والأرجل من خلاف، ويحرك ماكنته الإعلامية ليتهم المؤمنين بالجنون والسفة والإفساد. عن أي إفساد يتحدث الطغاة وهم سادته وقادته وصانعوه؟! إنها التهم الجاهزة في القوالب المُعدّة سلفاً لهذا الغرض المكشوف.

٣٦- لقد ظهر في قوم موسى رجل مؤمن خفي يكتم إيمانه، وهذا دليل كبير على شدة الإرهاب الذي كان يعاني منه الشعب في ظل فرعون، ومع ظهور الأمل، وبروز القيادة المؤمنة، خرج هذا المؤمن ليعلن مبادئه على رؤوس الأشهاد ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ* يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ* وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ* مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ* وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ

ٱلتَّنَادِ* يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر:٢٨-٣٣] نعم لقد أعلن هذا المؤمن الخفي وهو من آل فرعون عن إيمانه وصار داعية يتحمل كافة المسؤولية ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ [غافر:٣٢] بل يدعوهم لاتباعه ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٣٨] ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر:٤١] ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر:٤٢] إن هذا درس كبير على الدعاة وعيه، وأن هناك جنوداً مستترين لله تعالى يخرجهم الله عز وجل في لحظة من اللحظات لنصرة دينه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر:٣١].

٥- يونس عليه السلام

يونس بن متى، قبره في قرية حلحول بجانب الخليل بفلسطين، وهو الذي ارتبط اسمه بنينوى في العراق، وقد ورد ذلك في الحديث الشريف(١).

وقد سُميت في القرآن سورة باسمه، وقصة هذا النبي الكريم قصة داعية فيها من مقادير الله تعالى ما هو عجيب وغريب، ففي البداية لم يحصل يونس على ثمرة جهده الدعوي، وفي الخاتمة كانت الثمرة كاملة، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وقال: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ * فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ * فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ * ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ * وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ * وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٨].

وقال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ * لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ * فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

وقال: ﴿ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴾ [الصافات: ١٤٥].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام حينما جاء عداس للنبي ﷺ في رحلته إلى الطائف.

العبر المستفادة من النصوص القرآنية السابقة:

١- أن الأنبياء وإن كانوا معصومين، فإن الله تعالى سجل عليهم مخالفات معينة كي لا يعتقد أحد أنهم فوق البشر، ولهٰذا كان هذا الخطأ من يونس كما حصل الخطأ من إبراهيم عليه السلام حين كذب بقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وما حصل من موسى ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

٢- أن الخطأ الذي ارتكبه يونس عليه السلام هو عمل اجتهادي، فبعد أن دعا قومه ولم يستجيبوا هجرهم وسافر عنهم، ويمكن تفسير ذلك بأنه ظن أن مهمته قد انتهت، وبالتالي كان منه هذا السفر حيث أصابه الغضب من عدم استجابتهم.

٣- أن المؤمن وهو يعمل ويتحرك عليه أن يعتقد أن لله مقادير لا يعلمها إلا هو، وبالتالي فإن المؤمن مدعو لاستمرار الالتزام بالأوامر الربانية، فها هو يونس يترك قومه، ويظن أن في ذلك راحة له، ولكنها كانت رحلة عذاب شاقة حيث وقعت عليه القُرعة حين عجزت السفينة عن حمل كل الركاب، فكان لا بد من قذف بعضهم في البحر، وكان هذا نصيب يونس. ولو كان يعلم أن هذا مصيره لما ترك قومه ولما صعد إلى السفينة.

٤- وكان نزوله في الماء عقوبة قدرية من الله تعالى له، ولكن رحمة الله تعود إليه، حيث يسخرُ تعالى جندياً من جنوده وهو الحوت ليقوم بمهمة ابتلاع يونس وحمله إلى بر الأمان. وهذا درس عظيم في أن الله تعالى يحفظ دعاته، ويريد لهم الخير، وقد ييسر لهم جنوداً لم يكونوا يحسبون حسابها.

٥- أن نبي الله يونس عليه السلام قد تذكر خطأه، وبدأ يدعو الله تعالى ويذكره وهو في باطن الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد كان لهذا الذكر دوره في النجاة ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

٦- ويستمر قدرُ الله تعالى في حفظ نبيه يونس عليه السلام فليست المسألة أن يحمله الحوت إلى الشاطىء فحسب، بل ينبت الله عليه شجرة تظلله وتحميه من حرارة الشمس ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]، فالجسد المبلل بالماء المالح يكون في خطر عظيم إذا جاءت أشعة الشمس عليه وبخاصة أن صاحب الجسد مغمى عليه نتيجة الرحلة الشاقة في بطن الحوت، وهذه النجاة تكون لكل مؤمن ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

٧- أن المؤمن إذا وقع في الخطأ عليه أن يرجع إلى الصواب، فها هو يونس بعد وقوعه في الخطأ ورؤيته لقدر الله اللطيف بحقه، يعود من جديد للدعوة ويقطف ثمرة كبيرة ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨].

٦- عيسى عليه السلام

الرجل الوحيد في العالم الذي ليس له أب هو عيسى ابن مريم معجزة عجيبة، وحادثة فريدة، إذْ كيف تحمل عذراء دون أن يكون سبب ذلك اتصالاً مع رجل؟ إنه أمر غير معهود! لقد اتهم اليهودُ مريمَ وابنها عيسى بالفحش، فمريم زانية وعيسى ابن للزنا!. والحقيقة أن قصة عيسى ومريم معجزة من معجزات الله تعالى فهو على كل شيء قدير، فقدرته لا تحد بحدود، فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر دون أنثى، وها هو عيسى من أنثى دون ذكر.

إنه ابتلاء لعيسى ومريم معاً، فكيف ستكون المواجهة مع الناس؟ ما هي حالة الأنثى أمام مجتمع عرفها بالطهر والعفاف، وما هي حالة هذا الطفل الذي يرى لجميع الأطفال آباء ولكنه الوحيد الذي ليس له أب. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ* ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ* فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٧] ولقد اصطفى مريم واختارها فلم يحصل ما حصل معها مع أية امرأة: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وكان من الاصطفاء أن تحمل غلاماً دون زواج، وهو بلاء عظيم يحتاج إلى صبر وتثبيت من الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى

ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٧] وفي قصة الولادة قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٦-٢١].

وبعد أن تم الأمر عاشت مريم في حالة في غاية الصعوبة قال تعالى: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٢٢-٣٤].

العبر الدعوية المستفادة من قصة عيسى عليه السلام:

١- أن الله تعالى يفعل ما يشاء فهو لا يُسأل عما يفعل والخلقُ يُسألون، وله تعالى حِكم قد يكتشفها الناس فيما بعد.

٢- الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وقد بيّن لنا محمد ﷺ أن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[1]، وأي بلاء هذا الذي وقع لعيسى وأمه؟! إنه بلاء عظيم ومع ذلك صبر وصبرت، وسجل الله صبرهم في كتاب يتلى إلى يوم الدين. وصارت لمريم مكانة عظمى حيث سُجلت في القرآن سورة باسمها، بل هي المرأة الوحيدة التي سميت سورة باسمها وفي هذا دلالة كبرى على عظمة هذه المرأة وعظم البلاء الذي وقع عليها.

٣- إنّ إرهاصات الصلاح والإعجاز كانت موجودة في حياة مريم قبل أن يحصل لها حمل فقد كان زكريا يستغرب الرزق عند محراب مريم ويسألها ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران:٣٧] وتجيبه بكل إيمان وطمأنينة ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧] فهي معتادة على الإعجاز والذين حولها رأوا الإعجاز بأم أعينهم.

٤- إنّ الله تعالى أمر مريم أن تهز بجذع النخلة مع أنها امرأة ضعيفة وفي حالة ولادة يكون ضعفها أشد، وهز النخلة ليس بشيء بسيط، ومع ذلك أمرها أن تفعل ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٢٥] والهدف ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥] وهو درس بليغ أن من أراد ثمرة فلا بد أن يبذل لها الجهد، ولهذا فإن ديننا يدعو إلى التوكل وليس إلى التواكل، ولو

(١) البخاري مع الفتح ١١١/١٠ باب ٣، والجامع الصحيح للترمذي ٦٠١/٥ رقم ٢٣٩٨ وغيرهما.

كان الرزق بغير جهد لما أمرها أن تهز بجذع النخلة.

٥- أن مادة الرطب تحمل من الفوائد الغذائية الشيء الكثير، وهو ما دفع الأطباء إلى نصح المرأة النفساء إلى الأكل منها، فهو غذاء مأمون حفظه الله بحفظه، وفيه من السكر والطاقة ما يعوض المرأة بعد الجهد الذي بذلته في الولادة.

٦- أن عيسى عليه السلام مولود، فهو مخلوق لله تعالى وليس ابناً له، ولأنه مخلوق فهو يموت ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣] وهٰذا أمر يجب أن يعيه الدعاة بشكل دقيق وهم يدعون إلى الإسلام وبخاصة أولئك الذين يدعون ألوهية عيسى عليه السلام أو ينسبونه ولداً لله تعالى.

٧- أن عيسى عليه السلام قد حاربه اليهود فقد اتهموا أمه بالزنا وقالوا عنه: إنه ابن الزنا، ولم يغير اليهود موقفهم منه حتى اليوم، وسيبقى إلى قيام الساعة، بخلاف موقف المسلمين الذين يؤمنون به نبياً كريماً وبأمه امرأة شريفة عذراء طاهرة، وهذا أمر يجب إيضاحه للنصارى لعلّ ذلك يدعوهم إلى اعتناق الإسلام.

٨- ويستمر صراع اليهود مع عيسى، ويحاولون قتله، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ [النساء: ١٥٧] ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٧] وهذا درس للدعاة أن الله معهم يدافع عنهم، وأن اليهود يحاربون الأنبياء وأتباع الأنبياء إلى يوم الدين.

٩- أن عيسى عليه السلام قد وقف وهو طفل يدافع عن أمه رمز الشرف والطهر ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ . . .﴾ [مريم: ٣٠] فهو أول محام بالحق،

وعلى دعاة الإسلام أن يقفوا مدافعين عن المتهم المظلوم بالحجة والمنطق إذْ لا يجوز أن تُترك التهم تلتهم الشرفاء دون أن يكون لهم أعوان وأنصار يدافعون عنهم.

١٠- أن ارتباط الطفل بأمه ارتباط شديد، وهو أمر واقعي منطقي رأيناه في ارتباط موسى بأمه، وهي علاقة مقدسة لا تنفصم إطلاقاً، وعلى دعاة الإسلام أن يعتنوا بالأم لأن ذلك يعني العناية بالأطفال وتربيتهم.

٧- محمد عليه السلام

نتحدث عن الدروس الدعوية المستفادة من حياة النبي محمد ﷺ أسوة بالحديث عن بعض إخوانه السابقين، وإلا فإن الحديث عنه هو الحديث عن الإسلام كله، وكل ما تضمنه هذا الكتاب إنما هو كتاب وسنة وفهم لهما، وفي ذلك أخذ عن رسول الله ﷺ.

إن حياة الرسول مليئة بالعبر نذكر منها:

١- أن النبي ﷺ كان يتمسك بمراحل دعوته فمن فردية إلى جماعية، ومن سرية إلى جهرية، ومن مرحلة دعوة إلى مرحلة دولة، وهٰذا أمر نلاحظه في سيرته، فلم يستخدم عليه السلام القوة في مرحلة الدعوة، بل كان يتمسك بسلاح الصبر، ويدعو أصحابه فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»[1]. وهذا درس على الدعاة أن يفهموه جيداً، وليدركوا أننا في زمن الدعوة، وعلينا بسلاح الصبر حتى يأتي فرج الله تعالى.

٢- أن النبي ﷺ كان يوجه دعوته للرجال والنساء والصبيان، فهي دعوة الله ليست للذكور وحدهم، وهذا أمر لا بد أن نتفطن له فنعطي المرأة دورها ومكانها الدعوي.

٣- أن دعوته وإن كانت رحمة للعالمين إلا أنه كان يقوم بواجبه الدعوي تجاه أقاربه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فعلى الدعاة أن لا ينشغلوا بالناس عن أهليهم وأقاربهم، بل هم أولى بالمعروف. وقد رأينا حرص النبي على إسلام عمه أبي طالب حتى آخر لحظة في حياته.

---

(١) سيرة النبي لابن هشام ١/ ٣٤٢.

٤- أن الرسول ﷺ كان يتعامل مع المدعوّين بمبدأ المعايشة ما أمكن، فيتعرف عليهم، ويعرف أحوالهم، ويسأل عن شؤونهم الخاصة، وهذا كله لإشعار المدعو بأنه مهم، وأن هذا النبي الكريم يقدم له النصح ويتمنى له الخير في خصوصياته، وشواهد هذا كثيرة منها حديثه مع جابر بن عبد الله حيث سأله عن زواجه، وممن تزوج، وهل هي بكر أو ثيب؟ وسأله عن راحلته وبكم اشتراها وهل يبيعها للرسول عليه السلام[1].

٥- أن النبي عليه السلام لم يكن يعامل أعداءه بموقف واحد، بل يعامل كل واحد منهم وفقاً لموقفه من الإسلام، فمن أراد حرباً حاربه، ومن أرادها مودة وتعايشاً عايشه، ومن أراد فرصة منحه، وهذا غاية الحكمة إذْ لا يجوز أن يجعل مخالفيه أعداءً له كلهم في لحظة واحدة. وقد رأينا هذه السياسة النبوية التي يؤيدها العقل في موقفه عليه السلام من ردود الملوك والزعماء على رسائله لهم.

٦- أنه عليه السلام قد تعرض للأذى النفسي والجسدي، فقد قالوا عنه ساحر، مجنون، يعلمه بشر، واتهموا زوجته بالزنا، وقالوا عنه (ذليل) ومع كل ذلك صبر، وكانت العاقبة له، والنصر حليفه، فليوطن الدعاة أنفسهم، فسيتحدث عنهم خصومهم، وسيلقون عليهم التهم، فليصبروا، وليثبتوا مع مراعاة عدم وضع أنفسهم في مواطن الشبهات، بل عليهم أن يراعوا كونهم قدوة يراقبهم الناس.

٧- أن السياسة العامة للنبي ﷺ تقوم على الرفق بالأتباع، والحرص على المدعوين والرغبة في التيسير، ولهذا ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما

---

(١) انظر فقه السيرة للبوطي ص١٩٦ عند الحديث عن غزوة ذات الرقاع.

مالم يكن إثماً، وقد مدحه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ولما كان يسأل في الحج كان عنوان فتاويه «لا حرج لا حرج»[١] كذلك فقد راعى الفروق بينهم فسمح لأناس بالهجرة إلى الحبشة، وقبل من آخرين كتمان إيمانهم.

٨- ومما يمكن ملاحظته في سيرة النبي الدعوية أنه كان صادقاً حتى مع عدوه ومع حلفائه، فقد أوفى لأهل مكة (قريش) عهدهم وأعاد[٢] من هاجر من مكة إلى المدينة بعد توقيع الصلح وقال: لا يصلح لنا في ديننا الغدر، كما أنه أوفى لليهود عهدهم في وثيقة المدينة، إلا أنهم غدروا ونكثوا فكان لا بد من معاملتهم بناء على غدرهم، وكذلك أوفى عليه السلام لحلفائه المشركين أعني قبيلة خزاعة وحرك جيشه لنصرتهم لما غدرتهم قريش[٣]. هذه محطات تؤكد على الدعاة عبر الزمان والمكان أن يكونوا صادقين، لأن الصدق طريق دعوي، وربما دخلت أمم في الإسلام عبر هذا الخلق العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] حيث انتشر الإسلام في أواسط وجنوب إفريقيا، وكذلك في جنوب شرق آسيا عبر خلق التجار المسلمين.

٩- إن هذا النبي الكريم كان يذكر لأصحابه فضلهم، بل لا ينساه لهم حتى لو وقعوا في أخطاء عظيمة، فها هو حاطب بن أبي بلتعة يفشي أسرار التحرك إلى مكة لفتحها، وحينما يكشف الله تعالى لرسوله هٰذه الخيانة لم يقبل أن يعاقبه رغم إلحاح الصحابة، بل سأله وعاتبه وفي النهاية عفا عنه

(١) البخاري مع الفتح ٣/ ٥٥٩ رقم ١٧٣١.
(٢) سيرة النبي هشام ٣/ ٣٧٢.
(٣) سيرة النبي لابن هشام ٤/ ١٠.

وقال: «لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم»[1].

١٠- لقد كان محمد ﷺ معروفاً بالخلق القويم حتى قبل الرسالة، وذلك لأن الله تعالى تكفّل بحفظ الأنبياء منذ ولادتهم، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٤٠] وهٰذا بالطبع ليس خاصاً بموسى عليه السلام، بل هو لكل نبي، شاهدنا ذلك في قصة يوسف، وقصة عيسى، وهي كذلك في حياة محمد عليهم الصلاة أجمعين. لقد عُرف محمد ﷺ بأنه (الصادق الأمين) ولهٰذا كان المشركون يضعون أموالهم أمانات عند محمد عليه السلام، ولم يأخذوها منه حتى بعد أن صار رسولاً لقناعتهم التامة بأنه (صادق أمين) بل لم يطلبوها منه لكنه عليه السلام ردها إليهم حينما هم بالهجرة إلى المدينة.

على دعاة الإسلام أن يتنبهوا لسلوكهم وأن يكونوا قدوة بين الناس، فذلك أحسن أسلوب لتحقيق الأهداف الدعوية.

١١- لقد كان محمد ﷺ عاملاً منذ نعومة أظفاره، فقد كان تاجراً وراعياً للغنم، وهذا درس كبير للدعاة أن يكونوا منتجين بعيدين عن الكسل والتواكل. لا يجوز لأي داعية أن يصف نفسه بأنه عاطل عن العمل، لأن المؤمن لا يتكبر عن أي عمل ما دام عملاً مشروعاً. بل على الداعية أن ينشر هذا الفقه بين الناس وبالتالي يساهم في بناء مجتمعنا اقتصادياً واجتماعياً.

١٢- ونلحظ في سيرة النبي ﷺ الدعوية أنه كان يتفرس في المجتمع، ويبحث عن الشخصيات القوية كي يدخلها في الإسلام، ومن ثم يستثمر قوتها لصالح الإسلام والمسلمين، فقد ثبت أنه دعا فقال: «اللهم أعز

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص٢٦٤ عند الحديث عن فتح مكة.

الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمرو بن هشام وعمر بن الخطاب»[1] فاختار الله تعالى عمر بن الخطاب الذي كان له دور عظيم في عزة الإسلام ونصرته وتراجع أعدائه فعلى دعاة الإسلام وهم يوجهون دعوتهم لجميع الناس أن يركزوا على الرواحل من الناس، وهم الذين يمكن أن يحملوا أعباء الدعوة، ويساهموا في ازدهارها وانتشارها وقوتها.

١٣- لقد كان عليه السلام يخلو في غار حراء يتعبد ويتفكر، وعلى دعاة الإسلام أن يفرغوا جزءاً من الوقت يخلو الواحد منهم لنفسه، يناجي ربه، ويراجع نفسه، لأن النفس تحتاج إلى ذلك كي تحتفظ بصفائها بعيداً عن ضجيج الحياة وصخب الناس، وبعد البعثة شرع الاعتكاف، وأصبح التأمل تعبداً في ما يقرأ من كتاب الله إنَّ هذه الخلوة المطلوبة إنما هي لفترات بسيطة، أما جُلّ الوقت فهو مخالطة الناس، لأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم.

١٤- لقد كان عليه السلام يراعي نفوس المدعوين، ولهذا استجاب لنصيحة العباس يوم فتح مكة بخصوص حب أبي سفيان للفخر فقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[2] وبهذا أعطى هذا القائد بل سيد مكة مكانة تدفعه للاستسلام وعدم مقاومة المسلمين، بل دفعته للإسلام حتى حسن إسلامه، وجاهد يوم اليرموك. فعلى دعاة الإسلام أن ينتبهوا لذلك ويعاملوا كل شخص بما يمكن أن يقود لقطف الثمار.

١٥- ومن سنته في الدعوة أنه كان يشعر المدعوين عملياً أنه لا تهمه

(١) سيرة النبي لابن هشام ١/ ٣٦٧.
(٢) سيرة النبي لابن هشام ٤/ ٢٢.

الأموال، بل كان يعطي الواحد منهم حتى يشهد هذا المدعو أمام قومه فيقول: جئتكم من عند من يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وكلنا يذكر كيف أعطى مالك بن عوف يوم هوازن وثقيف كي يستدرجه نحو الإسلام وقد كان ذلك. فليحذر الدعاة من الطمع مما في أيدي الآخرين، بل عليهم أن يشعروهم بأن المال هو آخر ما يفكر به الدعاة لجيوبهم.

١٦- أن النبي ﷺ كان قدوة في الثبات والتحمل، فحينما أذن بالهجرة إلى الحبشة لم يهاجر، وحينما أذن بالهجرة إلى المدينة كان آخر من هاجر. إنها سياسة القائد القدوة الذي يفكر بأتباعه قبل أن يفكر بنفسه. فعلى دعاة الإسلام أن يراعوا ذلك، وأخص القادة منهم كي يكونوا قدوة في التحمل والثبات وتأمين السلامة للأتباع.

١٧- لقد كان عليه السلام حريصاً على أخذ البيعة من أتباعه ليتأكد من استمرارهم معه وعزيمتهم لنصرة الإسلام، ولهذا كانت البيعة الأولى والثانية ناهيك عن بيعة الرضوان والبيعات الأخرى التي كان يطلبها كلما كان هناك أمر يتطلب التأكد من جاهزية الأتباع.

إن المسألة ليست أوامر جامدة تلقى هنا وهناك، بل لا بد من استمرار التأكد مما في نفوس الأتباع، وهذا يظهر من خلال تجديد البيعة.

١٨- لقد كان النبي ﷺ كثير المشورة لأصحابه حيث إن الله تعالى أمره بذلك: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] وكان يأخذ برأي الأغلبية منهم، وهذا بالطبع فيما لا نص فيه، لقد شاورهم في مكان المرابطة يوم بدر وأخذ برأيهم، وشاورهم بالخروج يوم أحد وأخذ برأيهم. لكنه لم يأخذ برأيهم في صلح الحديبية، لأن ذلك كان بأمر من الله فلا مجال لاجتهاد

الرسول أو أصحابه. إن المشاورة أساس من أسس المنهج الإسلامي في الحكم والقيادة، وعلى دعاة الإسلام أن يتمسكوا بذلك قولاً وفعلاً ليقضوا على الفردية والدكتاتورية، وبهذا تحل المؤسسية، ويكون الناس أقرب إلى الصواب، وحتى لو لم تأت النتائج على ما نهوى ونحب، فإنّ الثمرة المرة عندئذ يتحملها الجميع ولا يلجأ الناس لإلقاء اللوم على بعضهم بعضاً.

١٩- لقد كان عليه السلام يراقب حركة أعدائه من حيث العَدد والعُدة والتخطيط، ولهذا رصدهم يوم بدر بأخذ المعلومات من مسافري الصحراء حتى تكون قراراته أقرب إلى الدقة، وبالتالي أقرب إلى النصر.

إن دعاة الإسلام مطالبون أن يدرسوا أعداءهم ولا يكتفوا بلعنهم والشكوى منهم، لأن ذلك لا يفيد شيئاً. علينا أن نعرف خصومنا ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:٢١٧] وندرس خططهم وكيدهم لنكون جزءاً من كيد الله ضدهم ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

٢٠- كان عليه السلام يقبل المفيد الفكري أو المادي القادم من عند الآخرين، ولهٰذا قبل فكرة حفر الخندق، وقبل برُوداً رومية جاءت من خارج الجزيرة ولم يجد في ذلك غضاضة. إنه درس كبير لدعاة الإسلام، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وبخاصة أننا في زمن تقدم الآخرون فيه علينا، وبالتالي فإننا ولا شك أمام حكمٍ عظيمة وفوائد جمة لا يجوز تركها باسم العزلة والمفاصلة والولاء والبراء، فهذا كله حق، ولكنه لا يلغي حقاً آخر وهو الاستفادة مما عند الآخرين.

٢١- لقد كان حدث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الذي دعا إليه النبي ﷺ حدثاً فريداً إذْ لم تعرفه شعوب الأرض قديماً وحديثاً، إنه صناعة

إسلامية تقوم على قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وهو عمل منطقي في مجتمع يتشكل ويستعد لمواجهة الخصوم الذين يتداعون للفتك بهذه الدولة الجديدة والمجتمع الوليد، إنه درس كبير على دعاة الإسلام أن يفهموه جيداً، فبدون أُخوة حقيقية تطبيقية لا مستقبل لهم ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٢٢- قامت سياسة النبي ﷺ على توزيع الأدوار وتقاسم المهام، ونلحظ هذا في قصة هجرته، فعبد الله بن أبي بكر ينقل له الأخبار وتحركات القرشيين المطاردين له، وأسماء تنقل له الزاد، وهنا نقف في محطة دعوية مهمة ومفادها أن الدعوة تنتصر باستثمار كل الطاقات من الرجال والنساء، ويكون النصر أسرع وأكمل كلما وضع كل شخص في المكان المناسب، كما أن النصر يقترب كلما تم استثمار جميع الطاقات بإسناد مهمة لكل واحد. ولا يجوز في فقهنا أن تكون لدينا بطالة دعوية فجميع الناس عندهم ما يقدمونه، والمهم أن تدرك قيادة المسلمين ذلك بحيث تضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

٢٣- وإذا توقفنا في المحطة المالية فإننا نجد المال الكثير إذا كان بيد الصالحين فإنه عون مهم للدعوة، فقد قدمت خديجة مالها، وكذلك فعل أبو بكر وعمر وعثمان وكل من ملك مالاً. وهنا نخاطب دعاة الإسلام ليكونوا ممن ينفق ماله في سبيل الله، ولنفتح جميعاً عقولنا لندرك أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، لأن المؤمن الفقير ليس أمامه إلا الصبر، أما الغني المؤمن فإنه ينفع نفسه والآخرين. ولهذا فعلينا أن نغير مفهومنا للزهد معلنين أن الزهد ليس الفقر، بل هو امتلاك المال واستخدامه في طاعة الله، وعدم السماح لهذا المال أن ينقلب إلى صنم، ولهذا فإن المؤمنين

يدعون: «اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا».

٢٤- لقد كان عليه السلام يتحلى بالحكمة الإدارية فها هو قبل نزول الوحي عليه يحكّمه قومه عندما اختلفوا في وضع الحجر الأسود، وذلك حينما أعادوا بناء الكعبة، ووصل بهم الخلاف إلى درجة حادة حتى كادوا يقتتلون لولا حكمة الحكماء الذين اقترحوا تحكيم أول داخل لصحن الكعبة، فترقب الجميع هذا الحَكَم القادم وإذْ به محمد ﷺ فهتف الجميع: رضينا به إنه الصادق الأمين..

وكانت حكمته بأن دعا بعباءة، ووضع الحجر الأسود عليها، ثم دعا كل قبيلة لتمسك بطرف من الأطراف، فرفعوا الحجر، ثم تناوله عليه السلام منهم ووضعه بيديه الشريفتين. هذه الحكمة نحتاجها وبخاصة أن الناس إذا رأوا الداعية منصفاً فإنهم يثقون بدينه وبقدرته على إنصافهم، فتراهم يتوجهون إليه لحل مشكلاتهم. فليكن الدعاة على قدر المسؤولية، وليتحلوا بالحكمة التي ستقودهم إلى استقطاب الناس.

٢٥- إن موقف الرسول عليه السلام من الثلاثة الذين خُلفوا عنه في غزوة تبوك فيه من العبر الدعوية الكثير، فقد قبل الرسول عليه السلام أعذار المنافقين، لأنه يعلم أنهم كاذبون، لكنه لم يقبل أعذار الثلاثة؛ لأنه يراهم في مرتبة أعلى لا يليق بهم أن يفعلوا ما فعلوا، ولهذا أمرهم بالتريث والانتظار، ففعلهم شنيع، ويحتاج إلى عفو رباني، وطال الانتظار حتى ضاقت الأرض عليهم بما رحبت، وأمر المسلمين أن يقاطعوهم عقوبة لهم، ولكل من يوسوس له الشيطان من المؤمنين. وكانت نهاية المطاف عفو الله تعالى عنهم.

٢٦- إن الرسول عليه السلام لم يكن يقبل أي خلل أو انحراف ولو بنية حسنة، وكان يعالج الأمور في بدايتها فلا يتركها تستفحل، ومثال ذلك رفضه للاطراء حيث قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم قولوا عبد الله ورسوله»[١] ورفض التنطع في العبادة فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٢]. إن الدعاة مطالبون بالسير على هذا النهج لأنهم مربون مرشدون.

٢٧- لقد كان عليه السلام سيداً في علم النفس وعلم الاجتماع، فقد كان يتعرف إلى من حوله، ويراعي شعورهم، فالجزيرة العربية مجتمع قبلي، يقول أهله الشعر اعتزازاً بقبائلهم وانتماءاتهم، وهنا يأتي دور محمد ﷺ ليقف مع من لا قبيلة له فيعلن صراحة «سلمان منا آل البيت»[٣]، وفي مشهد آخر حيث تفقد امرأة طفلها فيواسيها فتقول له: إليك عني فإنك لم تُصب بمثل مصيبتي، فيتركها عليه السلام، فيقوم الناس إليها يوبخونها ويخبرونها أنه الرسول فتأتي لتعتذر، فيقبل عذرها، ويقول لها: إنما الصبر عند الصدمة الأولى. نعم لم يعنفها، ولم يحدثها بغلظة، بل تركها لأنها في حالة حزن شديد، وهذا درس كبير للدعاة كي يراعوا ظروف الناس، ويفهموا أحوالهم، وبالتالي يحسنوا معاملتهم.

---

(١) انظر البخاري مع الفتح ٦/ ٥٩١ رقم ٣٤٤٥، وأحمد ١/ ٢٤ وابن حبان في صحيحه ١٣/ ١٣٣ رقم ٦٢٣٩.

(٢) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤ رقم ٥٠٦٣.

(٣) رجال حول الرسول / خالد محمد خالد - ص٥٣ دار الفكر.

٢٨- لطالما بحث عليه السلام عن مخرج لأصحابه مما هم فيه، فقد طرق أبواب وجهاء مكة لعلهم يسلمون، والتقى القبائل في موسم الحج يعرض عليها نصرة الإسلام، ويجد متنفساً لأصحابه في الحبشة، فيوجه من رغب منهم إليها بقوله: «إن في الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد»، وذهب إلى الطائف دون جدوى، وكان الخاتمة بعد هذا البحث الطويل في يثرب (المدينة المنورة). إن القيادة الدعوية يجب أن تكون مثابرة في البحث عن مخرج من المأزق لا أن توقع الأتباع في المآزق. إن الاستسلام لمجريات الأحداث هو موت حركي، والإسلام لا يقبل ذلك، بل لا بد من طرق الأبواب المتعددة حتى يفتح الله للمسلمين مخرجاً يعزون به، ويرفعون بواسطته راية الإسلام، إن المراقب لسير العمل الإسلامي يفتقد هذه الصفة في أغلب العاملين للإسلام حيث يخلدون للراحة، بينما أمانيهم لا حدود لها.

إن الأماني الكبرى تحتاج إلى جهد كبير، وعقل واعٍ، وتخطيط عميق، ومكر ودهاء لأن أعداءنا يخططون ضدنا، وهم مجتمعون «تداعى عليكم الأمم»[1] وهم مجرمون محترفون قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

٢٩- إن أول عمل قام به عليه السلام في المدينة هو بناء المسجد، وقد كان ذلك ليثبت للمسلمين أن المساجد هي منطلق الدعوة، وعليه فإن دعاة الإسلام يجب أن يكون ذلك عقيدة عندهم، وتخطيطاً في خططهم، وتنفيذاً في سلوكهم، لا بد أن تتحول المساجد إلى منابر نور تضيء المجتمع بحيث تصبح خلايا نحل من العلم والتعليم والتعارف والانطلاق منها لنوعية

(١) انظر مسند أحمد ٢/ ٣٥٩ و٢٧٨، وسنن أبي داود ٤/ ٤٨٣.

المجتمع بأسره، وهذا يقضتي من العاملين للإسلام أن يتعهدوا الأئمة والخطباء، بل يعدونهم إعداداً دقيقاً ليكون الواحد منهم قائداً للمسجد والحي بأكمله.

٣٠- لقد علمنا الرسول عليه السلام سنة اللجوء إلى الله تعالى، فالداعية يدعو ويقدم تقريره إلى الله عز وجل، وهذا مافعله نوح عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥] وهو ما فعله محمد عليه السلام وهو يناجي ربه في رحلة الطائف يدعو ودمه يسيل في سبيل الدعوة «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله»[١] فعلى الدعاة أن يشكوا همومهم إلى الله ويطلبوا في شكواهم الفرج والنصر.

٣١- تعرض النبي ﷺ للضغوط المتعددة ليتراجع عن دعوته، وكان منها الضغط العائلي الشديد، لكنه ضغط لم يفلح مع النبي عليه السلام وأجاب عمه أبا طالب بوضوح «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار»[٢]. وقد شهدنا دعاة يتعرضون لضغوط من آبائهم وأقاربهم ليرجعوا عن الالتزام الدعوي، وقد رضخ بعضهم لذلك فليحذر الدعاة من هذا إذْ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(١) انظر كتاب (الرسول ﷺ) لسعيد حوى ١/ ١١١ دار الكتب العلمية - بيروت - ط٤ ١٩٧٩م.

(٢) انظر كتاب (الرسول ﷺ) لسعيد حوى ١/ ٩٧.

٣٢- ولعل في رحلته إلى الطائف ما يؤكد لنا صحة تنقل الدعاة من مكان إلى آخر لدعوة الناس، فالخروج الدعوي أمر مشروع، ولا شك أن من يمارسه سيجد حلاوة عمله حيث يزرع الخير في القرى والبوادي. إن الداعية لا ينتظر مجيء الناس إليه بل هو يذهب إليهم وينتقل ويقطع المسافات الشاسعة في سبيل إيصال دعوته، وهي فرصة لاختبار الداعية لأسلوبه ومعلوماته.

٣٣- وبناء على النقطة السابقة، فقد كان عليه السلام يعلم أصحابه أن يقوموا بالدعوة، ولهذا أرسل معاذاً إلى اليمن، وأرسل مصعب بن عمير إلى المدينة وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم الذين قاموا بنشر الإسلام وفقاً لقدرتهم واستطاعتهم. على الدعاة أن يضعوا لأنفسهم برامج عملية يزورون فيها المواقع المختلفة، لأن دينهم لا يقبل منهم العلم فقط، بل عليهم أن يعلموا ما تعلموه، قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

٣٤- ولن ننسى كونه قدوة في بيته، وهو البيت الذي ضم عدداً كبيراً من النساء، فقد كان يعاملهن بأحسن معاملة، فلم يضرب امرأة قط، وهذا درس كبير للرجال الذين يظنون أن الضرب من مقتضيات الرجولة.

وكذلك معاملته الحسنة لخادمة زيد الذي قال له الرسول ﷺ يوماً «أنت أخونا ومولانا»[٢]. فلم يؤذه يوماً رغم أنه خدم عنده، كان خادماً لخديجة واستمر مع الرسول حتى وفاته. على دعاة الإسلام أن يتميّزوا عن الناس الذين يتجاوزون الحدود ضد أهليهم وخدمهم حتى يشعر الناس

---

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٤ رقم ٥٠٢٧.
(٢) البخاري مع الفتح ٧/ ٨٦ باب ١٧.

بالفرق بين الداعية وغيره.

٣٥- وكان عليه السلام ذروة في الأداء السياسي مع الحكام في الدول المجاورة، فقد مدح النجاشي وقال عنه: إنه ملك عادل، ولا شك أن هذه العبارة قد وصلت النجاشي، وكانت النهاية إسلام النجاشي.

كذلك بعث برسائله إلى الملوك والزعماء ليعلن أن الأمة الأمية قد بدأت تكتب؛ لأنها أمة (اقرأ)، وصنف ردودهم، فأعد العدة العسكرية لمن هدد بالسلاح (الفُرْس)، وقبل هدية الأقباط (ماريا) لتكون المصاهرة سبباً في إسلامية مصر في المستقبل وقد كانت.

وأعطى الفرصة لمن أراد أن يفكر، وصالح من أراد الصلح، وسالم من أراد السلم، وهذه كلها سياسات عالية وقوية ومنطقية فيما بين الدول.

الوحدة الثانية عشرة

دعاة عبر التاريخ

١- أبو حنيفة النعمان:

هو النعمان بن ثابت أصله من أفغانستان (كابل)، ولد في الكوفة سنة (٨٠) هـ، كان حسن المنظر والثوب والعطر، فقد كان ينتمي لأسرة ثرية حيث كان والده تاجر حرير، وبسبب هذا الثراء تفرغ لطلب العلم حتى صار يشار إليه بالبنان، وقد كانت بيئة العراق فيها من المِلل والنِحل والفرق والمذاهب ما أكسبه قوة في الجدل والحوار والمنطق. من أبرز شيوخه حماد ابن أبي سليمان حيث لازمه ما يقرب من عشرين سنة، اشتغل بالتدريس والإفتاء، ورفض تولى الوظائف وبخاصة القضاء مما أوقعه في محنة أيام مروان بن محمد حيث أراد واليه (ابن هبيرة) إجبار أبي حنيفة على قضاء الكوفة، فضربه وعذّبه، فطلب إليه أن يعطيه فرصة ليستشير أصحابه، فأخرجه من السجن، ففر أبو حنيفة إلى مكة، وبقي فيها إلى أن تولى المنصور الحكم. فتكررت محنته ليتولى القضاء. توفي أبو حنيفة (١٥٠هـ) ودفن في بغداد. أخذ عن حماد ونافع وعطاء بن أبي رباح ومن تلاميذه زفر والليث بن سعد وابن المبارك وأبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني ووكيع وغيرهم.

كان أبو حنيفة كريماً، طويل الصمت، دقيق النظر في الفقه، يصبر على من يعلمهم من التلاميذ، فقد ذُكر أنه وهب لمعلم ابنه خمسمائة درهم لأن

ابنه أتقن الفاتحة، وكان يذكر شيوخه وأصحابه بالخير يمدحهم ولا يقدحهم، وكان باراً بوالديه، محسناً إلى من يعرف، وله قصة طريفة مع جار له نذكرها للموعظة: فقد كان له جار يشرب الخمر في آخر الليل ويتغنى ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وفي ليلة من الليالي افتقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقالوا له: قد قبض عليه العسس، وإنه في الحبس، فذهب أبو حنيفة وأطلقه وقال: يا فتى رأيتنا أضعناك؟ فقال الرجل: لا بل حفظت ورعيت، وتاب الرجل[1].

العبر المستفادة من حياة أبي حنيفة

١- لقد كان هذا الإمام منتمياً لأسرة غنية، ومع ذلك لم يقف الثراء في وجه العلم، فقد سعى والده لتعليمه، وأثبت هو جدارته في ذلك، وهو درس في أن العلم يُطلب لذاته لا لأجل المال، كما أن فيه دلالة كبيرة أن والده كان يرى أن المال وحده لا يكفي في حياة الإنسان بل إن العلم أثمن من المال.

٢- وفي حياة هذا الإمام درس كبير في العزوف عن السلطة والوظيفة التي نرى الناس يلهثون وراءها، وبالطبع فإنه لا يفهم من ذلك أن يبتعد كل الخيرين عن المواقع لأن ذلك يعني تفريغها لصالح الجهال والظلمة، ولكن الدرس باقٍ لعشاق المناصب الذين لا يرون حياة بدونها.

٣- إن هذا الإمام قد حصل على اعتراف شعبي ورسمي على مكانته

(١) انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٣٦٣، ومناقب المكي ٣٠١، والطبقات السنية ١/ ١٠٨.

وعلمه وأمانته، وإلا فلماذا عرضوا عليه وبإصرار أن يقبل منصب القضاء؟!.

٤- نستفيد من حياة هذا الإمام سلوكه في الكرم وهو خلق طيب مدح الله به نبيه إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٦-٢٧] إذْ إن الداعية يمارس دعوته بالسلوك، فإن كان كريماً صار قدوة للمدعوين، وهذا أمر يجب أن ينتبه له الدعاة، ولا ينبغي أن يظهر البخل على الدعاة، وقاعدتنا في ذلك ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

٥- إن ترفق أبي حنيفة مع جاره السكّير أمر جدير بالاهتمام، وبخاصة في زمننا هذا الذي كثر فيه الفساد، وصار الدعاة يبتعدون عن هؤلاء العصاة، ولعل أفضل أسلوب هو مخالطتهم بقصد دعوتهم (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)[١] وحينما يترفق الدعاة بالعصاة فإنهم بإذن الله مؤثرون فيهم لا محالة.

٦- أن أبا حنيفة على سنن السلف الصالح، كان له شيوخ وكان له تلاميذ، ومما يلفت النظر أن أبا حنيفة كان يدرب تلاميذه على الإفتاء في حضرته ليتأكد من علمهم وقدرتهم على العطاء. وهو درس كبير علينا أن نعيه في إعداد الدعاة وتدريبهم لنصل بهم إلى مرحلة العطاء الفكري والفقهي والدعوي.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجة (٤٠٣٢)، وهو في: مسند أحمد ٢/ ٤٣.

٢- أحمد بن حنبل:

هو أحمد بن محمد بن هلال بن حنبل الشيباني ولد عام (١٦٤) هـ ببغداد وتوفي فيها عام (٢٤١) هـ اشتهر وهو غلام بالتقوى والعناية بعمله، وامتاز بالصبر والجد واحتمال المكاره.

اتجه نحو العلم ومال إلى الحديث، وارتحل في طلبه إلى الشام والحجاز، واعتنى بفقه الآثار. من شيوخه هشيم بن بشير الواسطي (المتوفى ١٨٣هـ) والشافعي. عرف بفقره وزهده، وحج ماشياً مرات عديدة، وكان ذا عيال، ومع ذلك كان في غاية العزة والعزوف عن الاقتراض، ولهذا لم يجد حرجاً من العمل في أي شيء حلال، ومن ذلك أنه عمل (حمالاً) يحمل للناس حاجاتهم بالأجرة.

لُقب بجبل السنة، لأنه وقف في وجه المعتزلة القائلين بخلق القرآن، فاعتقله المأمون وعذبه، ولكنه لم يتراجع، ومنع من التدريس والوعظ، وفُرضت عليه الإقامة الجبرية.

وفي عصره وجد من ينكر السنة، ويقدم القياس على خبر الواحد، فقد أكد رحمه الله على خلاف ما ذهبوا اليه، وقدَّم السُّنة، وعرف عنه الأخذ بالمأثور، سواء كان سنة نبوية، أو قولاً لصحابي أو تابعي. وفي عصره أيضاً كان الجدل قد أخذ مداه، وانتشر بصورة كبيرة، فاختط أحمد نهجاً مخالفاً، لأنه رأى أن أكثر هذا الجدل هو جدل بالباطل، وهو علامة للتعصب.

وكان أحمد ممن ينادون بتجنب الفتن، ولهذا كان لا يرى الخروج على الخليفة ولو كان ظالماً، ودليل ذلك أنه نفسه قد وقع عليه الظلم، ومع ذلك لم يتعامل برد الفعل، بل بقي مع الفكرة، ولم يخلط الشعور الشخصي

بالظلم برأيه الفقهي.

وفي نفس السياق ولتجنب الفتن، كان يرى إقرار خلافة المتغلب حقناً للدماء، ودرءاً للفتن، وكان يرى أن حق الحاكم الطاعة، وأن الرعية تقدم نصحها للحاكم لا أكثر، مع أنه هو شخصياً كان يبتعد عن الحكام، ويرى عمله بين الناس تعليماً وتهذيباً ونصحاً.

ومن العلامات البارزة في هذا العَلَم أنه كان يتحرز في الفتيا، وكان ينهي عن كتابه فتاويه، ولم يكتب هو فقهه، ولهذا اعتبر بعض أهل العلم المذهب الحنبلي من مذاهب الآثار، لا مذهب الأقوال والاجتهادات، ولهذا فقد كان ينظر إلى القياس إنما هو للضرورة، أما الاستصحاب فقد أكثروا من الأخذ به.

وقد وصف بعضهم مذهبه بالتشدد، وهو وصف غير دقيق، وقد نلاحظ التشدد في أحكام الطهارة[1] أما غيرها فلا، وربما كان ابتعاده عن الاجتهاد سبباً في ذلك، لأن كثيرين ممن استخدموا أدوات الاجتهاد وصلت بهم الأمور للإعراض عن نصوص كان أحمد يرى ضرورة الأخذ بها، كما أن زهد أحمد وحرصه على الورع والابتعاد عن الشبهات قد ساهم ذلك كله بأنه مذهب الاحتياطات.

وقد تبين للباحثين في هذا العصر أن مذهبه أوسع المذاهب، ومن ذلك أخذه بالشروط في العقود، وإباحته ما لا نص يحرمه في المعاملات، وإجازته جمع الصلاة في السفر والمطر.

---

(١) انظر «أحمد بن حنبل» لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، مصر، ص٣٤٣.

العبر المستفادة من حياة أحمد بن حنبل:

١- إن فقر الداعية لا يحول دون عطائه، ولو كان الأمر كما يظن بعض الناس لما ظهر هذا الرجل، ولما خلد اسمه عبر التاريخ. إن المال نعمة من نعم الله ولكنه ليس الطريق للوصول إلى المكانة العليا بين الناس، فكم من غني مات ولا يدري عنه الناس، بل ربما إنْ أساء كثر قادحوه كأن يكون بخيلاً أو مبذراً فيذمه أهله أو من يحيطون به.

٢- إن فقر هذا الداعي جعله يتحلى بالصبر، وهذا أعطاه شحنة قوية لمواجهة الصعاب، ومنها الصمود تحت التعذيب في مسألة خلق القرآن.

٣- إن المطلوب من الداعية أن يقف وقفة لا كبقية الناس، لأنه شاهد كما قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣] وهذا هو الذي دفع الإمام أحمد أن يقف في وجه المأمون وسلطته، ليسجل التاريخ موقفاً مشرفاً لعالم من علمائها، فيذهب أحمد والمأمون والمعتزلة ويبقى موقف أحمد شاهداً على عصره.

٤- إن ما يتداوله بعض الناس عن وصف أحمد ومذهبه بالتشدد هو أمر غير صحيح، فقد رأينا أنه داعٍ لحقن الدماء ودرء الفتن، وأن واجب الرعية على الراعي أن ينصحوه لا أكثر. أما في مجال الأحكام الفقهية فإن العنوان الأبرز لهذا الرجل ومذهبه احترام من سبقه وأنهم أقرب إلى الحق، ولهذا قل الرأي والاجتهاد لأنه يرى الخير بالاتباع، وحتى لو كنا لا نوافق هذا النهج فعلينا أن نفهم القصد وهو التمسك بالحق والخير.

ومن الممكن أن يجد كل باحث في مقارنة المذاهب الفقهية أن يرى

تسهيلاً عند أحمد ومذهبه، وتشدداً عند غيره في بعض المسائل، ولهذا لا يصح أن يوصف أي مذهب بالتشدد، وأسوق هنا مسألة معروفة ففي المذهب الحنفي الذي يصفه البعض أنه متساهل يقول الأحناف: لا جمع للصلوات إلا يوم عرفة بينما يرى الفقهاء الآخرون ومنهم أحمد غير ذلك.

٣- ابن تيمية:

ولد أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين ابن تيمية في حرّان سنة ٦٦١هـ وكان أبوه وجده عالمين من علماء المذهب الحنبلي.

لقد كان هذا العصر مليئاً بالقلاقل وفظائع التتر، وقد فرّت أسرته من حران عند هجوم التتر وكان عمره سبع سنين، واتجهت إلى دمشق، وبدأ والده يدرس في (الأموي). حفظ أحمد القرآن، ودرس الفقه والحديث والعربية، وظهرت عبقريته صغيراً حيث أدهش العلماء، وجلب الأنظار، وذاع صيته، وخلف والده في التدريس بعد وفاته.

وفي عام ٦٩٩ هـ تتابعت الأخبار بأن التتر قادمون إلى دمشق فاجتمع ابن تيمية بأعيان دمشق الذين كلفوه بالاجتماع مع قازان (قائد التتر) ففعل، وكان الهدف أخذ الأمان للمدينة، وتم ذلك، إلا أن التتر استمروا في السلب والنهب، واستباحوا الحرمات، وباعوا الأوقاف بأبخس الأثمان، واستعد التتر لدخول دمشق، وجهزوا المجانيق لرمي القلعة، إلا أنهم انسحبوا استعداداً لغزو مصر وملاقاة جيشها بقيادة (محمد بن قلاوون). واستمر الدمشقيون بقيادة ابن تيمية يحرسون الأسوار وهو يتلو عليهم آيات الجهاد والرباط. عاد التتر مرة أخرى إلى الشام فأعلن ابن تيمية الجهاد عام ٧٠٠ هـ ومنع الناس من مغادرة دمشق خوفاً، وسافر بنفسه إلى مصر يطلب العون،

وعاد ليرفع معنويات الناس ويقسم لهم إن النصر قادم، وأفتى لهم بفطر رمضان استعداداً لوقوع القتال، وكان يأكل أمامهم، ووقع القتال، وكانت العاقبة للمتقين.

لقد كانت شخصيته مقاتلة بالسيف والقلم والفكر، فحارب البدع، وغيّر المنكر، وجاهد الملحدين والمفسدين، وناظر الفرق الضالة، ورد على القائلين بوحدة الوجود، وشنع على المتصنعين الذين يدعون التصوف ويتاجرون به. دعا إلى العلم وطلبه، وحارب الجهل والخرافة وأهلها، وكان قدوة فيما يفعل ويقول، وكان صاحب تحدٍّ حتى اشتهر قوله: (ماذا يفعل بي أعدائي إن سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة) وقد حصل له ذلك فقد سُجن في دمشق والقاهرة، وكان في سجنه يؤلف ويفتي ويرسل ذلك إلى الناس.

توفي ابن تيمية عام ٧٢٨ هـ، وكانت له جنازة مشهودة، ودفن في مقبرة الصوفية التي زالت آثارها، وبقي قبر ابن تيمية أمام قاعة الجامعة السورية وعمارة مستشفى الولادة[١].

العبر المستفادة من حياة ابن تيمية:

١- يلفت نظرنا هذا الداعي بعلمه الغزير، فهو بحر في الاعتقاد والفقه والسيرة والحديث والتفسير والمنطق واللغة والفرق، ومن المؤكد أن هذا لم يصل إليه إلا بجهد كبير وحرص أكيد، فعلى الدعاة أن يعيدوا النظر فيما لديهم من معلومات فلا يقفوا عند حد، ولا يظن الواحد منا أنه قد ختم

(١) انظر كتاب (الحافظ أحمد بن تيمية) سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن الندوي ص ١١٦ دار القلم/ الكويت ط ٣، ١٩٨٣ م.

العلوم، بل لا بد أن يكون شعارنا (مع المحبرة إلى المقبرة) فطلب العلم فريضة، وهي مستمرة، لأن الإنسان مهما علم فلا بد أنه يجهل الكثير، ولعلاج ذلك لا بد من طلب العلم باستمرار بالقراءة ومجالسة العلماء وكل أسلوب يؤدي بالإنسان إلى توسيع دائرة علمه.

٢- أن هذا الداعي لم يفصل بين العلم والعمل، بل كان علمه دافعاً للعمل، فهو معلم للعلم، وهو ناصح للسلطان، وهو محرك للشعب، وهو قائد في المعارك، وخطيب من الخطباء، وواعظ من الوعاظ، ومصنف من المصنفين.

٣- أن هذا الداعي قد خلّف تراثاً من العلم يصعب حصره، فله التصانيف في شتى العلوم بالإضافة إلى عدد كبير من التلاميذ الذين صاروا علماء يشار لهم بالبنان، كابن قيم الجوزية، وابن كثير، وابن عبد الهادي، ولهذا فالداعية مطالب أن يترك أثراً جيداً يدل عليه وبخاصة أن ذلك مما ينفع المسلم بعد مماته، كما ورد في قول النبي ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له)[1] ولا نزال إلى اليوم ننتفع بالمصنفات التي كتبها العلماء، ومنهم ابن تيمية، وإننا نسأل الله تعالى أن ينفعهم في قبورهم بما كتبوه نصحاً للإسلام والمسلمين.

٤- إن ابن تيمية كان مستغلاً لوقته حتى وهو في السجن يؤلف الكتب، ويكتب الرسائل، ويجيب على الفتاوى، وربما كان يدعو المساجين الذين كانوا معه في السجن، وهو بهذا يسير على درب النبي يوسف عليه السلام.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠) وغيرها.

إن الدعاة مطالبون باستثمار أوقاتهم فلا يضيعون منها شيئاً لأن الوقت كالسيف إنْ لم تقطعه قطعك.

٤- محمد بن عبد الوهاب:

ولد محمد بن عبد الوهاب في مدينة العُيينة عام ١٧٠٣ م وانتسب إلى أسرة معروفة بالعلم، فقد كان جده سليمان من أشهر علماء عصره الذي ألف كتاباً في المناسك، وكذلك كان عمه إبراهيم عالماً جليلاً، وكذا ابنه عبد الرحمن بن إبراهيم صاحب فقه وأدب، أما والده فقد كان له باع طويل في الفقه، وعمل قاضياً في العيينة وحريملاء.

كان محمد ذكياً فطناً، حفظ القرآن في صغره، ودرس على والده. تزوج وهو صغير، وارتحل لطلب العلم وبخاصة في الحرمين، واستفاد من الشيخ عبد الله بن إبراهيم، والشيخ محمد حياة السندي، والشيخ علي الداغستاني، والمحدث محمد بن سليمان الكردي، وذهب إلى البصرة وأخذ عن بعض العلماء.

كان مولعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصارت البدع تقلق باله وبخاصة ما رآه في المدينة من أعمال الجهلة عند قبر الرسول ﷺ، وقد عانى نتيجة نشاطه في هذا الاتجاه، وقد بدأت دعوته للتوحيد ومحاربة البدع في الانتشار في المدن النجدية (حريملاء، العيينة، الدرعية، الرياض..) وبدأ الناس يتحلقون حوله وبخاصة بعد وفاة والده، ودخل مرحلة التصنيف فألف كتاب (التوحيد). كان في نجد أمراء عديدون فصمم الشيخ على توحيد المنطقة، فعرض على (عثمان بن معمر) أمير العيينة التعاون لنشر التوحيد، ولتوحيد الناس خلف أمير واحد، تزوج الشيخ ابنة أخيه -أي ابنة أخي

الأمير عثمان بن معمر- لتزداد الرابطة بينهما، لكن عثمان لم يقم بالمطلوب. استمر الشيخ في دعوته عملياً فاقتلع أشجاراً كانت تعبد من دون الله، وأزال قبة ضربت على قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه الذي استشهد في معركة اليمامة أثناء قتال مسيلمة الكذاب وأقنع ابن عبد الوهاب الأمير عثمان بن معمر فألغى الضرائب وقرر الزكاة.

استمر الشيخ في تأليف الرسائل وصار له أتباع هنا وهناك يوجههم للعمل دون كلل.

ومن القصص أن امرأة اعترفت له بالزنا، وبعد التوثيق منها أمر برجمها، وشارك في الرجم الأمير عثمان بن معمر، فثارت ثائرة العديدين منهم أمير الإحساء والقطيف (سليمان بن عريعر الحميدي) فهدد الأخير عثمان بن معمر فرضخ عثمان للتهديد، وطلب من الشيخ مغادرة المنطقة. وبالفعل أخرج من المنطقة ماشياً يتبعه شرطي اسمه (فريد الظفيري) وقيل إنه أمره بقتله في الطريق لكنه خاف ورجع، وتوجه الشيخ إلى الدرعية (خارج حدود (عثمان بن معمر) فاستقبله أمير الدرعية[1] محمد بن سعود. وتعاهد معه على الطاعة والنصر، وحضر الاتفاق شقيقا محمد بن سعود وهما (ثنيان ومشاري) وقال له ابن سعود: بعدما عرض الشيخ دعوته: (يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد ممن خالف التوحيد) وتمت المعاهدة بين الطرفين عام ١١٥٧هـ أو ١١٥٨هـ.

---

(١) تذكر بعض المصادر (ابن بشر) أن الشيخ قد نزل أولاً عند عبد الله بن سويلم العريني، وصار بيت الأخير مركزاً للدعوة يؤمه الناس، وأراد الشيخ أن يتصل بأمير المنطقة (محمد بن سعود) فكلم أخويه (مشاري وثنيان) فاختار الأخيران الحديث إلى زوجة محمد بن سعود واسمها (موضى) وكانت ذكية فكلمت زوجها وقالت: (إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته) ففعل.

وانتشرت الدعوة وندم ابن معمر للأخبار التي وصلته، وحضر إلى الشيخ واعتذر إليه وطلب منه العودة إلى العيينة فلم يقبل إلا إذا قبل (محمد بن سعود) فذهب ابن معمر إلى (ابن سعود) فرفض الأخير ذلك. وكثر أتباع الدعوة بل صار الأمراء المجاورون يعلنون تطبيق الحدود ومبايعة الشيخ، وكثر المال معه بدعم ابن سعود وصار ينفقها في سبيل الله، وبدأ الشيخ يمد دعوته خارج نجد فاستجاب له عالم صنعاء المجتهد الأمير محمد بن إسماعيل (ت سنة ١١٨٢ هـ) وبعث له بقصيدة مطلعها:

سلام على نجد ومن حل في نجد   وإنْ كان تسليمي من البعد لا يجدي

وقد سار على نهج (محمد بن سعود) ولده (عبد العزيز) الذي استولى على الرياض عام ١١٨٧ هـ وهرب أميرها دهام بن دواس الذي خاض حروباً ضد ابن سعود زادت عن ثلاثين سنة.

توفي الشيخ سنة ١٢٠٦ هـ والموافق ١٧٩٢ م وهكذا قامت المملكة العربية السعودية بالتحالف فيما بين الشيخ وآل سعود. هذا وقد سميت دعوته بالدعوة الوهابية رغم أن الشيخ وأتباعه يرفضون هذه التسمية[1].

العبر المستفادة من حياة ابن عبد الوهاب:

١- إن الناظر في البيئة الأسرية لهذا الداعية يتيقن أن الأسرة هي المحضن الأول للتربية، وأن الآباء والأمهات هم أصحاب الدور الأصيل في تكوين شخصية أبنائهم، فعلى دعاة الإسلام أن يلتفتوا إلى أولادهم يعلمونهم ويوجهونهم التوجيه الإسلامي لعل الله تعالى يجعل لهؤلاء الأولاد مستقبلاً

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه/ مسعود الندوي/ ط١، ١٩٧٧/ ص ١٩٩.

طيباً في الدعوة الإسلامية. وكم يتألم الإنسان حينما يرى داعية نشيطاً بينما أولاده في اتجاه آخر.

٢- أن ابن عبد الوهاب كان مولعاً بالدعوة صغيراً، قد فهم أن الدين عملٌ ونُصحٌ ولهذا انبرى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهي غيرة محمودة، حيث يمتلك الإنسان الجرأة والحيوية فيتحرك لنصرة دين الله تعالى.

٣- على الداعية أن يعالج قضايا مجتمعه، فقد رأى هذا الشيخ بدعاً منتشرة، وعقائد فاسدة، ولهذا هب لمقاومتها، وتحرك لاستئصالها بالقول والعمل، فعلى الدعاة أن يفهموا مجتمعاتهم ويعالجوها من الأمراض التي تشكو منها.

٤- على الداعية أن يطرق باب النصرة فقد طرقها الشيخ حينما عرض على أمير منطقته الدعوة وطلب إليه نصرتها، وهذا سير على هدى النبي ﷺ الذي عرض نفسه على القبائل وعلى أهل الطائف وعلى أهل المدينة فكان الأخيرون ناصرين لدين الإسلام ودعوته.

٥- على الدعاة أن يبادروا إلى اجتثاث الخرافات من بين الناس، وهي وللأسف موجودة في معظم أقطار العالم الإسلامي حيث يسأل الناس الأموات، ويعتقدون بالأشجار ونفعها، وهذه منكرات اعتقادية لا يجوز السكوت عنها بحال.

٦- إن دعوة هذا الرجل قد أثمرت قيام المملكة العربية السعودية حيث تحالف آل الشيخ مع آل سعود فكانت الرئاسة الدينية لآل الشيخ والقيادة السياسية لآل سعود. والمهم في الأمر أن المملكة وحتى اليوم لا تستطيع أن

تكون كبقية الأقطار بحكم وجود الحرمين الشريفين وبحكم العهد الذي قامت عليه وهو نصرة دعوة محمد بن عبد الوهاب. وهذا درس كبير للدعاة في عزوفهم عن السلطة، ولكن الأهم هو انقياد السلطة للإسلام.

٥- حسن البنا:

هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا ولد في المحمودية بمصر عام ١٩٠٦ وتوفي اغتيالاً بالقاهرة عام ١٩٤٩ م.

أسس جماعة الإخوان المسلمين، تخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، وعمل معلماً، وتنقل في المدن والقرى والأقطار، وأنشأ جماعته بعد أن لقيت دعوته القبول بين الناس، وذلك في مدينة الإسماعيلية، وازداد أتباعه حتى ناهزوا نصف مليون، وكان يعرف الإسلام بقوله: إنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون).

جهز الكتائب الشبابية باسم (الجوالة) وأرسلهم كمتطوعين للدفاع عن فلسطين، فلما وقعت الهدنة اعتقل هؤلاء الشباب، وأخذت أسلحتهم، وزجوا في السجون، وحظرت الحكومة الإخوان فلجؤوا إلى العمل السري، وقام أحدهم باغتيال النقراشي (رئيس الحكومة) ولم يمض وقت طويل حتى اغتيل البنا بعد إلقائه محاضرة في جمعية الشبان المسلمين، فمات متأثراً بجراحه حيث لم يتم إسعافه.

كان خطيباً وواعظاً مؤثراً وإنساناً منظماً، وصاحب نظرة ثاقبة، ورؤية بعيدة، له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية). وقد انتشرت دعوته في كثير من أقطار العالم اليوم، لكنها تعمل تحت أسماء أخرى لأنها باسم (الإخوان) محظورة إلا في الأردن لأسباب تاريخية تعود إلى العلاقة التعايشية بين الإخوان والنظام.

العبر المستفادة من حياة حسن البنا:

١- لعل أبرز ما يلفت النظر في هذه الشخصية الدعوية هو الحركة الدؤوب والنشاط المستمر، وإن إطلاعنا على كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) يؤكد لنا حقيقته الحركية منذ الصغر، حيث أسس مجموعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم تتوقف حركيته بل بقيت معه حتى استشهاده، فقد اغتيل بعد أن ألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين.

٢- تفرد هذا الداعي بانتشار دعوته في أغلب أقطار الأرض حيث تكونت في معظم الأقطار مجموعات إما باسم الإخوان المسلمين أو بأسماء أخرى، وصار شباب الإخوان موجودين في معظم أو كل قارات الأرض وهذا أمر ذو دلالة، فما كان لله اتصل، وما كان لغير الله كان مصيره الانقطاع.

٣- إن (عملية) هذا الداعي واضحة كل الوضوح فهو يؤمن بالعمل ويحيل الأفكار إلى سلوك، ولما رأى فلسطين محتلة تحرك لإنقاذها وقد سجل هذا الأمر لصالح الإخوان وبخاصة إن هذه القضية من أقدس قضايا المسلمين.

٤- إن دعوة هذا الرجل دعوة تجميعية حيث أكد عملياً أن خلافات المسلمين لا تعني تفرقهم، بل عليهم أن يتجمعوا ويتحاوروا وليعذر كل واحد أخاه، ولهذا كان في دعوته الصوفي والسلفي والسياسي والمفكر والفلاح والبدوي والمدني والرجال والنساء والشبان.

وهذه قضية يصنفها البعض بأنها سلبية، ولكن الحقيقة أن هذه من أكبر الإيجابيات، لأن تفرق المسلمين أخطر من خلاف فقهي، ولعل إيقاظ حبل الأخوة بين الناس يكون وسيلة نافعة في قبول من انحرف عقائدياً دون أن يدري إذا جاءته النصيحة من أفراد جماعته.

ولكن البنا لم يكن يكتفي بتجميع الطاقات المتنافرة، فما كان يجمعها إلا ليصهرها في بوتقة الإسلام، وليربطها برباط الإخوة الإيمانية، وكان ارتقاء الأفراد يتنامى شيئاً فشيئاً على تفاوت بينهم، وهذا مقتضى التدرج في التربية الذي تقتضيه الحكمة.

٥- إن ما يشبه الإجماع لدى الدول على محاربة دعوته هو إدراك منها لخطورة هذه الجماعة على الأنظمة الفاسدة التي لا تريد إسلاماً يدعو إلى تحكيم الشريعة.

٦- إن التحدي لا يزال يتابع أتباع هذا الرجل بأن يحافظوا على حيوية جماعتهم حتى لا تصبح جزءاً من الماضي، فالظروف التي أحاطت بالجماعة من سجن وقتل وتشريد تدعو أفراد وقيادات هذه الجماعة لمراجعة الوسائل والأساليب للخروج من الحالة التي هم فيها.

٦- سيد قطب:

أحد أهم أقطاب الإخوان المسلمين، مفكر وأديب، وهو صاحب تفسير القرآن المسمى (في ظلال القرآن) ولعل كتابه (معالم في الطريق) من أشهر الكتب وهو الذي أدى إلى إعدامه عام ١٩٦٦ على يد جمال عبد الناصر. ولد سيد بن قطب بن إبراهيم عام ١٩٠٦ في قربة (موشا) بأسيوط، تخرج بدار العلوم عام ١٩٣٤ وعمل معلماً وكان كاتباً في (الأهرام) و (الرسالة) و (الثقافة)، أوفد إلى أمريكا في بعثة لدراسة (برامج التعليم) ولما رجع كتب نقداً للبرامج المصرية التي وضعها الإنجليز، واستقال من عمله بناء على ذلك. انضم إلى الإخوان وترأس قسم نشر الدعوة، وتولى تحرير

جريدتهم، له كتب كثيرة، وقد قال علاّل القاسي في المغرب (ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب) تعليقاً على هزيمة ١٩٦٧ م التي حققها جمال عبد الناصر. كتب عنه الكثيرون كتباً ورسائل جامعية وكان أبرزها (الشهيد الحي) لصلاح الخالدي في إشارة واضحة إلى أن روح سيد باقية في نفوس الأجيال حيث لا تزال أغلب الجماعات الإسلامية تنهل من كتبه، وتستدل بأقواله حيث إن سيد قطب كان يرفض المهادنة، ويقول: (الطاغوت كله طاغوت) ووصف المجتمعات الحالية بأنها مجتمعات جاهلية حتى التي يعيش فيها المسلمون.

العبر المستفادة من حياة سيد قطب:

١- لعل أبرز الدروس المستفادة منه هو صموده أمام المغريات، وصموده أمام التعذيب، حتى وصل إلى حبل المشنقة، فلو لم تكن المسألة عنده مسألة اعتقادية لما صبر هذا الصبر، ولما تحمل هذا الثمن، ولكنه كان يدرك أن (نماذج الدعاة) هي التي تحيي الدعوات، وأن سقوط رموز الدعوة يعني تراجعها بل ذهابها.

٢- أن سيد قطب قد سار على منوال الخالدين بفكرهم إذْ لا تزال كلماته هي المرشد لا أقول لأفراد هنا وهناك بل لجماعات إسلامية متعددة، حيث إن هذا المفكر كان يقدم أطروحة متكاملة في الفكر والعمل الإسلامي.

٣- ولعلنا نأخذ درساً مهماً نحن الذين نقوم بالكتابة والتأليف أن يكون كلامنا واضحاً بيّناً لا لبس فيه ولا غموض، فإن جماعات التكفير قد اعتمدت على كلمات قالها سيد قطب في كتبه وبخاصة فيما يتعلق بالمجتمع الإسلامي والمجتمع الجاهلي، ولو كان سيد على قيد الحياة لما قبل الاستنتاجات التي بنى عليها التكفيريون قولهم.

٧- محمد متولي شعراوي

الشيخ محمد متولي الشعراوي من مواليد ١٩١١ م في قرية دقادوس (محافظة الدقهلية) بمصر.

حفظ القرآن الكريم في سن مبكر وتلقى العلوم الدينية ثم التحق بكلية اللغة العربية وحصل على العالمية عام ١٩٤٣ م، عمل مدرساً بمعهد طنطا الأزهري، ثم في معهد الإسكندرية فمعهد الزقازيق وعمل في السعودية (جامعة الملك عبد العزيز) بمكة المكرمة، ومديراً للدعوة بوزارة الأوقاف بمصر وترقى في المناصب إلى أن صار وزيراً للأوقاف عام ١٩٧٦م وعضواً بمجلس الشورى عام ١٩٨٠ وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية في نفس السنة.

عرف الشيخ بقدرته الفائقة في علم العربية وعلم المنطق وقد استخدم هذا في الدعوة والإرشاد والحوار مع أصحاب الفكر الهدام مما مكنه من إفحامهم. وقد اهتدى على يديه خلق كثير كان منهم فنانات في مصر حيث تحولن إلى قضية ملفتة للنظر، وأبرزهن الممثلة شادية والتي كان للشيخ معها قصة مفادها أن بعض وسائل الإعلام قالت: إنه قد تزوجها، فسئل عن ذلك فقال: (ذلك فضل لا أدّعيه).

وقد ألف عدداً من الكتب منها: أسرار بسم الله الرحمن الرحيم، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم، ومعجزة القرآن، والفتاوى، والسنة النبوية، والإسراء والمعراج، والمرأة، ومشاهد يوم القيامة، والأخلاق الإسلامية والدار الآخرة، والتوبة، والقضاء والقدر وغيرها.

ولعل دروسه التي كانت تنقلها القنوات التلفزيونية قد أثرت في جماهير

المسلمين تأثيراً كبيراً لأسلوبه العميق والبسيط والشيق والمنطقي، حتى إن بعض المختصين في الفلسفة شهدوا له بالعمق، وأنه يجذبهم ولا يستطيعون فهمه إلا مع تركيز واضح.

وقد قام الممثل التائب حسن يوسف بتمثيل دور الشيخ الشعراوي في مسلسل تلفزيوني، حكى حياة الشيخ، وذلك بعد وفاته التي كانت عام ١٩٩٨ وقد دفن في مسقط رأسه.

كان الشيخ رحمه الله شاعراً جيداً، واعتبره بعض من رثاه بأنه مجدد في القرن العشرين، قال د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر (الشعراوي أحد أبرز علماء الأمة الذين جدد الله تعالى دينه على يديهم).

العبر المستفادة من حياة الشعراوي:

١- ضرورة سعي الداعية للتحصيل العلمي فالمكانة العلمية العليا التي وصل إليها الشيخ إنما كانت بعد تعب وجهد وجد ولهذا نال إعجاب الجميع.

٢- إن تقلد الداعية للمناصب إنما يكون لهدف خدمة الدعوة الإسلامية.

٣- ضرورة مراعاة الداعية لشعور المدعوّين وبخاصة التائبين، ولا يذكرهم إلا بالخير حتى لو كانوا قبل توبتهم من أصحاب الكبائر، لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والعبرة بالحالة الأخيرة.

٤- على الداعية أن لا ييأس من التأثير في أصحاب الكبائر، بل عليه أن يبذل جهده الدعوي لهدايتهم، فقد مات الشعراوي ولكن توبة هؤلاء مستمرة حيث بدؤوا بدعوة بعضهم لبعض.

٥- على الداعية أن يكون مقنعاً وهو يعرض دعوته فيستخدم العقل والمنطق والحجة المفحمة، وهذا ما سار عليه الشيخ الشعراوي اقتداء بالنهج القرآني الذي هو طريق الأنبياء قال تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

٨- محمد الغزالي:

هو محمد الغزالي أحمد السقا من محافظة البحيرة في مصر (قرية نكلا العنب)، رأى والده الشيخ أحمد السقا (تاجر بسيط) في الرؤيا من يبشره بغلام اسمه محمد الغزالي وقد تحققت الرؤيا فسماه بهذا الاسم المركب، فاعتنى به أيما اعتناء، فحفظه القرآن في كُتاب القرية ثم التحق بالأزهر. عمل في الأوقاف والتحق بالمعهد الأزهري -ونبغ في علمه حيث كان يناقش شيوخه ومعلميه بالحجة البالغة، فشهدوا له بالنبوغ، تخرج من المعهد الأزهري في الإسكندرية عام ١٩٣٨ م ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وتخرج منها عام ١٩٤١ وحصل على العالمية مع إجازة التدريس وعمره ست وعشرون سنة. كان خطيباً ووصل في الأوقاف لمنصب وكيل وزارة لشؤون الدعوة الإسلامية. عمل في عدد من الجامعات في السعودية وقطر والجزائر وزار العديد من أقطار العالم يدعو إلى الله تعالى، وألف ما يقرب من ثمانية وخمسين مؤلفاً كان دافعه البيان والنصح كما قال: (. . . وددت لو فرّغت خواطري ومشاعري أولاً بأول، حتى ألقى الله ولست كاتماً لعلم أو حابساً لنصيحة. .)[1]. لقد كان متقناً للخطابة

(١) انظر ص١٨٥ من كتاب (العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي) تحرير د.فتحي الملكاوي، ط١، ١٩٩٦م.

والتدريس والوعظ والمناظرات والتأليف. لازم حسن البنا وتأثر به، ولحقه نتيجة مواقفه العيش في السجن فصبر واحتسب، ومع ذلك كان جريئاً في حضرة الحكام ينصح بالحسنى ويقول ما لا يجرؤ غيره على قوله.

لقد تبنى الشيخ آراء جريئة في كثير من المسائل منها فهم النصوص وبناء الأحكام عليها ولعل من يطالع كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) يجد ذلك بوضوح. كما كانت له آراء في الفن والدعوة ناهيك عن صولاته في الرد على الفكر المنحرف الشيوعي والمادي والعلماني.

لقد كان رحمه الله سريع الغضب لانتهاك محارم الله أو لعقم الفكر والتفكير فيما يراه بين الناس، كما كان صاحب لسان وقلم استخدمهما في طاعة الله ونصرة دعوته.

قال عنه الدكتور يوسف القرضاوي: (رجل دعوة من الطراز الأول)[1].

لقد تمتع بثقافة واسعة فبالإضافة إلى العلم الشرعي كان على اطلاع واسع فهو أديب لغوي حافظ للشعر معنياً بالتاريخ الإسلامي لديه من الثقافة العلمية ما يلفت النظر، وكذا اطلاعه على علمي النفسي والاجتماع وتشهد بذلك كتبه.

ولقد كان رحمه الله يحترم العقل الإنساني ويطالب أبناء الصحوة باحترام عقولهم وعقول من يخاطبون حتى يكونوا ناجحين في دعوتهم.

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٠.

العبر المستفادة من حياة الغزالي:

١- إننا أمام عالم من علماء الشريعة الإسلامية قضى حياته كلها وهو يدافع وينافح، وهذا درس لكل الدعاة وبخاصة الذين درسوا في المعاهد الشرعية أن يكونوا على مستوى هذه الدراسة، فهم المسؤولون أولاً عن العمل للإسلام، لأنهم القدوة، ولأنهم الأعلم.

٢- إن هذا الشيخ الجليل قد كسب معاداة بعض أبناء الدعوة الإسلامية نفسها بسبب جرأته وصراحته في إصلاح ما اعوج من أفكارهم، ومحاورته لهم لإنكار ما هم عليه من فكر أو سلوك أو فهم.

٣- إن الحدة التي اتسم بها الشيخ وإنْ سُجلت عليه لكنها كانت غيرة في سبيل الله، حيث لم يستطع أن يتخلص منها لأن خلاياه ومشاعره قد اختلطت بالحق، فكان صاحب غضب لله فيما يظن أنه صواب، إننا وإن كنا ندعو إلى التروي لكن علينا أن ندرك أن في الإنسان صفات قد يكون من الصعب عليه أن يتخلص منها.

٤- إن ما يلفت النظر في حياته هو أنه صاحب ثقافة واسعة فعلى الدعاة أن يقرؤوا ويطالعوا ولا يحصروا أنفسهم في مجال محدد لأن الدعوة تحتاج إلى كل شيء.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية.

٣- صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، دار الفكر.

٤- سنن ابن ماجة، ابن ماجة، دار الفكر.

٥- الجامع الصحيح، أبو عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- الموطأ، مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي، دار النفائس، ط٢ ١٩٧٧م.

٧- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨- المسند، أحمد بن حنبل، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٨م، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

١٠- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٦٤م.

١١- فتح القدير، الشوكاني، الطبعة الحلبية، ط٢- ١٩٦٤م.

١٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٧، ١٩٧٨م، بيروت.

١٣- مناهج الدعاة، علي جريشة.

١٤- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، آدم عبد الله.

١٥- سنن النسائي، النسائي، دار الفكر، ط١- ١٩٣٠، بيروت.

١٦- المسار، محمد أحمد الراشد، ط٢، ١٩٨٩م، دار المنطلق، دبي، الإمارات.

١٧- أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٩٨٦م، مصر.

١٨- الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمية، دار الدعوة الإسكندرية ١٩٨٨م.

١٩- سيرة النبي ﷺ، ابن هشام، توزيع دار الإفتاء، الرياض، السعودية.

٢٠- فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي.

٢١- صحيح ابن حبان، ابن حبان.

٢٢- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر.

٢٣- الرسول، سعيد حوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.

٢٤- الدعوة الفردية، مصطفى مشهور، ١٩٨٣، جمعية عمال المطابع، عمان.

٢٥- الخطابة، محمد أبو زهرة.
٢٦- جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، دار الباز، مكة ط٣- ١٩٧٨م.
٢٧- مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، دار القرآن الكريم، ١٩٨٠م.
٢٨- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان.
٢٩- تذكرة الدعاة، البهي الخولي، دار القرآن الكريم، ١٩٨٣م، ط٢.
٣٠- كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، ط٦ ١٩٧٩م.
٣١- سنن الدارمي، الدارمي.
٣٢- أولويات الحركة الإسلامية، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٩٩٢م.
٣٣- الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، سليم الهلالي وزياد الدبيج، ط٢، ١٩٨١م.
٣٤- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٥- الفتاوى، ابن تيمية.
٣٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية.
٣٧- تلبيس إبليس، ابن الجوزي.
٣٨- أقسمت أن أروي، روكس مكرون.
٣٩- البوابة السوداء، أحمد رائف.
٤٠- مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الكتاب العلمي، بيروت، ط٣ ١٩٨٢م.
٤١- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٢- الحافظ أحمد بن تيمية، ابو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٩٨٣م.
٤٣- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، مسعود الندوي، ط١، ١٩٧٧م.
٤٤- مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا.
٤٥- ظاهرة المحنة، خالص جلبي- دار البشير، عمان، ط٢، ١٩٨٩م.
٤٦- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، ط١.
٤٧- في النقد الذاتي، خالص جلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤.
٤٨- حوار لا مواجهة، أحمد كمال أبو المجد، كتاب العربي ١٩٨٥م.
٤٩- فقه الدعوة ملامح وآفاق، عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، ط١.
٥٠- الدعوة والخطابة، علي عبد العظيم، دار الاعتصام.

الفهرس